

# الأمير علي

## من المهدي إلى المهد

تأليف  
العلامة الخطيب  
السيد محمد كاظم القزويني

منشورات  
مؤسسة النور للطباعة  
بيروت - لبنان

الطبعة الثانية  
جميع حقوق الطبع محفوظة  
١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

مؤسسة النور للمطبوعات  
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة ص.ب - ١١/٨٦٤٥

## الأهداء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إليك يا أمين الله في أرضه ، وحجته على عباده .  
إليك يا خاتم الأوصياء ومنقذ الأمة والإمام المنتظر .  
إليك يا سيدنا يا صاحب الأمر أيها المهدي .  
إليك - روعي لك الفداء - أهدي صحيفة ولاتي لجدك الأكبر سيد  
العترة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه وعليك السلام .  
فتفضل بقبول بضاعتي المزجاة وتصدق علينا إن الله يجزي  
المصدقين .

المنتظر لدولتكم  
محمد كاظم القزويني

## المقدمة

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله كما يرضى ، وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى وآله  
سادات الورى .

وبعد : كم أنا معجب بحياة أولياء الله الذين كانوا المظهر الصحيح  
الكامل للإنقياد والخضوع لأوامر الله تعالى وإرادته وإنني لا أعرف في  
قاموس اللغة العربية ألفاظاً كافية في التعريف والتعبير عن شخصية الإمام  
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، لا أكتب هذا بقلم العاطفة والغلو  
ولا طمعاً في ربح مادي للجائزة الدنيوية بل بقلم الواقع والحقيقة ، أنظر  
إلى الحقائق وأذكر انطباعاتي عنها وسيظهر صدق هذا الكلام من خلال  
سطور الكتاب ، ويتجلى الحق الواضح لكل من يقرأ هذا الكتاب مجرداً  
عن الاتجاهات .

كلمة العظيم لا تكفي لبيان عظمة الرجل ، وخاصة بعد أن استعملت  
هذه الكلمة في الكثير ممن يستحق ذلك أو لا يستحق ، مع العلم أن  
العظمة تتفاوت من حيث القلة والكثرة والضعف والشدة وكذلك سائر  
الصفات الحميدة التي يُعبّر عنها بالقضائل وتُنعت بها الرجال .

فكيف أستطيع أن أصف الإمام حق الوصف ، وأؤدي واجب المقام حق الأداء ، وكلما حاولت أن أظير بقلمني إلى أرفع مستوى في البيان وأعلى درجة في الأداء مع ذلك كله فالعجز عن التعبير لا يفارقني ، والأفضل أن نذكر حياة الإمام بكل بساطة ، ونحيل إدراك الموقف وأهمية الحال إلى فكرة القاريء وذمته وفهمه الفطري ، وهذا أولى من تضييق الالفاظ وتنزيدها وتكوين كتلة من الألفاظ أو الكنايات التي تشبه كتب اللغة ولكن من غير ترويب وتنظيم !!

هناك صفات تميل إليها النفوس وتحبها وتحب من يتصف بها ويُقال لها : الفضائل كالعلم والشجاعة والكرم وغيرها .

وهناك أيضاً صفات تنفر منها الطباع وتكره من يتصف بها ويقال لها : الرذائل كالجهل والجبن والبخل وغيرها ، وهي أضداد الفضائل والصفات الحمية ، كلتا الطائفتين من الصفات نقل في النفوس وتكثر ، وتضعف وتشتد ، فقد يبلغ الكرم القمة ، وقد ينتهي البخل إلى الحضيض وهكذا الكلام في باقي الفضائل والرذائل ، ونحن حينما نراجع ترجمة حياة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام نجدتها حافلة بالفضائل بأقصى درجة ممكنة وأرفع مستوى يُتصور ، منزهة عن كل ما يمس ويحط ويشوه (بجميع معني الكلمة) بقدرسية الإمام وجلالته ، وليس هذا إدعاءً أجوف ، بل محتويات الكتاب كلها شواهد وبراهين على ما نقول ، بل التاريخ الصحيح أقوى دليل وكتاب الله أقوى حجة ومن أصلق من الله قياً وأختم مقدمتي هذه بكلمتي الوجيزة :

أقول : إن الله تعالى الذي هو على كل شيء قدير ولا يعجزه شيء شاء أن يظهر لعباده الفرد الكامل من خلقه ليريههم قدرته على الإبداع في الصنع ويرمهم لهم على أن من الممكن أن يقرب الله البشر إلى أعلى درجة من الشرف يمكن للموجود أن يبلغها ، فخلق الله محمداً عليه السلام وعلي بن أبي طالب عليه السلام ليكون كل واحد مثالاً كاملاً للقدر الإلهية ،

وشاهداً حياً لأرقى موجود في مراتب الصعود .

وكثيراً ما كنت أحدث نفسي بتأليف كتاب يتضمن الإشارات إلى بعض مواهب هذا الإمام ، المقتدى لقوافل الإنسانية عبر القرون والأجيال والدهور ، ولكن التذكير حول أهمية هذا العبء الثقيل وخطورة الموقف وضآلة وضعف البيان وسعة البحث كلها كانت موانع تحول دون الخوض في هذه المعركة العلمية الفكرية !

حتى إذا اقترب شهر رمضان المبارك من سنة ١٣٨٦ هـ وثار في النفوس ثورة العبادة ونهضة الدين وانتهت غرائز الإقبال على فعل الخير واستعد إخواننا الشباب لإعادة مجلسهم السنوي في ليالي شهر رمضان وكان لي شرف الخدمة والتكلم في ذلك المجلس الذي كانت الحياة تنفجر من نواحيه ، وينبعث النشاط من جوانبه ، ففكرت حول اختيار حديث إسلامي متسلسل ، لله فيه رضى وللمستمعين فيه أجر وثواب .

وأخيراً : تقرر أن نتحدث حول شخصية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ونجعلها محور كلامنا ، ونُدور في فلكها لما في ذلك من فوائد دينية ، علمية ، روحية ، تربوية ، تنفع العباد والبلاد .

فالتحدث عن أمير المؤمنين يشمل التكلم عن الإسلام الصحيح في جميع مجالاته وخاصة في دور التكوين والتأسيس وعن مدى تأثير التربية الإسلامية في النفوس وتبلورها ببركة تلك التعاليم وتكهرب النفوس بنفسية النبي ﷺ تلك النفسية القوية بالمبدأ الأعلى .

نذكر في هذه الصحائف شيئاً عن حياة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في ظل الإسلام وبعض مواقفه في المواطن الخطرة التي قل أن يثبت لها أحد ، باستقبال الأخطار التي ارتعدت منها الفرائص وحفظت عندها القلوب خفقان الطير .

تبدأ تلك الحوادث المتسلسلة من أيام بعثة النبي ﷺ والشروع

بالدعوة الصامتة ، والناطقة والسرية والعلنية وأدوار تلك الدعوة وتطورها في مكة ، وتنتهي بهجرة النبي ﷺ إلى المدينة .

وهنا يتطور الموقف إلى العمل بصورة أوسع وأصعب ، ويبدأ نور الحروب والغزوات والمجازر التي أوجع الكفار نراها ، فارتوت الأرض من الدماء وانقلبت البوادي إلى مقابر .

نذكر مواقف الإمام عليه السلام في تلك المراحل المذهلة ، واستعداداته للتضحية في سبيل المبدأ بحيث ما كان يقف في طريقه شيء يغير اتجاهه وانطباعه عن الدين .

وتنتهي فترة الجهاد بوفاة الرسول الأعظم ، فيتطور الجهاد بنوع من السكوت والصبر أو الكلام بما يقتضيه الحال وما تفرضه المصلحة العامة للإسلام والمسلمين .

ينقضي ربع قرن والإمام جالس بيته ، مسلوب الإمكانيات فاقد قدرة النهوض بأعباء الخلافة وما هنالك من لوازم ومتطلبات ومسؤولية أمام الله والتاريخ لأن المسؤولية تابعة للقدر والقوة ونفوذ الكلمة وجوداً وعملاً .

وتنتهي تلك الفترة المؤلمة بمقتل عثمان وانتقال الخلافة إلى الإمام مرة ثانية بعد انتزاعها منه إثر واقعة الغدير .

فيبدأ دور المسؤولية وبيان مسؤوليات الحكم في القانون الإسلامي ، وتطبيق أحكام الله في جميع المجالات ، والاصطدام بالنزعات والاتجاهات المخالفة وما هنالك من مشاكل وعراقيل ومواقف حرجة .

نسير مع التاريخ حيث سار الإمام حتى ينتهي البحث بشهادة الإمام عليه السلام ، وما هنالك من نماذج من العدالة الإلهية ونفسيات طيبة تتجلى في وصايا الإمام عندما أحسّ بخطر الوفاة .

نتعم هذا البحث بما نيسر من كلمات الإمام وتعاليمه القيّمة وفضائله ومكارم أخلاقه . وبذلك ينتهي الكتاب إن شاء الله .

ونضطر أن نفتطف من كل حادثة جملة ترتبط بالإمام ، ومن كل غزوة جانباً يتعلق بالذات بموقف الإمام فيها ، رعاية لأسلوب الكتاب .

وأنا على يقين أن الإحاطة بجميع مزايا هذا الإمام خارج عن نطاق البشر وقدرة البيان ، لأنه **بشيت** كالبحر لا يُدرك طرفاه ولا يُبلغ جانباه ولا يمكن الغوص إلى عمقه .

فالمتمحدث عن شخصية الإمام يجد أمامه عوالم غير متناهية ، يطير في فضائها وأرجائها ، ومهما أوتي من حول وقوة فإن التعب يدركه قبل أن يدرك مداها .

ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله ، فلنذهب إلى المجلس المنعقد في الجامع المعروف بجامع الصافي مقابل صحن سيدنا أبي عبد الله الحسين **عليه السلام** لنستمع إلى ما يلي :

## الليلة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الكرام  
البررة .

وبعد : لقد اتفقنا أن نجعل حديثنا وبحثنا في هذا الشهر عن أكبر  
شخصية عرفها التاريخ بعد الرسول الأعظم ﷺ .

وهي شخصية سيدنا ومولانا الإمام المرتضى أبي الحسن أمير  
المؤمنين علي بن أبي طالب عليه آلاف التحية والثناء ، ونبدأ حديثنا بولادة  
الإمام عليه السلام في الكعبة .

ولا بأس قبل الخوض في بيان الواقعة ، بذكر مقدمة تمهيدية فنقول :

نحن بصفتنا مؤمنين بالله وبالقرآن العظيم لا نحصى لنا عن قبول  
الأمور المخارفة للعادة والتي هي ما وراء الطبيعة ، المذكورة في القرآن  
الكريم ، ويُقال لها : (الماورائيات) أو (الميتافيزيقيا) .

فإن القرآن الكريم يتضمن أكبر كمية من الحوادث العاورائيات ، ولا  
نستطيع (بصفتنا مسلمين) أن نرفضها أو نتردد في قبولها ، وخاصة بعد أن  
أمننا أن القرآن كتاب من عند الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من  
خلفه .

مثلاً : طبيعة النار هي الإحراق ، وإسناد الإحراق إلى النار من الأمور البديهية الثابتة ، والقرآن الحكيم يحدثنا عن إبراهيم وأنه لما كسر الأصنام حكم المشركون عليه بالإعدام فقالوا : «حرقوه» فأضرموا ناراً عظيمة اشترك جميع طبقات الناس في جمع الحطب لها ، فوضعوا إبراهيم الخليل في آلة تسمى (المنجنيق) ، وقذفوه من مكان بعيد في وسط تلك النار العظيمة .

قال تعالى : ﴿وَقُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾<sup>(١)</sup> في الحديث - في تفسير هذه الآية - : لما خاطب الله النار بقوله : ﴿كُونِي بَرْدًا﴾ كاد إبراهيم أن يموت من البرد فقال تعالى : ﴿وَسَلَامًا﴾ فلم إبراهيم من الموت بالبرد .

وكذلك عصا موسى <sup>عليه السلام</sup> وانقلابها إلى ثعبان وابتلاعه الحبال والعصي التي كانت يُخَيَّل إليهم من سحرهم أنها تسمى ، ثم عادت العصا كما كانت .

وهكذا ما قام به عيسى بن مريم <sup>عليه السلام</sup> من إبراء الأكمه (الذي ولد أعمى) والأبرص ، وإحياء الموتى حتى الذين انقضت على وفاتهم مئات السنوات ، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه المعجزة في ثلاثة مواضع .

وهكذا وهلم جرا ، من القضايا والحوادث الخارقة للعادة والطبيعة المستندة إلى إرادة الله وقدرته ، ويسهل الإيمان بهذه الأمور كلها إذا حصل الإيمان بأن الله قادر على كل شيء ، وأن جميع الموجودات خاضعة ومطبعة لإرادة الله تعالى .

إذا ثبت هذا فلا مانع لدى العقل من قبول انشقاق جدار الكعبة لدخول فاطمة بنت أسد حتى تضع ولدها الإمام في جوف الكعبة ، وإليك الواقعة :

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ٦٩ .

## علي وليد الكعبة

أحست السيدة فاطمة بنت أسد بوجع الولادة وهي في الشهر التاسع من الحمل ، وأقبلت إلى المسجد الحرام وطافت حول الكعبة ، ثم وقفت للدعاء والتضرع إلى الله تعالى ليسهل عليها أمر الولادة ، قائلة : يا رب إني مؤمنة بك وبكل كتاب أنزلته ، وبكل رسول أرسلته . . . ومصدقة بكلامك وكلام جدي إبراهيم الخليل عليه السلام ، وقد بنى بيتك العتيق ، وأسألك بحق أنبيائك المرسلين ، وملائكتك المقربين وبحق هذا الجنين الذي في أحشائي . . . إلا يسرت علي ولادتي .

انتهى دعاء السيدة ، وانشق جدار الكعبة من الجانب المسمى (بالمستجار) ودخلت السيدة فاطمة بنت أسد إلى جوف الكعبة ، وارتأب الصدع ، وعادت الفتحة والتزقت وولدت السيدة إينها علياً هناك<sup>(١)</sup> .

من المعلوم : أن للكعبة باباً يمكن منه الدخول والخروج ، ولكن الباب لم يفتح ، بل انشق الجدار ليكون أبلغ وأوضح وأدل على خرق العادة ، وحتى لا يمكن إسناد الأمر إلى الصدفة .

والغريب : أن الأثر لا يزال موجوداً على جدار الكعبة حتى اليوم

(١) البحار - ج ٩ .

بالرغم من تجدد بناء الكعبة في خلال هذه القرون ، وقد ملأوا أثر الانشقاق بالفضة والأثر يُرى بكل وضوح على الجدار المسمى بالمستجار ، والعند الكثير من الحجاج يلتصقون بهذا الجدار ويتضرعون إلى الله تعالى في حوائجهم .

روى الشيخ الطوسي عليه الرحمة - في أماليه - عن الإمام الصادق عليه السلام : كان العباس بن عبد المطلب ويزيد بن قعنب جالسين ما بين فريق بني هاشم إلى فريق بني عبد العزى بإزاء بيت الله الحرام ، إذ أتت فاطمة بنت أمد بن هاشم ، وكانت حاملة بأمير المؤمنين عليه السلام لتسعة أشهر ، وكان يوم التمام ، فوقفت بإزاء البيت الحرام ، وقد أخذها الطلق ، ورمت بطرفها نحو السماء وقالت . . . إلى آخر كلامها الذي تقدم .

ووصل الخبر إلى أبي طالب ، فأقبل هو وجماعة وحاولوا ليفتحوا باب الكعبة حتى تصل النساء إلى فاطمة ليساعدها على أمر الولادة ، ولكنهم لم يستطيعوا فتح الباب ، فعلموا أن هذا الأمر من الله سبحانه تعالى .

وحدثت السيدة فاطمة بما جرى عليها في الكعبة ، قالت : فجلست على الرخامة الحمراء مائة ، وإذا أنا قد وضعت ولدي علي بن أبي طالب ولم أجد وجعاً ولا ألماً .

وبقيت السيدة في الكعبة ثلاثة أيام ، وانتشر الخبر في مكة ، وجعل الناس يتحدثون به حتى النساء ، وازدحم الناس في المسجد الحرام ، ليشاهدوا مكان الحادثة ، حتى كان اليوم الثالث ، وإذا بفاطمة قد خرجت - من الموضع الذي كان قد انشق لدخولها - وعلى يدها صبي كأنه فلقه قمر وأسرعت الجماهير المتجمهرة إليها فقالت : معاشر الناس ، إن الله عز وجل إختارني من خلقه وفضلني على المختارات ممن مضى قبلي ، وقد إختار الله آسية بنت مزاحم فإنها عبت الله سرّاً في موضع لا يحب أن يعبد الله فيه إلا اضطراراً ، ومريم بنت عمران ، حيث هسانت ويسرت ولادة عيسى فهزت الجذع اليابس من النخلة في فلاة من الأرض حتى تساقط

عليها رطباً جنيماً وإن الله تعالى اختارني (فضلني) عليها وعلى كل من مضى قبلي من نساء العالمين لأنني ولدت في بيته العتيق ، وبقيت فيه ثلاثة أيام أكل من ثمار الجنة وأرزاقها . . . الخ<sup>(١)</sup> .

وبعد هذا كله لم يبق مجال للشك في هذه الحادثة والاستبعاد من قدرة الله تعالى وإرادته ، وما المانع أن يختار الله لمولده وليه أشرف بقاع الأرض حتى يكون مولده في ذلك المكان من مزاياه التي تفرد بها عن المخلوق أجمعين ؟؟

وما المانع أن يمنح الله عباده المقربين هذه العطايا والمنح كي تكون لهم دليلاً على كرامتهم عند الله .

فقد ذكر الشيخ المفيد (ره) المتوفى سنة ٤٣١ هـ في الإرشاد مولد الإمام في البيت الحرام ، وكذلك من جاء بعده كالشيخ الطوسي والنسابة علي بن أبي الغنائم والشهيد في مزاره والسيد ابن طاووس في المصباح والعلامة الحلي المتوفى سنة ٧٣٦ هـ في كتابه كشف الحق وكشف اليقين .

وتطرق السيد الحميري في نظمه إلى هذه المفخرة وهو من شعراء القرن الثاني وهو قوله :

ولسنته في حرم الإله وأمنه      والبيت حيث فناؤه والمسجد  
بيضاء طاهرة الثياب كريمة      طابت وطاب وليدها والمولد  
مألف في حرق الصوابل مثله      إلا ابن آمنه المنبي محمد

وكذلك الشاعر محمد بن المنصور السرخسي ، وهو من شعراء القرن السادس أشار إلى هذه الفضيلة بقوله :

ولسنته منجبة وكان ولادها      في جوف كعبة أفضل الأكنان  
ولم ينفرد أساطين الشيعة وعلمائهم بذكر هذه المأثرة ، بل شاركهم

(١) نفس المصدر .

الكثير من علماء السنة ، كالمسعودي في مروج الذهب وإثبات الوصية وعبد الحميد خان الدهلوي ، في سيرة الخلفاء وغيرهما من المحدثين .

وأشار عبد الباقي العمري وعبد المسيح الأنطاكي أيضاً إلى هذه الحادثة وأنها من الأمور المتفق عليها ، وأنها من خصائص الإمام ولم يشاركه أحد قبله ولا بعده في هذه المكرمة ، حتى قال محمود الألوسي في شرح قصيدة عبد الباقي العمري ما هذا نصه : (وفي كون الأمير كرم الله وجهه ولد في البيت أمر مشهور في الدنيا وذكر في كتب الفريقين السنة والشيعه . . . ولم يشتهر وضع غيره كرم الله وجهه كما اشتهر وضعه ، وأحرى بإمام الأئمة أن يكون وضعه فيما هو قبله للمؤمنين ، سبحانه من يضع الأشياء في مواضعها وهو أحكم الحاكمين) .

استقبل سيدنا أبو طالب السيدة فاطمة بنت أسد مهنتاً ، وأخذ أبو طالب وليده الحبيب وضعه إلى صدره ثم رده إلى أمه ، وأقبل رسول الله وذلك قبل أن يبعث فلما رآه علي جعل يهش ويضحك كأنه ابن سنة ، من حيث المشاعر والإحراك فأخذه النبي ﷺ وقبله وحمد الله على ظهور هذا المولود الذي كان يعلم أنه سيكون له أحسن وزير وخير أخ وأول مؤمن به ، وتحقق به آمال رسول الله وأمانيه بنشر دينه الذي سببته به فسلم علي علي رسول الله ثم قرأ هذه الآيات :

﴿بسم الله الرحمن الرحيم . قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾<sup>(١)</sup> إلى آخر الآيات ، فقال رسول الله ﷺ قد أفلحوا بك . وقرأ تمام الآيات إلى قوله ﴿أولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾<sup>(٢)</sup> .

فقال رسول الله ﷺ: أنت والله أميرهم تميزهم من علومك فيحتارون ، وأنت والله دليلهم ويك يهتدون .

(١) سورة المؤمنون ، الآيتان : ١ و ٢ .

(٢) سورة المؤمنون ، الآيتان : ١٠ و ١١ .

وأذن أبو طالب في الناس أذانا جامعاً وقال : هلموا إلى وليمة لبني علي . قال : ونحر ثلاثمائة من الإبل وألف رأس من البقر والغنم واتخذوا وليمة عظيمة وقال : معاشر الناس ، إلا من أراد من طعام علي ولدي فهلموا وطوفوا بالبيت سبعاً سبعاً ، وأدخلوا وسلموا علي ولدي علي فإن الله شرفه<sup>(١)</sup> .

وهنا سؤالان : الأول كيف تكلم علي وهو ابن ثلاثة أيام والسؤال الثاني كيف قرأ آيات القرآن والقرآن بعد لم ينزل علي النبي ؟ .

أما الجواب عن السؤال الأول : إن القرآن الكريم يصرح بتكلم عيسى لما حملته أمه مريم وجاءت به إلى قومها ، فسألها قومها عن عيسى فأشارت إليه أي سلوا الطفل فإنه يخبركم عن الحقيقة . قال اليهود : كيف تكلم من كان في المهد صبياً ؟ قال (عيسى) : «إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبياً» فإذا أمكن أن يتكلم عيسى في المهد صبياً فما المانع أن يتكلم علي وهو طفل فإن كان عيسى نبياً فعلي خليفة نبي ووصيه وليس ذلك على الله بعزيز ، وليس هذا بمستحيل أمام قدرة الله تعالى فإن الله على كل شيء قدير .

والجواب عن السؤال الثاني : أن القرآن الحكيم يقول : ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾<sup>(٢)</sup> مع العلم أن القرآن نزل على النبي ﷺ في خلال ثلاث وعشرين سنة ، من يوم مبعثه إلى أيام قبل وفاته ، فما المقصود من هذه الآية المباركة التي تصرح بتزول القرآن في ليلة القدر؟ هناك أحاديث متواترة عن أهل البيت عليهم السلام في تفسير هذه الآية مفادها : أن القرآن أنزل إلى السماء الدنيا جملة واحدة ومن السماء الدنيا نزل تدريجياً ومن هنا يُستفاد أن القرآن كان موجوداً في السماء قبل نبوة محمد ﷺ .

فالطفل الذي اختار الله له الكعبة مولداً وأنطق لسانه يوم ولادته لا مانع عند العقل أن يلهمه الله شيئاً من كتابه المخلوق الموجود في السماء . وكانت ولادته يوم الجمعة في الثالث عشر من شهر رجب ، بعد مضي ثلاثين سنة من عام القيل . وقيل : أقل من ذلك ، والله العالم .

(٢) سورة القدر ، الآية : ١ .

(١) البحار - ج ٩ .

## عَلِيٌّ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله كما هو أهله ، والصلاة والسلام على محمد وآله خير البرية .

كلامنا الليلة : حول التربية الإسلامية التي ترباها عليٌّ عليه السلام خلال السنوات الطوال التي قضاها مع النبي ﷺ منذ نعومة أظفاره حتى بلغ من العمر ثلاثاً وثلاثين سنة ، وهي المدة التي عاش فيها مع الرسول ، ولا أملك بياناً كافياً لوصف تلك التربية المدهشة ، وتأثيرها في نفس عليٍّ عليه السلام ، والأفضل أن نستمع إلى كلام عليٍّ عليه السلام في هذا الموضوع ، فإنه يشرح لنا مدى اختصاصه والتصاقه بالنبي ﷺ من صخر سنه ، يذكر ﷺ ذلك في خطبته الجليلة المعروفة بالقاصعة ، قال ﷺ :

«أنا وضعت في الصغر بكلاكل العرب ، وكسرت نواجم قرون ربيعة ومضر . وقد علمتم موضعي من رسول الله ﷺ بالقرابة القريبة ، والمنزلة الخصيصة ، وضعني في حجره وأنا ولد ، يضمني إلى صدره ، ويكفني إلى فراشه ، ويمسني جسده ويشمني عرقه .

وكان يمشح الشيء ثم يلقمنيه ، وما وجد لي كذبة في قول ، ولا خبطة في فعل ، ولقد قرن الله به ﷺ من لدن أن كان طفليماً أعظم ملك

من ملائكته يسلك به طريق المكارم ، ومحاسن أخلاق العالم ، ليله ونهاره ، ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً وأمرني بالافتداء به ؛

ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري .

ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله ﷺ وخديجة وأنا ثالثهما . أرى نور الوحي والرسالة ، وأشم ريح النبوة ؛

ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه ﷺ فقلت يا رسول الله : ما هذه الرنة ؟ فقال : إنه الشيطان أيس من عبادته . إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبي . ولكنك وزير وإنك لعلى خيره<sup>(١)</sup> . فقد روى العلامة الحلي عليه الرحمة في كشف اليقين وغيره . . . :

وقال رسول الله ﷺ - لفاطمة بنت أسد-: اجعلي مهده بقرب فراشي ، وكان رسول الله ﷺ يلي علياً أكثر تربيته ، وكان يظهر علياً في وقت غسله ، ويوجره اللبن (يجعله في فمه) عند شربه ، ويحرك مهده عند نومه ، ويناضيه في يقظته ، ويحمله على صدره ، ويقول : هذا أخي وولي ، وصفي ، وذخري وكهني وظهري ، ووصي ، وزوج كريمي ، وأميني علي وصي وخطبتي ، وكان يحمله دائماً ويعطوف به في جبال مكة وشعابها وأوديتها<sup>(٢)</sup> .

وذكر الثعلبي في تفسيره عن مجاهد قال : كان من نعم الله على علي بن أبي طالب ع<sup>عليه السلام</sup> وما صنع الله له وزاده من الخير أن قریشاً أصابتهم أزمة (قحط) شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثير ، فقال رسول الله ﷺ - للعباس عمه وكان أيسر بني هاشم - : يا عباس أخوك أبو طالب كثير

(٢) البحار : ج ٩ .

(١) نهج البلاغة ، خطبة رقم ١٨٧ .

العيال ، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة ، فانطلق بنا فلنخفف عنه من عياله ، أخذ أنا من بنيه رجلاً ، وتأخذ أنت من بنيه رجلاً ، فنكفيهما عنه من عياله . قال العباس : نعم فانطلقا ، حتى أتيا أبا طالب فقالا : نريد أن نخفف عنك عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه ، فقال أبو طالب : إن تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما . فأخذ النبي ﷺ علياً فضمه إليه ، وأخذ العباس جعفرأ فضمه إليه ، فلم يزل علي مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله نبياً ، واتبعه علي فآمن به وصدقه . الخ .

وأخذ رسول الله ﷺ علياً ، فانتخبه لنفسه واصطفاه لهم أمره ، وعول عليه في سره وجهره ، وهو مسارع لمرضاته موفق للسداد في جميع حالاته ، وكان رسول الله ﷺ في ابتداء ظروف الوحي إليه ، كلما هذب به هاتف أو سمع من حوله رجفة راجف ، أو رأى رؤياً أو سمع كلاماً يخبر بذلك خديجة وعلياً ﷺ ويستسرهما هذه الحالة فكانت خديجة تثبته وتصبره ، وكان علي ﷺ يهتبه ويشره ويقول له : والله يا ابن عم ما كلب عبد المطلب فيك ، ولقد صدقت الكهان فيما نسبته إليك ، ولم يزل كذلك إلى أن أمر ﷺ بالتبليغ . فكان أول من آمن به من النساء خديجة ، ومن الذكور أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وعمره يومئذ عشر سنين ، وكانت السيدة خديجة الكبرى ﷺ تشاهد النبي يعطف ويحنو على علي ﷺ ويتولى رعايته منذ نعومة أظفاره ، فكانت السيدة خديجة تستزيده وتزينه وتحليه وتلبسه وترسله مع جواربها ، ويحمله خدماها .

وقد أجمع علماء النفس والتربية واتفقت كلمتهم على : أن جميع نفسيات الإنسان وأخلاقه وصفاته إنما هي انطباعات التربية التي تركزت في نفسه منذ صغره ، بحيث يمكن لنا أن نعرف مصير الطفل ومستقبله من منهاج التربية التي قام بها الوالدان والمربي تجاه الطفل في صباه .

فالحقارة والعقد النفسية والبدناءة والخموس وما شاكلها من الصفات التي تظهر في الناس إنما هي من ولائد التربية الفاسدة في باكورة حياتهم .

وكذلك شرافة النفس وعلو الهمة ، وقوة الروح وما شابهها إنما هي من نتائج التربية الصحيحة في أيام الصبا .

وفي المناقب : عن أبي رافع أن النبي ﷺ . . . قال لعنه أبي طالب : إني أحب أن تدفع إلي بعض أولئك يعينني على أمري ويكفيني ، وأشكر لك بسلامتك عندي ، فقال أبو طالب : أخذ أيهم شئت . فأخذ علياً ﷺ فاستقى عروقه من منبع النبوة ، ورضعت شجرته من ثدي الرسالة ، وتهدلت أغصانه عن نعمة الإمامة ، ونشأ في دار الوحي ، ودبي في بيت التنزيل ، ولم يفارق النبي ﷺ في حال حياته إلى حال وفاته ، لا يقاس بسائر الناس ، إذ كان ﷺ في أكرم أرومة ، وأطيب مغرس ، والعرق الصالح ينمي والشهاب الثاقب يسري . . .

ولم يكن الرسول ليتولى تأديبه ، ويتضمن حضائمه وحسن تربيته إلا على ضربين :

إما على الفروس فيه ، أو بوحى من الله تعالى ، فإن كان بالفروس فلا تخطى فرامته ، ولا يخيب ظنه ، وإن كان بالوحي فلا منزلة أعلى ولا حال أدل على الفضيلة والإمامة .

بناءً على هذا اهتم رسول الله ﷺ غاية الإهتمام وبذل ما في وسعه في تربية علي ﷺ وتأديبه وتقوية نفسه وتوجيهه ، وطبع غرائزه على أحسن ما يرام وتعليمه الفضائل والمكارم .

فأنتجت تلك التربية الإسلامية الفريدة في نفس علي ﷺ أحسن الأثر ، وقرى تحت ظل الرسول أفضل تربية ، واجتمعت فيه جميع المؤهلات للصعود إلى أعلى مرعاة ، فاستحق أن يجعله الله نفس النبي في آية المباهلة ، وكملت فيه الكفاءة والإنسانية بجميع معنى الكلمة حتى صار أهلاً لكل منحة إلهية وعطية ربانية وصار جديراً بالولاية والخلافة ، والوصية ، والوراثة ، ويكل عظمة وكل تقدير من الخالق والمخلوق ، وكل

أكبار وإعجاب من الرسول ، وتجلت فيه الفتوة والشهامة ، والإعتماد على النفس ، والإحساس بالشخصية وعظمة النفس حينما قدم لتقبل أكبر مسؤولية في العالم ، واستعد للقيام بأكبر مهمة من أقل لوازمها التضحية بكل غاك ونفيس ، وذلك يوم الدار أو الإنذار ، وإليك الواقعة :

في أمالي الشيخ عن ابن عباس عن علي عليه السلام قال : لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (١) دعاني رسول الله ﷺ فقال لي : يا علي إن الله تعالى أمرني : أن أنذر عشيرتك الأقربين . قال : فضقت بذلك ذرعاً وعرفت أنني متى أبادتهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره ، فصمتت على ذلك .

فاصنع لنا يا علي صاعاً من طعام ، واجعل عليه رجل شاة ، واملأ لنا عساً من لبن ، ثم أجمع لي بني عبد المطلب حتى أكلمهم ، وأبلغهم ما أمرت به . ففعلت ما أمرني به ، ثم دعوتهم أجمع وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون أو ينقصون رجلاً ، فيهم أعمامه : أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب ، فلما اجتمعوا له ، دعاني بالطعام الذي صنعت لهم فجلست به ، ولما وضعته تناول رسول الله ﷺ جلدته من اللحم فتنفها بأسنانه ، ثم ألقاها في نواحي الصفحة ، ثم قال : خذوا باسم الله . فأكل القوم حتى صدروا ما لهم بشيء من الطعام حاجة ، وما أرى إلا مواضع أيديهم ، وأيم الله الذي نفس علي بيده أن كان الرجل الواحد منهم لياكل ما قدمت لجميعهم ، ثم جئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا جميعاً ، وأيم الله أن كان الرجل الواحد منهم يشرب مثله ، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم بدره أبو لهب إلى الكلام فقال : لشد ما سحركم صاحبكم !!

فتفرق القوم ، ولم يكلمهم رسول الله ﷺ فقال لي في الغد : يا علي إن هذا الرجل قد سبقني إلى ما سمعت من القول ، فتفرق القوم قبل أن أكلمهم ، فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت ، ثم اجتمعهم لي .

(١) سورة الشعراء : الآية : ٢١٤ .

قال : ففعلت ، ثم جمعتهم ، فدعاني بالطعام ، فقرَّبته لهم ، ففعل كما فعل بالأمس ، وأكلوا حتى صدروا ما لهم به من حاجة ثم قال : اسقهم . فجئتهم بذلك العس ، فشربوا حتى رروا منه جميعاً ، ثم تكلم رسول الله ﷺ ، فقال : يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل ما جئتمكم به ، إني قد جئتمكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله عز وجل أن أدعوكم إليه ، فأيكم يؤمن بي ويؤازرني على أمري فيكون أخي ، ووصيي ووزيرني وخليفتي في أهلي من بعدي ؟

قال : فامسك القوم ، وأحجموا (سكتوا) عنها جميعاً ، قال : فقمت وإني لأحدثهم سناً ، وأرمصهم عيناً ، وأعظمهم بطناً ، وأحسبهم ساقاً ، فقلت : أنا - يا نبي الله - أكون وزيرك على ما بعثك الله به . . .

قال : فأخذ بيدي ثم قال : إن هذا أخي ووصيي ووزيرني وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا .

فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب : قد أمرك أن تسمع لإبنك وتطيعه ؟

وفي رواية فقال : ليقومن فائسكم أو ليكونن من غيركم ثم لتندمن ، ثم أعاد الكلام ثلاث مرات فقام عليّ فبايعه ثم قال له ﷺ : آذن مني ، فدنا منه ففتح فاه ، ومج من ريقه وتفل بين كتفيه وتديبه فقال أبولهب : بش ما حبوت به ابن عمك إن أجابك فملاّت فاهه ووجهه بزاقاً ! فقال النبي ﷺ : ملاّته حكماً وعلماً وفهماً<sup>(١)</sup> .

وللمأمون العباسي مناظرة لطيفة ظريفة قيّمة مع الفقهاء ، نقطف منها محل الحاجة :

المأمون : يا إسحاق أي الأعمال كان أفضل يوم بعث الله رسوله ؟

إسحاق : الإخلاص بالشهادة .

(١) البعار - ج ٩ .

المأمون : أليس السبق إلى الإسلام ؟

إسحاق : نعم .

المأمون : إقرأ ذلك في كتاب الله يقول : ﴿والسابقون السابقون أولئك المقربون﴾<sup>(١)</sup> إناعنى من سبق إلى الإسلام ، فهل علمت أحداً سبق علياً إلى الإسلام ؟

إسحاق : يا أمير المؤمنين إن علياً أسلم وهو حديث السن ، لا يجوز عليه الحكم ، وأبو بكر أسلم وهو مستكمل يجوز عليه الحكم .

المأمون : أخبرني أيهما أسلم قبل ؟ ثم أناظرك من بعده في الحدائث والكمال .

إسحاق : عليّ أسلم قبل أبي بكر على هذه الشريطة .

المأمون : فأخبرني عن إسلام علي حين أسلم ؟ لا يخلو من أن يكون رسول الله ﷺ دعاه إلى الإسلام أو يكون إلهاماً من الله ؟؟  
أطرق إسحاق !!

المأمون : يا إسحاق لا تقل : إلهاماً . فتقدمه على رسول الله ﷺ لأن رسول الله لم يعرف الإسلام حتى أتاه جبرئيل عن الله تعالى .  
إسحاق : أجل بل دعاه رسول الله إلى الإسلام .

المأمون : يا إسحاق فهل يخلو رسول الله ﷺ حين دعاه إلى الإسلام من أن يكون دعاه بأمر الله أو تكلف ذلك من نفسه ؟؟  
(أطرق إسحاق) !!

المأمون : يا إسحاق لا تنسب رسول الله إلى تكلف ، فإن الله قال : ﴿وما أنا من المتكلفين﴾<sup>(٢)</sup> .

(٢) سورة ص : الآية : ٨٦ .

(١) سورة الواقعة ، الآية : ١٠ .

إسحاق : أجل ، يا أمير المؤمنين بل دعاه بأمر الله .

المأمون : فهل من صفة الجبار (جل ذكره) أن يكلف رسله دعاء من لا يجوز عليه حكم ؟

إسحاق : أعوذ بالله .

المأمون : أفتراه في قياس قولك - يا إسحاق - أن علياً أسلم صبياً لا يجوز عليه الحكم قد تكلف رسول الله ﷺ من دعاء الصبيان ما لا يطبقون ، فهل يدعوهم الساعة ويرتدون بعد ساعة فلا يجب عليهم في ارتدادهم شيء ، ولا يجوز عليهم حكم الرسول ﷺ ؟؟

أترى هذا جائزاً عندك أن تنسبه إلى رسول الله ؟؟

إسحاق : أعوذ بالله . . . الخ .

وليس هذا بأول خطورة كبيرة خطاها منكم إلى مراقي الصعود ولا بأول موقف مشرف وقف فيه للحق ، فقد دعاه الرسول قبل ذلك إلى الاعتراف له بالنبوة والتصديق له بالرسالة ، وذلك يوم بعثه الله تعالى في غار حراء وانحدر متحملاً أعباء الرسالة وقصد بيت خديجة وفتحت له الباب وقالت : ما هذا النور؟ فأجابها : إنه نور النبوة ، إشهدني يا خديجة بأن لا إله إلا الله وإني رسول الله . فشهدت بذلك فكانت أول امرأة آمنت ، ثم دعا علياً ﷺ ليشهد له بذلك فاعترف له علي فكان أول من أسلم من الرجال ، ويمتاز إسلام علي ﷺ عن بقية المسلمين في ذلك العهد فإن الذين أسلموا على يد النبي ﷺ كان جلهم غير موحددين ، بل يهوداً ونصارى ومشركين ، وسبق الكفر أو الشرك إسلامهم ، ولكن علياً ﷺ لم تتغير فطرته التي فطره الله عليها ، ولم يدنس ساحته شرك ولا كفر ، بل كان موحداً وبقي على التوحيد ، وازداد إيماناً بالله و يقيناً به على أثر تلك العلوم والمعارف الإلهية التي كان الرسول ﷺ يزقه إياها زقاً ، ولما بعث النبي بالنبوة كان علي أول من صدقه وأمن به وقام بما يتطلب ذلك التصديق والإيمان .

ولا بأس أن نذكر الشيء اليسير من الأحاديث التي تصرح بهذه  
الفضيلة الفريدة لعلي عليه السلام :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أولكم وروداً على الحوض أولكم إسلاماً  
علي بن أبي طالب . ذكره الخطيب البغدادي في تاريخه وابن أبي الحديد  
في شرحه .

وأخذ النبي بيد علي فقال : إن هذا أول من آمن بي ، وهذا أول من  
يصافحني يوم القيامة ، وهذا الصديق الأكبر .

وقال أيضاً : لقد صلّت الملائكة عليّ وعلى علي سبع سنين لأننا كنا  
نصلي وليس معنا أحد يصلي غيرنا .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : أنا عبد الله وأخو رسول الله ، وأنا الصديق  
الأكبر ، لا يقولها بعدي إلا كاذب مفتر ، ولقد صليت مع رسول الله قبل  
الناس بسبع سنين ، وأنا أول من صلى معه .

وقال أيضاً : أنا أول رجل أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال أيضاً : أنا أول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال أيضاً : أسلمت قبل أن يسلم الناس بسبع سنين .

وقال أيضاً : اللهم إني لا أعرف عبداً من هذه الأمة عبداً قبلي غير  
نبيك . (قاله ثلاث مرات) ثم قال : لقد صليت قبل أن يصلي الناس .

وقال أيضاً : بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وأسلمت يوم الثلاثاء  
وقال في أبيات له :

سبقتكم إلى الإسلام طراً . غلاماً ما بلغت أوان حلمي  
وله أيضاً :

أنا أخو المصطفى لا شك في نسي به ربيت وسبطاه هما ولدي  
صدفته وجميع الناس في بهم من الضلالة والإشراك والنكد

قال جابر : سمعت علياً ينشد بهذا ورسول الله يسمع ، فبسم رسول الله وقال : صدقت يا علي .

وكان هذا الأمر من الأمور الثابتة عند الصحابة والتابعين وقد روي ذلك نظماً ونثراً عن جماعة منهم يتجاوز عددهم خمسين رجلاً ، تجد ذلك بالتفصيل في الجزء الثالث من الغدير لشيخنا الأميني (رحمه الله) .

ولشيخنا الأميني كلام لطيف قيم في هذا الموضوع (وكل كلامه لطيف) قال : وأما نحن فلا نقول : إنه (علياً) أول من أسلم بالمعنى الذي يحاوله ابن كثير وقومه ، لأن البداية به (الإسلام) تستدعي سبقاً من الكفر ، ومتى كفر أمير المؤمنين حتى يسلم ؟ ومتى أشرك حتى يؤمن ؟ وقد انعدت نطفته على الحنيفة البيضاء ، واحتضنه حجر الرسالة ، وغدته يد النبوة ، وهذبه الخلق النبوي العظيم ، فلم يزل مقتصاً أثر الرسول قبل أن يصدع بالدين الحنيف وبعلمه ، فلم يكن له هوى غير هواه ، ولا نزعة غير نزعته (إلى أن قال) بل نحن نقول : إن المراد من إسلامه وإيمانه وأوليته فيهما وسبقه إلى النبي في الإسلام هو المعنى المراد من قوله تعالى - عن إبراهيم الخليل عليه السلام : ﴿ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾<sup>(١)</sup> وفيما قال سبحانه عنه : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلَمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لربِّ الْعَالَمِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> وفيما قال سبحانه عن موسى عليه السلام : ﴿ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> وفيما قال تعالى عن نبيه الأعظم : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ﴾<sup>(٤)</sup> وفيما قال : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ﴾<sup>(٥)</sup> وفي قوله : ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ لربِّ الْعَالَمِينَ ﴾<sup>(٦)</sup> .

وقال ابن أبي الحديد :

- (١) سورة الأنعام ٤ الآية : ١٦٣ .
- (٢) سورة البقرة ٤ الآية : ١٣١ .
- (٣) سورة الأعراف ٤ الآية : ١٤٣ .
- (٤) سورة البقرة ٤ الآية : ٢٨٥ .
- (٥) سورة الأنعام ٤ الآية : ١٤ .
- (٦) سورة غافر ٤ الآية : ٦٦ .

وما أقول في رجل سبق الناس إلى الهدى وآمن بالله ، وَعَمِيذَهُ ، وكل من في الأرض يعبد الحجر ويجمد الخالق ، لم يسبقه أحد إلى التوحيد إلا السابق إلى كل خير : محمد رسول الله ﷺ .

ذهب أكثر أهل الحديث إلى أنه عليه الصلاة والسلام أول الناس اتباعاً لرسول الله ﷺ وإيماناً به ، ولم يخالف في ذلك إلا الأقلون .

ومن وقف على كتب أصحاب الحديث تحقق له ذلك ، وعلمه واضحاً وإليه ذهب الواقدي وابن جرير الطبري ، وهو القول الذي رجحه ونصروه صاحب كتاب الإستهجاب .

## أبو طالب حامى الرسول

قد ذكرنا في أول كلامنا الليلة أن التربية الصحيحة إنما تتسنى للطفل عن طريق العربي والوالدين والبيت الذي يفتح الطفل فيه عيناه ، فقد كان علي عليه السلام يتلقى دروس التوحيد من الرسول الأعظم عليه السلام من أيام صباه ويتعلم منه العلوم الإلهية طيلة أيام كونه طفلاً وفاقعاً وشاباً وخليفة ، وكان يجد كل التشجيع من والده أبي طالب عليه السلام الذي كفل النبي من يوم وفاة عبد المطلب ، ولم يبلغ النبي يومذاك من العمر ثمان سنين وأخذه إلى بيته وضمه إلى أهله وولده ، وكان هو وزوجته السيدة فاطمة بنت أسد يبذلان كل ما في وسعهما في خدمة النبي والترفيه عنه حتى أنهما كانا يفضلانه على أولادهما في المطعم والملبس والعناية والمخدمة ، وقام أبو طالب بما قام من أنواع العطف والحنان والرعاية والاهتمام بشأن النبي والإشادة بمواهبه في السفر والحضر .

ولأبي طالب عليه السلام الحظ الأوفر في القيام بتزويج النبي من السيدة خديجة والقضاء على المشاغبات والمنافسات التي كادت أن تحول دون ذلك الزواج الميمون .

ومواقف أبي طالب في سبيل التحفظ على النبي والدفاع عنه والحماية

له من بدء بعثته إلى آخر حياة أبي طالب ، مشكورة مذكورة في تاريخ المسلمين ، وإسلام أبي طالب ﷺ وإيمانه بالنبي مما لا شك فيه عند كل مسلم منصف ، وهذا بعض تلك البحوث الشاهدة لما نحن فيه الآن :

قال ابن الأثير : إن أبا طالب رأى النبي ﷺ وعلياً يصليان وعلي علي يمينه فقال لجعفر رضي الله عنه : صل جناح ابن عمك وصل عن يساره .

وفي رواية : فقام جعفر إلى جنب علي ، فأحسن النبي ، فتقدمهما ، فأقبلوا علي أمرهم حتى فرغوا ، فانصرف أبو طالب مسروراً ، وأنشأ يقول :  
إن علياً وجعفرأ نُسقتي      عند مسلم الزمان والنُوب  
لا تخذلا وانصرا ابن عمكما      أخي لأمي من بينهم وأبي  
والله لا أخذل النبي ولا      يخذله من بني ذوحسب

وكان أبو طالب إذا رأى رسول الله ﷺ أحياناً يبكي ويقول : إذا رأيتك ذكرت أخي ، وكان عبد الله أخاه لأبويه ، وكان شديد الحب والحنو عليه ، وكذلك كان عبد المطلب شديد الحب له ، وكان أبو طالب كثيراً ما يخاف علي رسول الله ﷺ البيات إذا عرف مضجعه ، فكان يقيمه ليلاً من منامه ويضع ابنه علياً مكانه ، فقال له علي ليلة : يا أبت إنني مقتول . فقال له :

إصبرن يا بني فالصبر أحجى      كل حي مصيره لشعوب  
قد بذلتك والبلاء شديد      لفداء الحبيب وابن الحبيب  
لفداء الأغر ذي الحسب الثا      قب والباع والكريم النجيب  
فأجاب علي بقوله :

أنا مرني بالصبر في نصر أحمد      ووالله ما قلت الذي قلت جازعا  
ولكنني أحببت أن تر نصرتي      وتعلم أنني لم أزل لك طائعا  
سأسمى لوجه الله في نصر أحمد      نبي الهدي المحمود طفلاً ويا فعا

وقال القرطبي في تفسيره : روى أهل السير قال : كان النبي قد خرج إلى الكعبة يوماً وأراد أن يصلي ، فلما دخل في الصلاة قال أبو جهل - لعنه الله - : من يقوم إلى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته ؟ فقام ابن الزبير فأخذ فرثاً ودماً فطبخ به وجه النبي ﷺ فانفتل النبي من صلاته ، ثم أتى أبا طالب عمه فقال : يا عم ! ألا ترى إلى ما فعل بي ؟ فقال أبو طالب : من فعل هذا بك ؟ فقال النبي ﷺ : عبد الله بن الزبير .

فقام أبو طالب ووضع سيفه على عاتقه ومشى معه حتى أتى القوم ، فلما رأوا أبا طالب قد أقبل جعل القوم ينهضون ، فقال أبو طالب : والله لئن قام رجل لجللته بسيفي . فقدموا حتى دنى إليهم ، فقال : يا بني من الفاعل بك هذا ؟ فقال : عبد الله بن الزبير ، فأخذ أبو طالب فرثاً ودماً فطبخ به وجوههم ولحاهم وثيابهم ، وأساء لهم القول .

وهناك أحاديث كثيرة متواترة حول إسلام أبي طالب وإيمانه ، بل وكتب طائفة من العلماء والفضلاء مؤلفات واسعة قيمة حول إيمان أبي طالب أمثال كتاب اسنى المطالب ، وأبو طالب مؤمن قريش ، وكتاب : الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب ، وفي المجلد السابع من الغدير لشيخنا الأمين ما يروي الغليل .

وليدنا أبي طالب ﷺ قصائد وأبيات في مدح النبي ﷺ والإعتراف برسالاته والتصديق بنبوته ، وذكر الشيخ الأمين في المجلد السابع من الغدير عن بعض المؤرخين : أن الأبيات التي قالها أبو طالب في مدح النبي ﷺ قد بلغت ثلاثة آلاف ونحن نقطف أبياتاً تصرح بإيمان أبي طالب وتفانيه في نصرته النبي ، فقد كتب أبو طالب أبياتاً إلى النجاشي ملك الحبشة وهي :

ليعلم خيار الناس أن محمداً      وزير كموسى والمسيح بن مريم  
أنا بهدي مثل ما أتيا به      فكل بأمر الله بهدي ويعصم

وقال أيضاً :

ألا ابلاغاً عني على ذات بينها  
ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً  
وقال أيضاً :

يرجون أن نسخي بقتل محمد  
كذبتهم وبيت الله حتى تفلقوا  
وقال يخاطب النبي :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم  
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة  
ودعوتني وعلمت أنك ناصحي  
ولقد علمت بأن دين محمد  
وقال يمدح النبي :

لقد أكرم الله النبي محمداً  
وشق له من اسمه ليجله  
وقال أيضاً :

كذبتهم وبيت الله نيزي محمداً  
ونسلمه حتى نصرع حوله  
وأبيض يستقى الغمام بوجهه  
يلوذ به الهلاك من آل هاشم  
ألم تعلموا أن إبننا لا مكذب  
فأيده رب العباد بسنصره  
وقال أيضاً :

أوصي بنصر نبي الخير أربعة

لؤيساً وخصماً من لسوي بن كعب  
رسولاً كموسى خطاً في أول الكتب

ولم تختضب سمر العوالي من الدم  
جماجم تلقى بالحق العظيم وزمزم

حتى أوسد في التراب دفيننا  
وابشر بذلك وقر منك عيوننا  
ولقد دعوت وكننت ثم أمينا  
من خير أديان الجورية ديننا

فأكرم خلق الله في الناس أحمد  
فلو العرش محمود وهذا محمد<sup>(١)</sup>

ولما نطاعن دونه ونشاقسل  
ونذهل عن أبنائنا والحلائل  
ثمال اليتامى عصمة للأرامل  
فهم عنده في رحمة وفسواضل  
لديننا ولا نجأ بقول الأباطل  
وأظهر ديناً حقه غير باطل

إبني علياً وشيخ القوم عباساً

(١) وقد ضمن حسان بن ثابت هذا البيت في مدح النبي صلى الله عليه وآله .

وحمزة الأسد المحامي حقيقته كونهوا فداء لكم أمي وما ولدت  
وجعفرأ ان تذودوا دونه الناسا في نصر أحمد دون الناس أتراسا  
وقال أيضاً :

إن ابن أمنة النبي محمداً عندي يفوق منازل الأولاد  
راعيت فيه قرابة موصولة وحفظت فيه وصية الأجداد  
وغير ذلك من قصائده وأبياته المفصلة المذكورة في ديوانه وسجلتها  
كتب التراجم والتاريخ .

أما تكفي هذه الأحاديث وهذه القصائد أن تكون وثيقة لإيمان أبي  
طالب وإسلامه ، وهل الإسلام غير هذا ؟

ولو كان جزء من هذه الآثار والمآثر لأبي قحافة والخطاب أو عفان  
لكانوا أول المسلمين ، ولكن أبا طالب عليه السلام بالرغم من تلك المواقف  
والمواطن التي وقف بها للدفاع عن النبي والمحافظة على حياته في الشعب  
وقبله وبعده ، وهذه الإعترافات منه بنبوة محمد ورسالته ، لا تكفي للدلالة  
على إسلامه فيقولون : مات أبو طالب مشركاً كافراً .

فليكن كل هذا ، فإن هذه الغارات التي تشن على كفيل رسول الله  
وناصره والمحامي عنه إنما هي لأجل ولده علي عليه السلام فإن القوم لم يرضوا  
أن تكون ساحة نسب علي عليه السلام منزّهة عن كفر الجاهلية ، ولم تطب  
نفوسهم أن تكون هذه المفخر لعلي عليه السلام وسيعلمون غداً يوم يساقون إلى  
الحساب عما كتبت أيديهم .

عَلِيّ (ع) ليلة المبيت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وسلام على سيد المرسلين محمد وآله الطاهرين .

قال الله تعالى : ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد﴾<sup>(١)</sup> .

حديثنا - الليلة - حول ما قام به علي بنك من التضحية والتفادي في سبيل رسول الله والدفاع عنه ، ولقد ذكرنا في الليلة الماضية شيئاً يسيراً مما قام به أبوه سيدنا أبو طالب بنك في الدفاع عن النبي ﷺ والحماية له .

ومن هذه الليلة نبدأ بشرح ما قام به علي بنك من توطين النفس لكل بلاء ومكروه في سبيل الإسلام ، ولقد صدق من قال :

ولولا أبو طالب وإبنة      لما مثل السدين شخصاً وقاماً  
فذاك بمكة آوى وحامى      وهذا بيثرب جس الحماس  
فله ذا فاتحاً للهدى      ولله ذا للمعالي ختام  
فقد خلق الله تعالى علياً بنك ليكون أحسن وزير وأشرف نصير

(١) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٠٧ .

لِلرَّسُولِ وَأَوْفَى مَدَافِعِ وَأَقْوَى مَجَاهِدِ فِي سَبِيلِ الْإِسْلَامِ ، وَلَقَدْ تَحَقَّقَ الْهَدَفُ الَّذِي خُلِقَ عَلَيْهِ مِنْ أَجْلِهِ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا نَهْضَتَهُ الْمُبَارَكَةَ يَوْمَ الْإِنْدَارِ وَإِجَابَتَهُ طَلِبَ الرَّسُولِ وَتَلْيِيسَهُ لِنَدَائِهِ ، وَكَانَتْ تِلْكَ النَّهْضَةُ فَاتِحَةً قِيَامَهُ وَجِهَادَهُ ، إِذْ تَجَلَّتْ فِيهَا شَخْصِيَّةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَعَبَقْرِيَّتُهُ ، وَظَهَرَ مَدَى اعْتِمَادِهِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَعَلَى نَفْسِهِ الْمَتَشَبِعَةِ بِالْإِيمَانِ وَقَلْبِهِ الْمَطْمَئِنِّ بِذِكْرِ اللَّهِ .

وَاسْتَعْمَرَ الْأَمْرَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ فَكَانَتْ فِتْرَةَ التَّدْرِيْبِ أَوْ الْإِمْتِحَانِ التَّمْهِيْدِيِّ الَّذِي لَا يَدُّ مِنْهُ لِكُلِّ مَصْلُحٍ مَنَقْدٌ أَنْ يَجُوسَ نَبْضَ الْمَجْتَمَعِ لِيَكُونَ عَلَى بَصِيرَةٍ أَكْثَرَ فَيَنْبُجُ فِكْرَهُ بِالتَّجَارِبِ لِانْتِخَاذِ التَّدَابِيْرِ الْمَلْزَمَةِ لِمَشْرُوعِهِ الَّذِي يَنْوِي الْقِيَامَ بِهِ وَالسِّيْرَ عَلَى الْمَخْطُوطِ الَّذِي جَعَلَهُ بِرَنَامِجاً لِحَيَاتِهِ .

وَلَوْ لَا خَشْيَةُ الْإِفْتِرَاءِ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لَقُلْتُ : إِنْ قَلْبُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ هُوَ أَقْوَى قَلْبِ خَلْقِهِ اللَّهُ فِي صَدُورِ الْبَشَرِ ، وَإِنْ أَعْصَابُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَانَتْ تَسْتَمِدُّ الْقُوَى مِنْ طَاقَةٍ غَيْرِ مَتْنَاهِيَةٍ .

وَإِلَّا فَكَيْفَ يُمْكِنُ لِلْبَشَرِ أَنْ لَا يَدْخُلَ الْخَوْفُ قَلْبَهُ ، وَلَا تَتَوَثَّرَ مِنَ الْأَهْوَالِ أَعْصَابُهُ ، وَلَا يَخْشَى مِنَ الْمُسْتَقْبَلِ الْمُبْهَمِ النَّامِضِ وَلَا تَسْتَوْلِي عَلَيْهِ الْغَرَائِزُ : غَرِيزَةُ حُبِّ الذَّاتِ ، حُبِّ الْحَيَاةِ ، الْأَنْانِيَّةُ وَغَيْرُهَا مِنَ الْعَطْبَائِحِ الَّتِي كَثِيرٌ مَا تَحْوِلُ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَبَيْنَ مَا يَرِيدُ ؟

وَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ نَدْرِكُ الشُّجَاعَةَ الَّتِي خَامَرَتْ نَفْسَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مِنْ صِبَاةٍ : عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (الصَّادِقِ) عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ مَعْنَى قَوْلِ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَالِحٍ - لَمَّا بَارَزَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - : يَا قَضْمَ ؟

قَالَ : إِنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ بِمَكَّةَ لَمْ يَجْسُرْ عَلَيْهِ أَحَدٌ لِمَوْضِعِ أَبِي طَالِبٍ ، وَأَغْرَوْا بِهِ الصَّبِيَّانَ وَكَانُوا إِذَا خَرَجَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَرْمُونَهُ بِالْحِجَارَةِ وَالتَّرَابِ ، وَشَكَّى ذَلِكَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، فَقَالَ : يَا أُمَّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَرَجْتَ فَأَخْرِجْنِي مَعَكَ .

فَخَرَجَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَتَعَرَّضَ الصَّبِيَّانَ

لرسول الله ﷺ كما دعتهم ، فحمل عليهم أمير المؤمنين عليه السلام ، وكان يتضمنهم في وجوههم وآذانهم ، الصبيان يرجعون باكين إلى آبائهم ويقولون : قَضَمْنَا عَلِيَّ ﷺ . قَضَمْنَا عَلِيَّ . فسمي لذلك : القضم .

ولقد حاول المشركون وكفار مكة نحق الإسلام والقضاء على حياة الرسول ﷺ بشتى الطرق والأساليب ، فكانت حركاتهم فاشلة ، وجاءوا إلى أبي طالب وسألوه أن يمنع الرسول عن سب الآلهة !! وإفساد الشبان !! وتسفيه الأحلام ! فلم يجدوا التجاوب من أبي طالب عليه السلام .

فجعلوا يحاربون النبي حرب الأعصاب ، وجاءوا عن طريق التهديد والوعيد وإسناد السحر والجنون إليه ، وقذفه بالحجارة وتلويث ثيابه بالدم والأقذار . وكتبوا الصحيفة القاطعة وقاطعوا بني هاشم أقسى مقاطعة ، كل ذلك لا يزيد النبي إلا ثباتاً واستقامة ، وخاصة لما نزلت عليه الآية : ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾<sup>(١)</sup> واستمر الحال على هذا المنوال حتى توفيت السيدة خديجة الكبرى وبعد مدة يسيرة توفي سيدنا أبو طالب ، وكانا بمنزلة جناحين لرسول الله ، وخيمت الأحزان على قلب الرسول حتى سمي تلك السنة (عام الحزن) .

وعند ذلك خلا الجو للمشركين ، واستضعفوا النبي لفقدان الناصر ، وعزموا على اغتيال النبي وقتله ، وإليكم التفصيل :

اجتمع المشركون في دار الندوة وتذاكروا حول قتل النبي ﷺ وتقرر أخيراً أن يجتمع من كل قبيلة رجل واحد ويهجموا على النبي ﷺ ، ويقتلوه في بيته ، واجتمع أربعون رجلاً من أربعين قبيلة واجتمعوا على باب دار النبي ﷺ ونزل جبرائيل على النبي وأخبره بمكيدة القوم وأمره بالهجرة من مكة إلى المدينة ، فأرسل النبي إلى عليٍّ وقال له : يا علي إن الروح هبط عليٍّ بخيرني أن قریشاً اجتمعت على المكر بي وقتلي وأنه أوحى إليّ عن ربي أن أهجّر دار قومي وأن أنطلق إلى غار ثور ، تحت ليلتي ، وأنه

(١) سورة هود : الآية : ١١٢ .

أمرني أن أمرك بالمبيت على مضجعي لتخفي بمبيتك عليه أنسري فما أنت قائل وصانع ؟ فقال علي عليه السلام : أوتسلمن بمبיתי هناك يا نبي الله ؟

قال : نعم ، فتبسم علي عليه السلام ضاحكاً ، وأهوى إلى الأرض ساجداً ، شكراً لما أنبأه به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من سلامته ، فكان علي عليه السلام أول من سجد لله شكراً ، وأول من وضع وجهه على الأرض بعد سجده من هذه الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما رفع رأسه قال له : أمضي لما أمرت ، فذاك سمعي ويصري وسويداء قلبي ، ومرني بما شئت أكون فيه كمسرتك وأقع منه بحيث مرادك ، وإن توفيقي إلا بالله ، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أو أن ألقى عليك شبهة مني ، أو قال : شبهي ، قال : أن يمنعوني نعم ، قال : فارقد على فراشي واشتمل ببردي الحضرمي ، ثم إنني أخبرك يا علي أن الله تعالى يمتحن أوليائه على قدر إيمانهم ومنازلهم من دينه ، فأشد الناس بلائاً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، وقد امتحنتك يا ابن أم وامتحنني فيك بمثل ما امتحن به خليل إبراهيم عليه السلام والذبيح إسماعيل عليه السلام ، فصبراً صبراً ، فإن رحمة الله قريب من المحسنين ، ثم ضمته النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى صدره وبكى إليه وجدأ به ، وبكى علي عليه السلام جزعاً على فراق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وفي رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - لعلي عليه السلام - : أرضيت أن أطلب فلا أوجد وتوجد ؟ فلعله أن يبادر إليك الجهال فيقتلوك ؟ قال : بلى يا رسول الله رضيت أن يكون روحي لروحك وبقاء ونفسي لنفسك فداء ، بل رضيت أن يكون روحي ونفسي فداء أخ لك أو قريب . . . وهل أحب الحياة إلا لخدمتك ، والتصرف بين أمرك ونهيك ، ولمحبة أوليائك ونصرة أصفائك ومجاهدة أعدائك .

لولا ذلك لما أحببت أن أعيش في هذه الدنيا ساعة واحدة . وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لعلي عليه السلام فإذا قضيت ما أمرتك من أمر فكن على أهبة الهجرة إلى الله ورسوله ، وسر إلي لتقوم كتابي عليك ، ولا تلبث بعده .

فانطلق النبي إلى الغار ، ونام علي في مكانه ولبس برده ، فجاء

قريش يريدون أن يقتلوا النبي ﷺ ، فجعلوا يرمون علياً وهم يرون أنه النبي وكان علي بنك يتصور (يتلوى) من الألم ولا يتكلم لكلاً يعرفوه ، وكان القوم يريدون الهجوم على البيت ليلاً ، فيمنعهم أبو لهب ويقول لهم : يا قوم إن في هذه الدار نساء بني هاشم وبناتهم ، ولا نأمن أن تقع يد خاطئة إذا وقعت الصبيحة عليهن ، فيبقى ذلك علينا مسبة وعاراً إلى آخر الدهر في العرب .

فجلسوا على الباب حتى طلع الفجر ، فتواثبوا إلى الدار شاهرين سيوفهم ، وقصدوا نحو مضجع النبي ومعهم خالد بن الوليد ، فقال لهم أبو جهل : لا تقعوا به وهو نائم لا يشعر ، ولكن ارموه بالأحجار ليقتله بها ثم اقتلوه ، أيقظوه ليجد ألم القتل ، ويرى السيوف تأخذه !!

فرموه بأحجار ثقال صائبة ، فكشف عن راسه ، وقال : ما شأنكم ؟ فحرفوه ، فإذا هو علي بنك فقال أبو جهل : أما ترون محمداً كيف أبات هذا ونجى بنفسه لتشتغلوا به ؟ وينجو محمد ، لا تشتغلوا بعلي المخلوع لينجو بهلاكه محمد ، وإلا فما منعه أن يبيت في موضعه إن كان ربه يمنع عنه كما يزعم .

ثم قالوا : أين محمد ؟ قال : أجعلتموني عليه رقيباً ؟ أستم قلوبكم : نخرجه من بلادنا ؟ فقد خرج عنكم .

فأرادوا أن يضربوه فمنعهم أبو لهب ، وقالوا - لعلي - : أنت كنت تخذعنا منذ الليلة (أي بنومك) علي فراش النبي خدعتنا ووطننا أنك محمد) وبقي النبي ﷺ في الغار ثلاثة أيام وكان علي يأتيه بالطعام والشراب وفي رواية : استأجر ثلاث رواحل للنبي ولأبي بكر ولدليلهم .

وخرج النبي بعد ذلك من الغار وتوجه نحو المدينة .

روى الثعلبي في تفسيره قال : لما أراد النبي ﷺ الهجرة خلف علياً بنك لقضاء ديونته ، ورد الودائع التي كانت عنده وأمر ليلة خرج إلى

الغار ، وقد أحاط المشركون بالدار ، وقال له يا علي : أتشح بيدي الحصري ، ثم نم على فراشي فإنه لا يخلص إليك منهم مكره إن شاء الله ، ففعل ما أمره ، فأوحى الله عز وجل إلى جبرائيل وميكائيل : إني قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر ، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة ؟ فاختار كل منهما الحياة ، فأوحى الله عز وجل إليهما : ألا كتتما مثل علي بن أبي طالب ؟ آخيت بينه وبين محمد ﷺ فبات علي فراشه يفتديه بنفسه ، ويؤثره بالحياة ، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه ، فتزلا ، فكان جبرئيل عند رأسه ، وميكائيل عند رجله ، وجبرئيل يقول : يخ يا من مثلك يا بن أبي طالب ، يباهي الله بك ملائكته ؟؟ فأنزل الله عز وجل على رسوله ﷺ وهو متوجه إلى المدينة في شأن علي بن أبي طالب ﷺ ، ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد (١) .

قال رسول الله ﷺ : نزل علي جبرئيل صبيحة يوم الغار ، فقلت : حبيبي جبرئيل أراك قريحاً ، فقال : يا محمد وكيف لا أكون كذلك وقد قرت عيني بما أكرم الله به أخاك ووصيك وإمام أمتك علي بن أبي طالب ﷺ ، فقلت : بماذا أكرمه الله ؟ قال : بهما بعبادته البارحة ملائكته ، وقال : ملائكتي ! انظروا إلى حجتي في أرضي بعد نبيي وقد بدل نفسه ، وعفر خدّه في التراب تواضعاً لعظمتي ، أشهدكم أنه إمام خلقي ومولى بريتي .

وكان علي ﷺ يعتز ويفتخر بهذه الموقية التي نالها من عند الله تعالى فقال شعراً :

وقبت بنفسي خير من وطأ الحصى	ومن طاف بالبيت العتيق وبالبحجر
محمد لما خاف أن بمكروا به	فوقاه ربي ذو الجلال من المكر
وبت أراعيهم متى ينشرونني	وقد وطنت نفسي على القتل والأسر

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٠٧ .

ويات رسول الله في الغار آمناً      هناك وفي حفظ الإله وفي ستر  
أقام ثلاثاً ثم زمت قلائص      قلائص يفرين الحصى أينما تفرى

إن هذا العمل العظيم الذي قام به الإمام العظيم علي عليه السلام وقع من  
أهل السماوات موقع الإعجاب والإكبار والتقدير ، وهذه الموساة هي  
الفريدة من نوعها في تاريخ الإسلام بل وفي تاريخ الأنبياء ، فلا غرو ولا  
عجب إذا طأطأ العظماء رؤوسهم إجلالاً لعلي عليه السلام ونثروا الثناء الجميل  
نظماً ونثراً ، ولم ينحصر التثويه والإشادة بهذه المكرمة بالمسلمين ، بل  
شاركهم من غير المسلمين كل من تطبع بروح القضييلة وحمل بين جوانح  
صدره قلباً وعى جزءاً من الفتوة والشهامة والنجدة وكل يعمل على شاكلته ،  
وكل إناء بالذي فيه ينضح .

أما من المسلمين فالسيد ابن طاووس له كلام لطيف وتحقيق ظريف  
سذكره . وأما من غير المسلمين فأحدهم جورج جرداق الكاتب المعاصر  
وبولس سلامة في ملحمة الغدير ، ونكتفي - هنا - بكلام ابن طاووس  
وجورج جرداق وبولس سلامة .

قال السيد ابن طاووس في كتاب الإقبال . . . ومن أسرار هذه  
المهاجرة : أن مولانا علياً عليه السلام بات على فراش المخاطرة وجاد بمهجته  
لمالك الدنيا والآخرة ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ففتح أبواب النعم الباطنة والظاهرة ،  
ولولا ذلك المبيت واعتقاد الأعداء أن النائم على الفراش هو سيد  
الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم لما كانوا صبروا عن طلبه إلى النهار حتى وصل إلى الغار ،  
فكانت سلامة صاحب الرسالة من قبل أهل الضلالة صادرة عن تدبير الله  
جل جلاله بمبيت مولانا علي عليه السلام في مكانه وآية باهرة لمولانا علي عليه السلام  
شاهدة بتعظيم شأنه ، وأنزل الله جل جلاله في مقدس قرآنه : ﴿ومن  
الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد﴾<sup>(١)</sup> فأخبر أن  
لمولانا علي عليه السلام كانت بيعاً لنفسه الشريفة ، وطلباً لرضاء الله جل جلاله

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٧ .

نون كل مراد ، وقد ذكرنا في الطرائف من روى هذا الحديث من  
المخالف ، ومباهة الله جل جلاله تلك الليلة بجبرئيل وميكائيل في بيع  
مولانا علي عليه السلام بمهجنه ، وأنه سمع بما لم يسمع به خواص ملائكته .

ومنها : أن الله جل جلاله زاد مولانا علياً عليه السلام من القوة الإلهية  
والقدرة الربانية إلى أنه ما قنع له أن يغني النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه الشريفة ،  
حتى أمره أن يكون مقيماً بعده في مكة مهاجراً للأعداء قد هربه منهم  
وسره بالمبيت على الفراش وغطاه عنهم ، وهذا ما لا يحتمله قوة البشر إلا  
بآيات باهرة من واهب النفع ودافع الضرر .

ومنها : أن الله عز وجل لم يقنع لمولانا علي عليه السلام بهذه العناية  
الجميلة حتى زاده من المشاقب الجميلة ، وجعله أهلاً أن يقيم ثلاثة أيام  
بمكة لحفظ عيال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأن يسير بهم ظاهراً على رغم  
الأعداء وهو وحيد من رجاله ، ومن يساعده على ما بلغ من المخاطرة إليه .

ومنها : أن فدية مولانا علي عليه السلام لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت من  
أسباب التمكين من مهاجرته ومن كل ما جرى من السعادات والعنايات  
بنيوته ، فيكون مولانا علي عليه السلام قد صار من أسباب التمكين من ما جرت  
حال الرسالة عليه ومشاركاً في كل خير فعله النبي صلوات الله عليه ، وبلغ  
حال إليه ، وقد اقتضت في ذكر أسرار المهاجرة الشريفة النبوية على هذه  
المقامات الدينية ، ولو أردت بالله جل جلاله أوردت مجلداً منفرداً في هذه  
الحال ، ولكن هذا كافٍ شافٍ للمنتصفين وأهل الإقبال .

وقال الكاتب المسيحي جورج جرداق في كتابه : (صوت العدالة  
الإنسانية) :

أما علي بن أبي طالب ، فما كان أعجب أمره يوم غامر في سبيل  
عقيدته التي هي عقيدة محمد بن عبد الله ، وفي سبيل الحق ورعاية الشرف  
والإنهاء هذه المغامرة التي لم يعرف التاريخ أجلاً منها ، وأقوى وأدل على  
وحدة الذات بين عظيم وعظيم .

وإنها لإرادة على التضحية قل أن تجد لها مثيلاً إلا في الظروف النادرة التي تقف بها النفس الإنسانية الواعية بين حالين من وجود وفناء في حيز من إدراك معنى الوجود على مثال خاص .

فإما أن تؤثر لهذا الجسد عيشاً يقربه دون ما يحويه من قيم الحياة الصاعدة ، فتتكر هذه القيم وتفضل عليها وجوداً هو أشبه بالفناء من حيث أن الوجود حياة تحيا ! وإما أن تؤثر لهذا الكيان الإنساني انصهاراً بكليات القيم دونما نظر إلى وجود عضوي لا يتصل بروح الوجود الغذ ، فتأتي هذه القيم سالكاً إليها طريق التهلكة . وما فناؤك آنذاك إلا دليل على أن الوجود إنما هو لديك حياة تحيا لا عيش يعاش !

أجل ، إنها لتضحية قل أن تجد لها مثيلاً إلا في اختيار سقراط للموت وفي مسلك غيره من السقارطة ، تضحية علي بن أبي طالب يقدي النبي بنفسه راضياً مختاراً على صورة أهون منها على لقاء الموت في ساحة القتال ، أو على شفاء قمقم السم ! فما أصعب على المرء أن يأخذ مكان رجل حكم عليه المجرمون بالقتل . وأن يرقد في فراشه فلا يخطئه هؤلاء إذا دخلت إرادتهم طور التنفيذ وهم منه على خطوات ينظرون إليه ويسمع إليهم . ثم إنه يتوقب بين حين وحين رؤية أنظارهم تتوأمض بالخدر تحت عينيه ، وسيوفهم تتلامع بالموت فوق رأسه ، طوال ليلة كاملة !

لقد كان علي بمغامرته هذه استمراراً لمحمد . وكانت تضحيته من روح المقاومة التي عرف بها ابن عمه العظيم ، وكان مبيتة في فراش النبي تزكية للدعوة وحافزاً على الجهاد الطويل ! ثم إن في هذه المغامرة ما يوجب الحقيقة عن الإمام وطباعه ومزاجه ، فإذا هي صادرة عنه كما تصدر الأشياء عن معادنها دون تكلف ودون إجهاد . ففيها نموّه الذهني المبكر الذي جعله يدرك من الدعوة التي يدق فهمها فهماً صحيحاً على من كان في مثل سنه .

وفيها زهده بالحياة إذا لم تكن عمراً لمكارم الأخلاق . وفيها صدقه المر وإخلاصه العجيب . وفيها عدله بين نفسه وبين سواء من أهل الجهاد

وما يتوخاه بذلك من نصرة للمظلومين والمستضعفين إذا قتل هو ونجحت  
الرسالة على يدي صاحب الهجرة . وفيها مواجهته للأمور بسماحة وبساطة  
لا يعرف معهما إلى الكلفة سبيلاً . وفيها المروعة والوفاء والطيبة والشجاعة  
وسائر صفات القروسية التي يمثلها علي بن أبي طالب . بل قل هي شيء  
من امتشاده المقبل . . .

وقال الأستاذ بولس سلامة في ملحمة الغدير :

هزه الشوق للنبي فشد العزم يهفو إلى جماع المآثر  
في رمال الصحراء يسري وحيداً مقفر الكف أعوزته الأباعر  
صابر في العذاب والجوع حتى عجب القفر من تقشف صابر  
إلى أن يقول :

لا فراش سوى الثرى، لا غطاء لا ضياء سوى النجوم الزواهر  
فينا جي السهى يصعد في الأجواء طرفاً يشق متر الدياتجر  
إن هذا الصمت الرهيب لقدس يغسل المرء بالعذاب الصاهر  
فالخطوب الجسم والألم المسدود وحى ومظهر للضمائر  
فإذا كان طاهراً كعلي شدد له قلبه بأواصر  
يذكر الله بكرة وعشياً ويصلي في كل ومضة خاطر  
فالمناجاة والصلاة عطور تتعالى إلى السماء مباخر  
يا رمال الصحراء هذا علي فاملئي الدرب والضفاف أزاهر  
هو بعد النبي أشرف ظل لاح في السبب الخلي مهاجر  
حملي الجنح الأثير نسيماً من جفون الأسحار ريان عاطر  
وابسطي حوله الزنايق فرشاً وانثري فوقه الغمام مقاصر

## علي (ع) والهجرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله على سيد أنبياء الله محمد وآله سادات أولياء الله .

ومن كلام لإمامنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : (أما إنه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم مندحق البطن يأكل ما يجد ويطلب ما لا يجد ، فاقتلوه ولن تقتلوه ، ألا وإنه سيأمركم بسبي والبراءة مني . فأما السب فسبوني فإنه لي زكاة ولكم نجاة ، وأما البراءة فلا تبراؤا مني فإنني ولدت على الفطرة وسبقت إلى الإيمان والهجرة) .

هذه الجملات تجدونها في أكثر كتب الحديث وخصوصاً في كتاب نهج البلاغة في ضمن خطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام .

أخبر الإمام الناس باستيلاء معاوية على رقاب المسلمين ، وذكر صفة من ردائله وهي كثرة الأكل وعدم الشبع لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليه بقوله : «لا أشبع الله بطنه» .

ولسنا الآن في مقام التحدث عن معاوية ونفسياته وإنما نقتطف من هذه الجملات جملة واحدة ، ونجعلها محور حديثنا الليلة ، وهي قوله عليه السلام : «سبقت إلى الإيمان والهجرة أما السبق إلى الإسلام والإيمان

فقد مضى الكلام عنه ، وأما السبق إلى الهجرة ، فليس المقصود من الهجرة الانتقال من بلد إلى آخر ، ولا يعدّ هذا فضيلة ، فمأ أكثر المهاجرين ! ولعل المقصود من الهجرة هو ترك الوطن وكل ما فيه الله وفي الله ، وقد قال تعالى : ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله﴾<sup>(١)</sup> ، وهذه الآية في شأن المجاهدين الذين يقتلون في سبيل الله والحجاج الذين يموتون في طريق الحج .

والله تعالى يفضل المهاجرين على غيرهم لأنهم تركوا كل ما كانوا يملكون من المال والأهل والولد لأجل المحافظة على دينهم والتخلص من المشركين الذين كانوا يحاربون المسلمين أشد محاربة .

وعلي بن أبي طالب سبق المسلمين إلى الهجرة ، وقد اتفق المؤرخون وأجمعوا على أن علياً هو أول من التحق بالرسول وهو في المدينة وذلك بعد أن رد الودائع والأمانات إلى أهلها وعزم على الخروج من مكة إلى المدينة ، وقد ذكر المؤرخون : أن أبا بكر هاجر مع النبي من الغار إلى المدينة فيمكن لنا أن نقول : أن خطاب علي بن أبي طالب كان موجهاً إلى الناس المخاطبين في ذلك اليوم وليس فيهم أبو بكر ، وعلي سبق المسلمين إلى الهجرة ، ويمكن أن نناقش في خروج أبي بكر مع النبي بأنه لم يقصد الهجرة أي ترك مكة وما فيها وإنما خرج مداراة ومجاراة وصحبة مع النبي وسأيره حتى وصل إلى فناء خارج المدينة . وعلي خرج من مكة بهذا المقصد ، وترك وراءه كل شيء ، فيصح أن يقال عنه : إنه أول المهاجرين على الإطلاق ، ويمكن أن يكون المقصود الهجرة إلى الدين كما قال تعالى عن لسان لوط : ﴿إني مهاجر إلى ربي﴾<sup>(٢)</sup> ، وأما كيفية هجرة علي بن أبي طالب من مكة إلى المدينة فقد رواها المحدثون بهذه الكيفية :

كتب رسول الله ﷺ إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه كتاباً يأمره فيه بالمسير إليه ، وقلة التلوم ، وكان الرسول بعث إليه أبا واقد الليثي ، فلما

(٢) سورة العنكبوت ، الآية : ٢٦ .

(١) سورة النساء ، الآية : ١٠٠ .

أناه كتاب رسول الله ﷺ تهباً للخروج والهجرة .

قال ابن شهر آشوب : واستخلفه الرسول ﷺ لرد الودائع ، لأنه كان أميناً ، فلما أداها قام على الكعبة فنادى بصوت رفيع : يا أيها الناس هل من صاحب أمانة ؟ هل من صاحب وصية ؟ هل من عدة له قبل رسول الله ؟ فلما لم يأت أحد لحق بالنبى .

وقال ابن شهر آشوب أيضاً : أمره النبي أن يؤدي عنه كل دين وكل ودیعة وأوصى إليه بقضاء ديونه ، فأذن من كان معه من ضعفاء المؤمنين فأمرهم أن يتسللوا ويتخفوا - إذا ملأ الليل بطن كل واد - إلى ذي طوى ، وخرج علي بنك بفاطمة بنتك بنت رسول الله ﷺ وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب ، وقد قيل : هي ضباعة ، وتبعهم أيمن بن أم أيمن مولى رسول الله ﷺ ، وأبو واقد رسول رسول الله ﷺ فجعل يسوق بالرواحل فأعنف بهم ، فقال علي بنك : إرفق بالنسوة أبا واقد ! إنهن من الضعائف ، قال : إني أخاف أن يدركنا الطالب - أو قال : الطالب - فقال علي بنك : أربيع عليك ، فإن رسول الله ﷺ قال لي : يا علي إنهم لن يصلوا من الآن إليك بأمر تكرهه ، ثم جعل - يعني علياً بنك - يسوق بهم سوقاً رقيقاً وهو يرتجز ويقول :

ليس إلا الله فارفع ظنك  
يكفيك رب الناس ما أهمكا

وسار ، فلما شرف ضجنان أدركه الطالب سبع فوارس من قريش مستلثمين وثامنهم مولى الحارث بن أمية يدعى جناحا ، فأقبل علي بنك على أيمن وأبي واقد وقد تراءى القوم فقال لهما : أنيخا الإبل وأعقلاها . وتقدم حتى أنزل النسوة ، ودنا القوم فاستقبلهم علي بنك منتضياً سيفه ، فأقبلوا عليه فقالوا : ظننت أنك يا غدار ناج بالنسوة ، إرجع لا أبا لك ، قال : فإن لم أفعل ؟ قالوا : لترجعن راغماً ، أو لترجعن بأكثرك شعراً ، وأهون بك من هالك . ودنا الفوارس من النسوة والمطايا ليثوروها ، فحال علي بنك بينهم وبينها ، فأهوى له جناح بسيفه فزاع علي بنك عن

ضربته ، وتختله علي بنك فضربه علي عاتقه ، فأسرع السيف مضياً فيه حتى مس كائبة فرسه ، فكان علي بنك يشد على قدمه شد الفرس ، أو الفارس على فرسه ، فشد عليهم سيفه وهو يقول :

خلوا سبيل الجاهد المجاهد آليت لا أعبد غير الواحد

فتصدع القوم عنه ، فقالوا له : اغض عنا نفسك يا ابن أبي طالب ، قال : فإني منطلق إلى ابن عمي رسول الله ﷺ يشرب ، فمن سره أن أفري لحمه وأهريق دمه فليتبني ، أو فليدن مني ، ثم أقبل على صاحبيه أيمن وأبي واقد فقال لهما : أطلقا مطاياكما ، ثم سار ظاهراً قاهراً حتى نزل ضجنان ، فتلوم بها قدر يومه وليته ، ولحق به نفر من المستضعفين من المؤمنين ، وفيهم أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ ، فلبسوا هناك هو والقواطم : أمه فاطمة بنت أسد رضي الله عنها ، وفاطمة بنت رسول الله ﷺ وفاطمة بنت الزبير يصلون لله ليلتهم ويذكرونه قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، فلم يزالوا كذلك حتى طلع الفجر ، فصلى علي بنك بهم صلاة الفجر ، ثم سار لوجهه ، فجعل وهم يصنعون ذلك منزلاً بعد منزل يعبدون الله عز وجل ويرغبون إليه كذلك حتى قدموا المدينة ، وقد نزل الوحي بما كان من شأنهم قبل قدومهم : ﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتكفرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً﴾<sup>(١)</sup> إلى قوله : ﴿فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى﴾<sup>(٢)</sup> .

ولما نزل الرسول ﷺ بقاء خارج المدينة بقي ينتظر قدوم علي بنك ، فقال له أبو بكر : إنهض بنا إلى المدينة فإن القوم قد فرحوا بقدومك ، وهم يستريثون إقبالك إليهم فانطلق بنا ولا تقم هاهنا تنتظر علياً ، فما أظنك يقدم إليك إلى شهر ، فقال له رسول الله ﷺ : كلا ، ما أسرع .

(١) سورة آل عمران ؛ الآية : ١٩١ .

(٢) سورة آل عمران ؛ الآية : ١٩٥ .

ولست أُرِيم حتى يقدم ابن عمي وأخي في الله عز وجل وأحب أهل بيتي  
إليّ فقد وقاني بنفسه من المشركين فبقي النبي ﷺ خمسة عشر يوماً فوافي  
علي بعياله وقد تظطرت قدماه فاعتنقه النبي وبكى رحمة لما بقدميه من  
الورم . وتفل في يديه وأمرهما على قدميه فلم يشتكهما بعد ذلك أبداً .

## إِقْتِرَانُ النُّورِينِ

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على رسول الله وعلى آله وآل الله .

قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْكَحُوا الْأَيَّامَ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١) .

النكاح من سنن الله تعالى في عباده ، والمقصود منه التناسل والتكاثر تحت ظل القانون الإلهي ، وليس الهدف منه إشباع الغريزة الجنسية فقط بل هو في ضمنه وإنما هو كالحصن يحفظ الإنسان من فساد الخلاعة وويلات الضجور .

والهدف الأسمى من النكاح هو : تأسيس بيت عائلي لتكوين جيل يربط الوالدين بتقبل المسؤوليات التي يتطلبها الجيل من بدو إيجاده إلى أن يقطع أوار الحياة ، وأطوارها من جنين ووليد ورضيع وفتيم وصبي وغلام ومراهق وشاب وياقع ، أو بنت وشابة وفتاة وامرأة .

فالتنسل بحاجة ماسة - في أدواره - إلى الكفيل والمربي والمنفق والمؤدب والولي ، إلى جانب حاجته إلى الرضاعة والحضانة والتربية والعناية

(١) سورة النور ، الآية : ٣٢ .

والخدمة وتأمين لوازم الحياة من المأكل والملبس والسكن والتعليم وما شابه ذلك .

ولا يندفع أحد إلى تحمل هذه المسؤوليات كما يندفع الوالدان ، ولا أظن أنني أحتاج في هذا البحث إلى إقامة الدليل والبرهان .

فهل تكون المرضعة كالأم ؟ ، وهل الموظفات في دور الحضانات والروضات يسهرن الليالي للطفل المريض كما تسهر الأم الحنون ؟؟

وقد قيل : ليست الثكلى كالمستأجرة ، فهناك فرق كبير وبون شاسع بين من يندفع للعناية والرعاية بالأطفال بدافع الأيوة والعاطفة والمحبة التي لا يكدرها شيء ، وبين من يتحمل مسؤولية بدافع الراتب والوظيفة .

وإدراك أهمية هذا الموقف كثيراً ما يحول بين الوالدين وبين إجابة رغبات الأولاد وتحقيق هواياتهم التي لا تسمن ولا تغني عن جوع ، فالإرتباط بالعائلة يدفع الإنسان إلى التفكير حول تأمين حياته والخوض في معركة العمل المشرف والإنتاج المفيد ، وفي الوقت نفسه يردعه عن كل مجازفة تهدد كيانه وحرته وتعرقل عليه المساعي كالإقدام على جريمة القتل أو ارتكاب الجنايات التي تؤدي إلى شقاء الوالدين .

وإن هذه الأحزاب والمبادئ - التي استولت على الشباب واستنزفت منهم كل نشاط وطاقة - لم تنجح إلا بعد أن تقهقرت سنة الزواج بين الملحمين ، وكثر عدد العزاب والبطالين الذين لا تربطهم بالحياة البيئية والعائلية أية رابطة أو مسؤولية ، ولعل الحديث المروي عن الإمام الصادق عليه السلام يشير إلى هذا الموضوع حيث قال عليه السلام : من تزوج فقد أحرز نصف دينه فليتق الله في النصف الآخر .

هذا والبحث طويل والكلام يحتاج إلى تفصيل ، وقد ذكرنا هذه المقدمة لحديثنا العذب في هذه الليلة .

العراقيل والمشاكل التي سدت على شبابنا طرق الزواج وجعلتهم يهابون

النكاح ولا يهابون السفاح ، ويفضلون الكبت والضغط (على غرائزهم) أو يرححون الفساد والمجون على انتخاب زوجة تشاركهم حلو الحياة ومرها وأفراحها وأتراحها . هذه العراقيل كانت موجودة في الجاهلية ولكن بصورة أخرى . كغلاء المهر والعصبيات القبلية وما شاكلها ، فتكونت عندهم الأزمات بجميع أقسامها ، واشتدت الحالة حتى أدت إلى دفن البنات وهن في قيد الحياة ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ؟ ﴾ (١) وقال عز وجل : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَفِيمٌ ، يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ؟ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (٢) .

فكان من جملة الخطوات الإصلاحية التي قام بها الرسول الأعظم ﷺ هو القضاء على هذه العادات الجهنمية والتقاليد الجاهلية ، وإلى هذه الناحية أشار القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ، وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ (٣) .

ولم يكتف الرسول الأقدس ﷺ بمكافحة هذه السيئات - عن طريق اللسان ، فالكلام - وحده - لا يجدي ، وإنما قام الرسول بفك هذه الأغلال عن طريق العمل . فمن جملة ذلك : أنه زوج إينته الطاهرة سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام بأبسط ما يمكن ، وتجسّم التساهل في ذلك الزواج المبارك بخفة المؤونة وانتهاء الأمر بكل بساطة بعيداً عن التكاليف المجهددة المتعبة التي يفرّ من شبحها الشباب المغلول بسلاسل التقاليد ويفضّل العزوبة على الزواج المقرون بالمشاكل ، وإليكم الواقعة :

(١) سورة التكويد ٤ الأيتان : ٨ و ٩ .

(٢) سورة النحل ٤ الأيتان : ٥٨ و ٥٩ .

(٣) سورة الأعراف ٥ الآية : ١٥٧ .

لما أدركت فاطمة بنت رسول الله ﷺ مدرك النساء خطبها أكابر قريش من أهل الفضل والسابقة في الإسلام ، والشرف والمال ، وكان كلما ذكرها رجل من قريش لرسول الله ﷺ أعرض عنه رسول الله ﷺ بوجهه ، حتى كان الرجل منهم يظن - في نفسه - أن رسول الله ﷺ فيه وحي من السماء .

ولقد خطبها من رسول الله ﷺ أبو بكر ، فقال له رسول الله ﷺ : أمرها إلى ربها ، وخطبها بعد أبي بكر عمر بن الخطاب ، فقال له رسول الله ﷺ كما قالته لأبي بكر .

فجاء أبو بكر وسعد بن معاذ إلى علي بن أبي طالب وهو خارج المدينة يسقي نخلاً له ، وسألاه عما يسمعه عن خطبة فاطمة بنتك فقال لهما علي : ما يمنعني إلا الحياة وقلة ذات اليد (المال) فقال له سعد : إذهب إلى رسول الله ﷺ واخطب منه فاطمة ، فإنه يزوجهك ، والله ما أرى رسول الله ﷺ يحبسها إلا عليك . فقال علي : فأقول ماذا ؟ فقال سعد : تقول : جئت خاطباً إلى الله ورسوله فاطمة بنت محمد .

فأقبل علي بن أبي طالب يقصد دار النبي ، وهبط جبرئيل على الرسول وأخبره بمجيء علي ، وكان رسول الله ﷺ في دار أم سلمة ، فلق علي الباب ، فقالت أم سلمة : من بالباب ؟ فقال لها الرسول - من قبل أن يقول علي : أنا - : قومي يا أم سلمة فافتحي له الباب ، ومُريه بالدخول ، فهذا رجل يحبه الله ورسوله ويحبهما .

فقالت أم سلمة : فذاك أبي وأمي ، ومن هذا الذي تذكر فيه هذا وأنت لم تراه ؟ فقال : مه يا أم سلمة ، فهذا رجل ليس بالخرق ولا بالنزق<sup>(١)</sup> ، هذا أخي وابن عمي وأحب الخلق إلي .

فقامت أم سلمة وفتحت الباب وإذا هو علي بن أبي طالب قالت أم سلمة : والله ما دخل حين فتحت الباب حتى علم أنني رجعت إلى جذري ، ثم

(١) الخرق : سوء التصرف والجاهل . والنزق : الخفيف في كل أمر ، العجول في الجهل والحمق .

دخل على رسول الله ﷺ فقال : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته . فقال النبي : وعليك السلام إجلس .

فجلس علي ، وجعل ينظر إلى الأرض ، كأنه قصد لحاجة وهو يستحي أن يديها ، فهو مطرق إلى الأرض حياة من رسول الله ﷺ فقال النبي : إني أرى أنك أتيت لحاجة ، فقل ما حاجتك ؟ وأبد ما في نفسك فكل حاجة لك مقضية .

فقال علي عليه السلام : فذاك أبي وأمي ، إنك لتعلم أنك أخذتني من صعب أبي طالب ومن فاطمة بنت أسد وأنا صبي ، فغذيتني بغذائك وأدبتني بأدبك ، فكنت إلي أفضل من أبي طالب ومن فاطمة بنت أسد في البر والشفقة ، وأن الله تعالى هداني بك وعلى يدك وأنت (والله) يا رسول الله ذخري وذخيرتي في الدنيا والآخرة .

يا رسول الله : فقد أحبيت - مع ما شد الله من عضدي بك - أن يكون لي بيت وأن يكون لي زوجة أسكن إليها ، وقد أتيتك خاطباً راعياً ، أخطبت إليك ابنتك فاطمة ! فهل أنت مزوجي يا رسول الله ؟

فتهلل وجه رسول الله فرحاً وسروراً ، ثم تسم في وجه علي وقال : فهل معك شيء أزوجك به ؟ فقال علي : فذاك أبي وأمي ، والله ما يخفى عليك من أمري شيء ، أملك سيفي ودرعي وناضحي (البعير الذي يحمل عليه الماء) وما لي شيء غير هذا . فقال رسول الله ﷺ : يا علي أما سيفك فلا غنى بك عنه ، تجاهد به في سبيل الله وتقاتل به أعداء الله . وناضحك تنضح به علي نخلك وأهلك ، وتحمل عليه رحلك في سفرك ولكني قد زوجتك بالدرع ، ورضيت بها منك .

يا علي أبشرك ؟ . فقال : نعم فذاك أبي وأمي ، بشرني فإنك لم تزل ميمون النقية ، مبارك الطائر ، رشيد الأمر ، صلى الله عليك . فقال ﷺ : إيشرفان الله قد زوجكها في السماء من قبل أن أزوجك في الأرض . . إلى آخر كلامه .

ثم قال : يا علي إنه قد ذكرها قبلك رجال فذكرت ذلك لها فرأيت الكراهة في وجهها ولكن علي رسلك حتى أخرج إليك فدخل عليها فقامت فأخذت رداءه ونزعت نعليه وأنته بالوضوء فوضته بيدها وغسلت رجله ثم قعدت فقال لها : يا فاطمة فقالت : لبيك ما حاجتك يا رسول الله ؟ قال : إن علي بن أبي طالب من قد عرفت قرابته وفضله وإسلامه وإني قد سألت ربي أن يزوجهك خير خلقه وأحبهم إليه وقد ذكر عن أمرك شيئاً فما ترين ؟ فسكتت ولم تول وجهها ولم ير فيها رسول الله ﷺ كراهة ، فقام وهو يقول : الله أكبر ، سكوتهما إقرارها ، فمضى علي إلى المسجد ، وجاء رسول الله في أثره ، وفي المسجد المهاجرون والأنصار ، فصعد رسول الله ﷺ على درجة من المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : معاشر المسلمين إن جبرئيل أتاني آنفاً فأخبرني عن ربي عز وجل أنه جمع الملائكة عند البيت المعمور وأنه أشهدهم جميعاً أنه زوج أمته فاطمة بنت رسول الله من عبده علي بن أبي طالب ، وأمرني أن أزوجه في الأرض وأشهدكم على ذلك ، ثم جلس وقال لعلي : قم يا أبا الحسن فاخطب أنت لنفسك : فقام وحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ وقال : الحمد لله شكراً لأنعمه وأياديه ، ولا إله إلا الله شهادة تبلغه وترضيه ، وصلى الله على محمد صلاة نزلفه وتحظيه ، والنكاح مما أمر الله عز وجل به ورضيه ، ومجلسنا هذا مما قضاه الله وأذن فيه ، وقد زوجني رسول الله إبنته فاطمة ، وجعل صداقها درعي هذا وقد رضيت بذلك فاسألوه واشهدوا . فقال المسلمون لرسول الله ﷺ : زوجتته يا رسول الله ؟ فقال : نعم . فقالوا بارك الله لهما شملهما . وانصرف رسول الله إلى أزواجه وأقبل فقال : يا علي انطلق الآن فبع درعك وأتني بثمنه حتى أهيء لك ولإبنتي فاطمة ما يصلحكما قال علي : فأنطلقت فبعته بأربعمائة درهم سود هجرية وقيل بأربعمائة وثمانين أو خمسمائة من عثمان بن عفان فلما قبضت الدراهم أقبلت إلى رسول الله وطرحت الدراهم بين يديه ، فدعا رسول الله ﷺ بأبي بكر فدفعها إليه وقال : اشتر بهذه الدراهم لإبنتي ما يصلح لها في بيتها ، وبعث معه سلمان وبلالاً ليعيناه علي حمل ما يشتريه ، قال أبو بكر : أحصيت الدراهم

التي أعطانيها ثلاثة وستين درهماً فانطلقت واشترت فراشاً من خيش مصر  
محمشواً بالصوف ، ونظماً من آدم ، ووسادة من آدم حشوها من ليف النخل ،  
وعبادة خييرية ، وقربة للماء ، وكيزاناً ، وجراراً ، ومطهرة للماء ، وستر  
صوف ، رقيقاً وحملناه جميعاً حتى وضعناه بين يدي رسول الله ﷺ فلما نظر  
إليه بكى ، وجرت دموعه ثم رفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم بارك لقوم جُل  
آيتهم الخرف ! قال علي : ودفع رسول الله ﷺ باقي ثمن الدرع إلى أم سلمة  
فقال : أتركي هذه الدراهم عندك . ومكثت بعد ذلك شهراً لا أعاود رسول  
الله ﷺ في أمر فاطمة بشيء استحياء من رسول الله ﷺ غير أنني كنت إذا خلوت  
برسول الله ﷺ يقول لي : يا أبا الحسن ما زوجتك سيئة نساء العالمين . قال  
علي : فلما كان بعد شهر دخل علي أخى عقيل بن أبي طالب فقال : يا أخى ما  
فرحت بشيء كفرحي بتزويجك فاطمة بنت محمد ﷺ ، يا أخى فما بالك لا  
تسأل رسول الله ﷺ يدخلها عليك فتقر عيناً باجتماع شملكما ؟ قال علي :  
والله يا أخى إنني لأحب ذلك وما يمنعني من مسأله إلا الحياء منه ، فقال :  
أقمت عليك إلا قمت معي . فقمنا نريد رسول الله ﷺ فلقيتنا في طريقنا أم  
أيمن مولاة رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك لها فقالت لا تفعل ودعنا نحن نكلمه ،  
فإن كلام النساء في هذا الأمر أحسن وأوقع بقلوب الرجال . ثم انثنت راجعة  
فدخلت على أم سلمة فأعلمتها بذلك وأعلمت نساء النبي فاجتمعن عند رسول  
الله ﷺ وكان في بيت عائشة فأحدقن به وقلن : فديناك بأبائنا وأمهاتنا يا رسول الله  
قد اجتمعنا لأمر لو أن خديجة في الأحياء لقرت بذلك عيبتها . قالت أم سلمة :  
فلما ذكرنا خديجة بكى رسول الله ﷺ ثم قال : خديجة ! وأين مثل خديجة ؟  
صدقتني حين كذبتني التماس وأزرتني على دين الله وأعانتني عليه بمالها ! إن  
الله عز وجل أمرني أن أبشر خديجة ببيت في الجنة من قصب الزمرد ، لا  
يصخب فيه ولا نصب . قالت أم سلمة فقلنا : فديناك بأبائنا وأمهاتنا يا رسول الله  
إنك لم تذكر من خديجة أمراً إلا وقد كانت كذلك ، خير أنها قد مضت إلى ربها  
فهناها الله بذلك وجمع بيتنا وبينها في درجات جنته ورضوانه ورحمته ، يا رسول  
الله وهذا أخوك في الدنيا وابن عمك في النسب علي بن أبي طالب نعمته يحب

أن تدخل عليه زوجته فاطمة تجمع بها شمله . فقال : يا أم سلمة فما بال علي لا يسألني ذلك ؟ فقلت : الحياء منك يا رسول الله . قالت أم أيمن : فقال لي رسول الله ﷺ : انطلقني إلى علي فأتيني به ، فخرجت من عند رسول الله ، فإذا علي ينتظرنني ، ليسألني عن جواب رسول الله ﷺ ، وحضر علي ﷺ عند رسول الله ﷺ .

فقال له رسول الله ﷺ : هيء منزلاً حتى تحول فاطمة إليه ، فقال علي ﷺ : يا رسول الله ما ههنا منزل إلا منزل حارثة بن النعمان وكان لفاطمة ﷺ يوم بنى بها أمير المؤمنين ﷺ تسع سنين ، فقال رسول الله ﷺ : والله لقد استحيينا من حارثة بن النعمان قد أخذنا عامة منازلنا . فبلغ ذلك حارثة فجاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أنا ومالي لله ولرسوله ، والله ما شيء أحب إلي مما تأخذه والذي تأخذه أحب إلي مما تركه ، فجزأه رسول الله ﷺ خيراً ، فحولت فاطمة إلى علي ﷺ في منزل حارثة ، وسطوا في بيت علي كنيباً (الرملة) ، ونصبوا عوداً يوضع عليه السقاء (القربة) وسثروه بكساء ونصبوا خشبة من حائط إلى حائط للشباب ويسط جلد كبش ومخدة ليف .

فقال النبي ﷺ : يا علي إصنع لأهلك طعاماً فاضلاً ، فجاء أصحابه بالهدايا ، فأمر النبي ﷺ فطحن البر (الحنطة) ونخبز ، وذبح الكبش واشترى علي تمرأ وسمنأ ، وأقبل رسول الله ﷺ وحسر عن ذراعيه ، وجعل يشدخ التمر في السمن فقال النبي : يا علي أدع من أحببت .

قال علي : فأتيت المسجد وهو غاص بالناس ، فتأديت : أجيئوا إلي وليمة فاطمة بنت محمد ، فأجابوا من التخلات والزرع ، وأقبل الناس إرسالاً وهم أكثر من أربعة آلاف رجل ، وسائر نساء المدينة ، ورفعوا منها ما أرادوا ، ولم ينقص من الطعام شيء ، ثم دعا رسول الله ﷺ بالصحاف (الأواني) فملئت ، ووجه بها إلى منازل أزواجه ثم أخذ صحيفة ، وقال : هذه لفاطمة ويعملها .

(عن ابن بابويه) : أمر النبي ﷺ بنات عبد المطلب ونساء المهاجرين  
والأنصار أن يمضين في صحبة فاطمة سلام الله عليها وأن يفرحن ويرجزن  
ويكبرن ويحمدن ولا يقولن ما لا يرضي الله .

قال جابر : فأركبها على ناقته - وفي رواية على بغلته الشهباء - وأخذ  
سلمان زمامها والنبي وحمزة وعقيل وجعفر وأهل البيت يمشون خلفها مشهرين  
سيوفهم ونساء النبي ﷺ قدامها يرجزن ، فأثبات أم سلمة تقول :

سرن بعسوق الله جاراتي      واشكرنه في كل حالات  
واذكرن ما أنعم رب السعلى      من كشف مكروه وأفات  
فقد هدانا بعد كفر وقد      أنعشنا رب السماوات  
وسرن مع خير نساء الورى      تغدى بعمات وخالات  
يا بنت من فضله ذو العلى      بالسوحى منه والرسالات  
وقالت عاتبة :

يا نسوة استشرن بالمعاجر      واذكرن رب الناس إذ خصنا  
والحمد لله على أفضاله      والشكر لله العزيز القادر  
سرن بها فالله أعطى ذكرها      وخصها منه بطهر طاهر  
وقالت حفصة :

فاطممة خير نساء البشر      ومن لها وجه كوجه القمر  
فضلك الله على كل الورى      بفضل من خص بأي الزمر  
زوجك الله فتى فاضلاً      اعني علياً خير من في الحضر  
فسرن جاراتي بها فإنها      كريمة بنت عظيم الخطر  
وقالت معاذة أم سعد بن معاذ :

أقول قولاً فيه ما فيه      وأذكر الخير وأبديه  
محمد خير بني آدم      ما فيه من كبر ولا تيه

بفضله عرفنا رشدنا      فإله بالخير يجازيه  
ونحن مع بنت نبي الهدى      ذي شرف قد مكنت فيه  
في ذروة شامخة أصلها      فما أرى شيئاً يبدانيه

وكانت النسوة يرجعن أول بيت من كل رجز ثم يكبرن ويدخلن الدار  
ثم أنفذ رسول الله ﷺ إلى علي بنك ثم دعا فاطمة سلام الله عليها فأخذ  
يدها ووضعها في يده وقال : بارك الله في ابنة رسول الله . يا علي : نعم  
الزوجة فاطمة ويا فاطمة نعم الزوج علي ، ثم قال : يا علي هذه فاطمة  
وديعتي عنك ، ثم قال النبي ﷺ : اللهم إجمع شملهما ، وآلف بين  
قلوبهما ، واجعلهما وذريتهما من ورثة جنة النعيم ، وارزقهما ذرية طاهرة  
طيبة مباركة ، واجعل في ذريتهما البركة واجعلهم أئمة يهدون بأسرك إلى  
طاعتك ويأمرون بما يرضيك ، اللهم إنهما أحب خلقك إليّ ، فأجبهما  
واجعل عليهما منك حافظاً وإنني أعيدهما بك وذريتهما من الشيطان  
الرجيم .

ثم خرج إلى الباب وهو يقول : طهركما وطهر نسلكما ، أنا مسلم  
لمن سالمكما ، وحرب لمن حاربكما ، أستودعكما الله ، وأستخلفه  
عليكما .

وباتت أسماء عندهما في البيت ، وأصبح الصباح ، وجاء رسول  
الله ﷺ إلى زيارة العروسين ، وقال : السلام عليكما ، أَدْخَلْ ؟ ففتحت  
أسماء الباب فدخل النبي ، فسأل علياً بنك : كيف وجدت أهلك ؟ قال :  
نعم العون على طاعة الله ، وسأل فاطمة فقالت : خير بعل ، وجاء النبي  
بعس (قدح) فيه لبن فقال لفاطمة : إشربي فذاك أبوك ، وقال لعلي :  
إشرب فذاك ابن عمك .

ثم قال النبي ﷺ : يا علي أتيني بكوز من ماء ، فجاء علي بكوز من ماء  
فتقل فيه ثلاثاً ، وقرأ عليه آيات من كتاب الله تعالى ثم قال : يا علي  
إشربه ، واترك فيه قليلاً ففعل علي ذلك . فرش النبي ﷺ باقي الماء

علي راسه وصدره ، ثم قال : أذهب الله عنك الرجس يا علي وطهرتك تطهيراً . وأمره بالخروج من البيت وخلي بيئته فاطمة وقال : كيف أنت يا بنية ؟ وكيف رأيت زوجك ؟ قالت : يا أبا خير زوج إلا أنه دخل علي نساء من قريش وقتلن لي : زوجك رسول الله من فقير لا مال له . فقال رسول الله ﷺ يا بنية ما أبوك بفقير ، ولا بملك بفقير . ولقد عرضت علي خزائن الأرض من الذهب والفضة فاخترت ما عند ربي عز وجل ، يا بنية لو تعلمين ما علم أبوك لسمحت الدنيا في عينيك ، والله يا بنية ما ألوتك نصحاً ، إني زوجتك أقدمهم سلماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حليماً ، يا بنية إن الله عز وجل اطلع إلى الأرض فاختار من أهلها رجلين فجعل أحدهما أبك والآخر بملك . يا بنية نعم الزوج زوجك لا تعصي له أمراً<sup>(١)</sup> .

---

(١) اقتطفنا أحاديث هذا البحث من المجلد العاشر من كتاب بحار الأنوار لشيخنا المجلسي (ره) .

## علي (ع) والجهاد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما أنعم وصلى الله على سيد العرب والعجم محمد وآله أهل الجود والكرم .

قال الله تعالى : ﴿إِن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون﴾ (١) الآية .

الإسلام هو الدين الوحيد الذي يحافظ على الأمن والسلام ، وهو الذي يحافظ على النفوس والأموال والحقوق أكثر من أي دين آخر ، وأبغض شيء عند الإسلام هو إراقة دماء البشر وسلبهم نعمة الحياة بغير حق ، ولكن الشرع والعقل والقانون يسمح بإراقة دم كل من يقف حجر عثرة في سبيل إسعاد أبناء البشر .

مثلاً : بلدة ليس فيها طبيب ولا دواء ، وقد انتشرت فيهم الأمراض وأخذت منهم كل مأخذ ، فجاء طبيب يداوي المرضى ويهب لهم الدواء مجاناً وبلا عوض ، ويصلح كل ما فسد منهم ويعيد إليهم ما فقلوه من الصحة والعافية والسلامة ليعيشوا سعداء أصحاء .

(١) سورة التوبة ، الآية : ١١١ .

وإذا بجماعة يحولون بين الطبيب وبين تداوي الناس ويحاربونه بكل ما لديهم من قوة ليحطوا من نشاط الطبيب ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، وكلما صاح فيهم الطبيب وصرخ وذكر لهم الهدف الذي يتغيه لأجلهم وهو الخير ازدادوا عنادا ، وجعلوا يهددون المرضى - الذين قد تحسنت صحتهم ولمسوا العافية من نصائح الطبيب - بالوعيد ، وكان هؤلاء لا يعجبهم أن يروا السلامة والصحة تخيمان على رؤوس المرضى .

اليس العقل يحكم على هؤلاء المهرجين بالإعدام ؟

أليس هؤلاء أضر على البشر من الحيوانات المفترسة ؟

أليس هؤلاء أشد خطراً من الأمراض الفتاكة التي تهدد البشر بالفناء ؟  
فالمريض هو المجتمع الجاهلي الفاسد ، والطبيب هو الرسول ، والمهرجون هم المناوئون للرسول ، على هذا أمر الإسلام بجهاد المشركين والكفار الذين حاربوا رسول الله ﷺ يوم كان في مكة وهجموا عليه ليقتلوه وكفاه الله شرهم ، واضطر النبي أن يترك مسقط رأسه ويهاجر من وطنه كي يستطيع الاستمرار في الدعوة إلى مبدئه وإذا بالأعداء يطاردونه ، وتتحزب الأحزاب ضده ، ويستعين بعضهم ببعض للقضاء على الرسول ومبدئه وعلى كل من اعتنق ذلك الدين الذي اعتبروه ديناً جديداً .

ولا بد للرسول الأعظم أن يقف أمام هؤلاء للدفاع عن نفسه ومبدئه فهو بحاجة ماسة إلى الأنصار والأعوان ليقاوم بهم أعداءه الألداء ، وهم - الأنصار - أصحابه الذين أسلموا على يديه وهاجروا من مكة ، وفيهم الشيوخ والكهول والشبان والمراهقون ، وقد امتلأوا حياً للإسلام وتسلحوا بسلاح الإيمان الذي هو أقوى سلاح .

ولكن غريزة حب الحياة ما فارقتهم في بدء الأمر ، فمن الصعب المستصعب عليهم أن يخوضوا غمار الموت ، ويستقبلوا السيوف والرمح وخاصة وهم الأقلون عدداً وعدة ، وعدوهم هو الأكثر عدداً وعدة .

وقعت الحرب الأولى للمسلمين في منطقة بين المدينة ومكة يقال لها : ( بدر) فقد خرج الرسول بجيشه إلى ذلك الموضع واستقبل المشركين الذين قصدوه من مكة ، وفي بدر التقى العسكران وكان عدد المسلمين ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، وعدد المشركين بين التعمامة والألف وقد اجتمع مشركو مكة وكفارها، وفيهم أقطاب الشرك كأبي جهل وأبي سفيان ، وهم يزعمون أن الغلبة لهم والنصر والظفر من نصيبهم ، ولكن الله أراد شيئاً آخر ، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله .

وكان علي عليه السلام له الحظ الأوفر والنصيب الأكثر من الشجاعة ومقاتلة الأبطال ومنازلة الشجعان ، ولا أقصد من كلمتي هذه أن علياً كان سفاكاً للدماء ، بل المقصود : أن إيمان علي عليه السلام بالله كان فوق كل غريزة وكل اتجاه ، مع العلم أنه كان يومذاك في ريعان الشباب ، والشباب أكثر تعلقاً بالحياة من الشيخ الذي قضى وطره من حياة الدنيا ، مع ذلك لم يكن علي عليه السلام يعرف للخوف معنى ، ولا للجبن مفهوماً في نفسه ، بل كان يستقبل الموت برحابة صدر ويهرول في الحرب جانب العدو كأنه يقصد شيئاً يحبه حتى أجمع المسلمون وغير المسلمين أن علياً أشجع العرب والعجم ، ولم يشهد التاريخ له مثيلاً ونظيراً فضلاً من أن يرى أشجع منه .

وهذه نبذة من غزوات الرسول ﷺ التي حضرها الإمام . وكان نصيبه من الجهد والعناء أكثر من غيره ، ولم يسلم علي من سهام العدو وسيوفهم ، بل كانت الجراحات تأخذ من مقادير بدنه كل ما أخذ ، ولولا حفظ الله وعنايته لكان علي من المقتولين في تلك الحروب .

قال ابن أبي الحديد :

وأما الجهاد في سبيل الله فمعلوم عند - صديقه وعدوه - أنه سيد المجاهدين وهل الجهاد لأحد من الناس إلا له ؟ وقد عرفت أن أعظم غزوة غزاها رسول الله ﷺ وأشدّها نكابة في المشركين : بدر الكبرى التي قُتل

فيها سبعون من المشركين ، قتل علي نصفهم ، وقتل المسلمون والملائكة النصف الآخر ، وإذا رجعت إلى مغازي محمد بن عمر الواقدي وتاريخ الأشراف ليحيى بن جابر البلاذري وغيرهما علمت صحة ذلك دع من قتله في غيرها كأحد والمختلق وغيرهما . . .

فلنبدأ بذكر الغزوات حسب التاريخ مع رعاية الإجمال والاختصار وتذكر مواقف علي عليه السلام فيها :

## علي (ع) يوم بدر

في البحار : ج ٦ قال الإمام الباقر عليه السلام : انتدب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة بدر إلى الماء ، فانتدب علي عليه السلام ، فخرج ، وكانت ليلة باردة ذات ريح وظلمة فخرج بقربته ، فلما كان إلى القليب (البش) لم يجد دلواً ، فنزل في الحب تلك الساعة ، فملاً قربة ، ثم أقبل فاستقبلته ريح شديدة فجلس حتى مضت ، ثم قام ، ثم مرّت به ريح أخرى فجلس حتى مضت ، ثم قام ، ثم مرّت به أخرى فجلس حتى مضت ، فلما جاء إلى النبي قال له النبي صلى الله عليه وسلم : ما جبك يا علي ؟ قال : لقيت ريحاً ثم ريحاً ثم ريحاً شديدة فأصابني قشعريرة .

فقال : أتدري ما كان ذلك يا علي ؟ فقال : لا . فقال : ذلك جبريل مرّ في ألف من الملائكة وقد سلم عليك وسلموا ، ثم مرّ ميكائيل في ألف من الملائكة فسلم عليك وسلموا ، ثم مرّ إسرافيل وألف من الملائكة فسلم عليك وسلموا .

وفي هذه الليلة اختص أمير المؤمنين عليه السلام بثلاثة آلاف فضيلة وثلاث فضائل ، لتسلم ثلاثة آلاف وثلاثة من الملائكة عليه ، وفيها يقول الحميري :

أقسم بالله وآله والمرء عما قال مسؤول

إن علي بن أبي طالب  
كان إذا الحرب مرتها القنا  
يمشي إلى القرن وفي كفه  
شي العفرنا بين أشباله  
ذاك الذي سلم في ليلة  
ميكال في ألف وجبريل في  
ليلة بدر مدداً انزلوا  
على التقى والبرمجبول  
واحجمت عنها البهاليل  
أبيض ماخبي الحد مصقول  
أبرزه للقص الغليل  
عليه ميكال وجبريل  
ألف ويستلوهم اسرافيل  
كانهم طير أبابيل

ولما أصبح الصباح امتعد الفريقان للحرب ، وتقدم عتبة وأخوه شيبة  
وابنه الوليد ، وقالوا : يا محمد أخرج إلينا أكفأنا من قريش ، فبرز إليه  
ثلاثة نفر من الأنصار وانتسبوا لهم فقالوا : ارجعوا إنما نريد الإكفاء من  
قريش ، فنظر رسول الله ﷺ إلى عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وكان  
له يومئذ سبعون سنة فقال : قم يا عبيدة ، فقام بين يديه بالسيف ونظر إلى  
حمزة فقال : قم يا عم ، ثم نظر إلى علي فقال : قم يا علي (وكان أصغر  
القوم) فاطلبوا بحقكم الذي جعله الله لكم فقد جاءت قريش بخيلائها  
وفخرها ، تريد أن تظنيء نور الله ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره فقاموا بين  
يدي رسول الله ﷺ ثم قال : يا عبيدة عليك بعتبة بن ربيعة وقال لحمزة :  
عليك بشيبة . وقال لعلي عليه السلام : عليك بالوليد ، فمروا حتى انتهوا إلى  
القوم فقالوا : أكفأ كرام فحمل عبيدة على عتبة فضربه على رأسه ضربة  
فلقت هامته ، وضرب عتبة عبيدة على ساقه فأطننها (قطعها) فسقطا جميعاً  
وحمل شيبة على حمزة فتضاربا بالسيفين حتى انثلما ، وحمل أمير  
المؤمنين عليه السلام على الوليد فضربه على حبل عاتقه فأخرج السيف من إبطه ،  
قال علي عليه السلام لقد أخذ الوليد يمينه بشماله فضرب بها هامتي فظننت أن  
السماء وقعت على الأرض ثم اعتنق حمزة وشيبة فقال المسلمون : يا علي  
أما ترى الكلب (بهرخ ل) نهز عمك ؟ فحمل عليه علي عليه السلام فقال : يا عم  
طأطأ رأسك ، وكان حمزة أطول من شيبة فأدخل حمزة رأسه في صدره

فضرب علي بنك شبة فطرح نصفه ، ثم جاء إلى عتبة وبه رمق فأجهز عليه .

وفي رواية أخرى : أنه برز حمزة لعتبة ، وبرز عبيدة لشيبة وبرز علي للوليد فقتل حمزة عتبة ، وقتل عبيدة شيبة ، وقتل علي الوليد ، وضرب شيبة رجل عبيدة فقطعها فاستنقله حمزة وعلي ، وحمل حمزة وعلي عبيدة حتى أتيا به رسول الله ﷺ فاستعبر فقال : يا رسول الله ألسنت شهيداً ؟ قال : بلى أنت أول شهيد من أهل بيتي .

فقال : أما لو كان عمك حياً لعلم أنني أولى بما قال منه ، قال : وأي أعمامي تعني ؟ فقال : أبو طالب حيث يقول :

كذبتهم وبيت الله يبزى محمد ولما نطاعن دونه ونناضل  
ونسلمه حتى نصرع حوله ونسذهل عن ابنائنا والحلائل

فقال رسول الله ﷺ : أما ترى إنه كالليث العادي بين يدي الله ورسوله وإينه الآخر في جهاد الله بأرض الحبشة ، فقال : يا رسول الله أسخطت علي في هذه الحالة ؟ فقال : ما سخطت عليك ، ولكن ذكرت عمي فانقبضت لذلك .

كان القتلى من المشركين يوم بدر سبعين ، قتل منهم علي بن أبي طالب سبعة وعشرين ، وكان الأسرى سبعين !! .

صورة أخرى للواقعة : فصاح بهم عتبة : انشروا نعرفكم ، فإن تكونوا أكفاه نقاتلكم . فقال عبيدة : أنا عبيدة وهو يومئذ أكبر المسلمين ، فقال : هو كفو كريم ، ثم قال لحمزة : من أنت ؟ قال : حمزة بن عبد المطلب ، أنا أسد الله وأسد رسوله ، أنا صاحب الحلفاء ، فقال له عتبة : سترى صولتك اليوم يا أسد الله وأسد رسوله قد لقيت أسد المطيبين !! فقال لعلي : من أنت ؟ فقال : أنا عبد الله وأخو رسوله ، أنا علي بن أبي طالب . فقال : يا وليد دونك الغلام ، فأقبل الوليد يشتد إلى علي ، قد

تنور وتخلق . وعليه خاتم من ذهب ، بيده السيف قال علي : قد طال علي  
في طول نحو من ذراع ، فختلته حتى ضربت يده التي فيها السيف ،  
فيلدت يده ويذر السيف حتى نظرت إلى بصيص (بريق) الذهب في  
البطحاء ، وصاح صيحة اسمع أهل العسكرين فذهب مولياً نحو أبيه وشد  
عليه علي بن أبي طالب ، فضرب فده فسقط ، وقام علي بن أبي طالب وقال :

أنا ابن ذي الخوضين عبد المطلب      وهاشم المطعم في العام السغب  
أرفي بميثاقي وأحمي عن حسب

ثم ضربه فقطع فخذه . ففي ذلك تقول هند بنت عتبة :

أبي وعمي وشقيق بكري      أخي الذي كانوا كضوء البدر  
بهم كسرت يا علي ظهري

## عليّ (ع) يوم أُحد

أُحد : إسم منطقة بالقرب من المدينة في سفح الجبل ، وفيها وقعت واقعة أُحد ، والتقى المسلمون بالمشركين ، واشتعلت نار الحرب وقامت على ساق ، نكتطف من الواقعة موقف عليّ ﷺ فيها ، وما أصابه من العناء .

وقد كانت راية قريش مع طلحة بن أبي العديري من بني عبد الدار ، فبرز ونادى : يا محمد أو يا معاشر أصحاب محمد تزعمون أنكم تجهزوننا بأسيافكم إلى النار ونجهزكم بأسيافنا إلى الجنة ، فمن شاء أن يلحق بجنته فليبرز إليّ ، فبرز إليه أمير المؤمنين ﷺ وهو يقول :

يا طلح إن كنتم كما تقولون لكم خيول ولنا نصول  
فأبنت لتنظر أيننا المقتول وأيننا أولى بما تقول  
فقد أتاك الأمد الصول

بصارم ليس به فلول ينصره القاهر والرسول

فقال طلحة : من أنت يا غلام ؟ قال : أنا علي بن أبي طالب ، قال : قد علمت يا قضم ، إنه لا يجسر عليّ أحد غيرك ، فشد عليه طلحة فضربه ، فاتقاه أمير المؤمنين ﷺ بالحجفة ، ثم ضربه أمير المؤمنين عليّ فخذيه فقطعهما جميعاً فسقط على ظهره ، وسقطت الراية ، فذهب عليّ ﷺ

ليجهز عليه فحلقه بالرحم فانصرف عنه ، فقال المسلمون : الا أجهزت عليه ؟ قال : قد ضربته ضربة لا يعيش منها أبداً ، ثم أخذ الراية سعيد بن أبي طلحة ، فقتله علي بنك ، وسقطت رايته إلى الأرض فأخذها عثمان بن طلحة ، فقتله علي بنك وسقطت رايته إلى الأرض فأخذها الحارث بن أبي طلحة ، فقتله علي بنك وسقطت رايته إلى الأرض فأخذها عزيز بن عثمان فقتله علي بنك وسقطت رايته إلى الأرض فأخذها عبد الله بن جميلة بن زهير فقتله علي بنك وسقطت رايته إلى الأرض ، فقتل أمير المؤمنين التاسع من بني الدار وهو أروطة بن شرحبيل مبارزة ، وسقطت الراية إلى الأرض فأخذها مولاهم صواب فضربه أمير المؤمنين بنك على يمينه فقطعها ، وسقطت الراية إلى الأرض فأخذها شماله ، فضربه أمير المؤمنين بنك على شماله فقطعها فسقطت الراية إلى الأرض فاحتضنها بيديه المقطوعتين ، ثم قال : يا بني عبد الدار هل أعذرت فيما بيني وبينكم ؟ فضربه أمير المؤمنين بنك على رأسه فقتله وسقطت الراية إلى الأرض ، فأخذتها عمرة بنت علقمة الحارثية فنصبتها .

وانهزم المشركون وتبعهم المسلمون وشرعوا بجمع الغنائم ، ولما رأى المشركون ذلك ووجدوا المسلمين مشغولين بالنهب رجعوا من طريق آخر ، وجعلوا المسلمين في الوسط ، وحملوا عليهم حملة رجل واحد ، بقيادة خالد بن الوليد ، وقتلوا من المسلمين مقتلة عظيمة ، وانقسم الناس آنذاك إلى قسمين : المنهزمين وهم الأكثر عدداً ، والثابتين وهم ما بين قتيل وجريح ، وكان علي بنك أكثرهم جراحاً ، فقد أصيب في ذلك اليوم بتسعين جراحة يصعب علاجها وتداويها<sup>(١)</sup> .

في البحار : وقال شقيق بن سلمة : كنت أماشي عمر بن الخطاب إذ سمعت منه مهمة ، فقلت له : مه يا عمر ؟ فقال : ويحك ! أما ترى الهزير القثم بن القثم ، والضارب باليهم ، الشديد على من طغى وبغى ،

(١) البحار - ج ٦ .

بالسيفين والراية !! فالتفت فإذا هو علي بن أبي طالب . فقال : أدن مني أحدثك عن شجاعته وبطولته ، بايعنا النبي ﷺ يوم أحد على أن لا نفر ، ومن فر منا فهو ضال ، ومن قتل منا فهو شهيد ، والنبي ﷺ زعيمه ، إذ حمل علينا مائة صنديد ، تحت كل صنديد مائة رجل أو يزيدون ، فأزعجوننا عن طاحوتنا ، فرأيت علياً ﷺ كالليث يتقي الذر إذ قد حمل كفاً من حصي فرمى به وجوهنا ، ثم قال : وشاهدت الوجوه ، وقطت ويطت ولطت ، إلى أين تفرون ؟ إلى النار؟ فلم نرجع ، ثم كر علينا الثانية ويده صفيحة يقطر منها الموت !! فقال : بايعتم ثم نكثتم ؟ فوالله لأنتم أولى بالقتل ممن أقتل ، فنظرت إلى عينيه كأنهما سيطان يتوقدان ناراً ، أو كالقدحين المملوئين دماً ، فما ظنت إلا وبأتي علينا كلنا فبادرت أنا إليه من بين أصحابي فقلت : يا أبا الحسن ، الله الله !! فإن العرب نفر وتكر ، وإن الكرة تنفي القرية . فكأنه استحمياً ، فولى بوجهه عني ، فما زلت أسكن روعة فؤادي فوالله ما خرج ذلك الرعب من قلبي حتى الساعة . . . ولم يبق مع رسول الله ﷺ إلا أبو دجانة سماك بن خرشة وأمير المؤمنين ﷺ وكلما حملت طائفة على رسول الله ﷺ استقبلهم أمير المؤمنين صلوات الله عليه فيدفعهم عن رسول الله ، ويقتلهم حتى انقطع سيفه .

عن عكرمة قال : سمعت علياً ﷺ يقول : لما انهزم الناس يوم أحد عن رسول الله ﷺ لحقني من الجزع عليه ما لم يلحقني قط ، ولم أملك نفسي وكنت أمامه أضرب بسيفي بين يديه ، فرجعت أطلبه فلم أراه فقلت : ما كان رسول الله ﷺ ليغر ، وما رأيت في القتلى ، وأظنه رفع من بيننا إلى السماء ، فكسرت جفن سيفي ، وقلت في نفسي : لأقاتلن به عنه حتى أقتل ، وحملت على القوم فأفرجوا عني وإذا أنا برسول الله ﷺ قد وقع على الأرض مغشياً عليه فقممت على رأسه ، فنظر إلي فقال : ما صنع الناس يا علي : فقلت : كفروا يا رسول الله ، وولوا الدُّبر من العدو ، وأسلموك ، فنظر النبي ﷺ إلى كتيبة قد أقبلت إليه فقال لي : رد عني يا علي هذه الكتيبة ، فحملت عليها أضربها بسيفي يميناً وشمالاً حتى ولوا

الأدبار ، فقال النبي ﷺ : أما تسمع يا علي مديحك في السماء ؟ إن ملكاً يقال له رضوان ينادي : لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي . فبكيت سروراً وحمدت الله سبحانه علي نعمته .

وفي رواية قال الصادق عليه السلام : انهزم الناس عن رسول الله ﷺ فغضب غضباً شديداً وكان إذا غضب انحدر من وجهه وجبهته مثل اللؤلؤ من العرق ، فنظر فإذا علي عليه السلام إلى جنبه ، فقال : ما لك لم تلحق بيبي أبيك ؟ فقال علي عليه السلام : يا رسول الله أكفر بعد إيماني ؟ إن لي بك أسوة ، فقال : أما الآن فاكفني هؤلاء ، فحمل علي عليه السلام فضرب أول من لقي منهم ، فقال جبرئيل عليه السلام : إن هذه لهي الموساة يا محمد ، قال : وإنه مني وأنا منه قال جبرئيل : وأنا منكما .

وأقبل علي عليه السلام إلى المدينة وهو ثقيل بالجراحات ، وبات على الفراش ، ولما أصبح النبي ﷺ جاء إلى دار علي يعوده ، فبكى علي عليه السلام وقال : يا رسول الله أرأيت كيف فانتني الشهادة ؟ فقال الرسول : إنها من ورائك يا علي (١) .

---

(١) البحار - ج ٩ .

## عليّ (ع) يوم بني النضير

يوم توجه رسول الله ﷺ إلى بني النضير عمّاد يحمل على حصارهم ، فضرب قبة في أقصى بني حطمة من البطحاء ، فلما جن الليل رماه رجل من بني النضير بسهم ، فأصاب القبة ، فأمر النبي ﷺ أن تحوّل قبة إلى السفح ، وأحاط بها المهاجرون والأنصار فلما اختلط الظلام فقدوا أمير المؤمنين ﷺ ، فقال الناس : يا رسول الله ما نرى علياً؟! ، فقال ﷺ : أراه في بعض ما يصلح شأنكم . فلم يلبث أن جاء برأس اليهودي الذي رمى النبي ﷺ ، وكان يقال له : عزوراً ، فطرحه بين يدي النبي ﷺ ، فقال النبي : كيف صنعت ؟ فقال : إني رأيت هذا الخبيث جريئاً شجاعاً ، فكمنت له ، وقلت : ما أجراً أن يخرج إذا اختلط الظلام يطلب مأخراً ، فأقبل مصلاً بسيفه في تسعة نفر من اليهود ، فشدت عليه وقتلته ، فأفلت أصحابه ، ولم يبرحوا قريباً ، فأبعث معي نفراً فإني أرجو أن أظفر بهم .

بعث رسول الله ﷺ ، معه عشرة ، فأدركوهم قبل أن يدركوا الحصن ، فقتلوهم وجاؤوا برؤوسهم إلى النبي وأمر أن تطرح في بعض آبار بني حطمة . وكان ذلك سبب فتح حصون بني النضير .

## عَلِيّ (ع) يَوْمَ الْخَنْدَقِ

نحزبت الأحزاب ضد رسول الله ﷺ في مكة وضواحيها وقصدت المدينة لمحاربة رسول الله ، ونزل جبرائيل على النبي وأخبره فاستشار النبي أصحابه ، فأشار عليه سلمان بحفر الخندق حول المدينة ، فأقبل رسول الله ومعه المهاجرون والأنصار ، وحفروا الخندق ، في جانب من المدينة يشبه نصف الدائرة ، فلما فرغوا من حفر الخندق ، وصل المشركون ، ونزلوا بالقرب من الخندق .

وخرج فوارس من قريش منهم : عمرو بن عبدود أخو بني عامر بن لؤي ، وعكرمة بن أبي جهل ، وضرار بن الخطاب وهبيرة بن أبي وهب ونوفل بن عبد الله قد تلبسوا للقتال ، وخرجوا على خيولهم حتى مروا بمنازل بني كنانة فقالوا : نهياؤا للحرب يا بني كنانة ، فستعلمون اليوم من الفرسان ؟ ثم أقبلوا تعنى بهم خيولهم حتى وقفوا على الخندق فقالوا : والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها ، وتعرفها قبل ذلك فقبل لهم : هذا من تدبير الفارسي الذي معه (سلمان) ثم تيمموا مكاناً ضيقاً من الخندق فضربوا خيولهم ، فاقتحموا فجالت بهم في السبخة بين الخندق ولسع ، وخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين حتى أخذ منهم الثغرة التي منها اقتحموا ، وأقبلت الفرسان نحوهم ، وكان بينهم عمرو بن عبدود فارس

قريش وكان قد قاتل يوم بدر حتى ارتث (حمل من المعركة) وأثقلته الجراح فلم يشهد أحداً ، فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليبري مشهده ، وكان يُعد بألف فارس وكان يسمى : فارس ليليل لأنه : أقبل في ركب من قريش حتى إذا هو بيليل وهو واد قريب من بدر عرضت لهم يتوبكر في عدد فقال لأصحابه : امضوا ، فمضوا ، فقام في وجه بني بكر حتى منعهم من أن يصلوا إليه ، فعُرف بذلك ، وكان إسم الموضع الذي حضر فيه الخندق : المداد ، وكان أول من طفره عمرو وأصابه ، فقبل في ذلك :

عمرو بن ود كان أول فارس جزع المداد وكان فارس ليليل  
وركز عمرو بن عبود رمحه في الأرض وأقبل بجول حوله ، ويرتجز .

وذكر ابن إسحاق أن عمرو بن عبود كان ينادي من يبارز؟ فقال رسول الله ﷺ: من لهذا الكلب؟ فلم يجبه أحد فقام علي عليه السلام وهو مقنع في الحديد ، فقال : أنا له يا نبي الله ، فقال إنه عمرو ، اجلس ، ونادى عمرو : ألا رجل؟ وجعل يؤنبهم ويسبهم ، ويقول أين جنتكم التي تزعمون أن من قتل منكم دخلها؟ فقام علي عليه السلام فقال : أنا له يا رسول الله ، فأمره النبي بالجلوس رعاية لابنته فاطمة التي كانت تبكي على جراحات علي عليه السلام يوم أحد ، ثم نادى الثالثة فقال :

ولقد بححت من النداء بجمعكم هل من مبارز؟  
ووقفت إذ جبن المشجع موقف البطل المناجز  
إني كذلك لم أزل متسرعاً نحو الهزاهز  
إن السماحة والشجاعة في الفتى خير الغرائز

فقام علي عليه السلام فقال : يا رسول الله أنا . فقال : إنه عمرو ، فقال :  
وإن كان عمراً وأنا علي بن أبي طالب ! فاستأذن رسول الله ﷺ فأذن له ،  
وألپسه درعه ذات الفضول ، وأعطاه سيفه ذا الفقار ، وعممه عمامة  
السحاب على رأسه تسعة أكوار (أدوار) ثم قال له : تقدم . فقال لما ولي :  
اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوق

رأسه ومن تحت قدميه» .

ثم قال : برز الإيمان كله إلى الشرك كله .

فمشى إليه وهو يقول :

لا تعجلن فقد أتنا ك مجيب صوتك غير عاجز  
فو نية وبصيرة والصدق منجي كل فائز  
إنني لأرجو أن أقيم عليك نائحة المجنات  
من ضريبة نجلاء يبغى ذكرها عند الهزاهز

وما زال رسول الله ﷺ آنذاك رافعاً يديه مُقحمًا رأسه إلى السماء داعياً به قائلاً : أَللَّهُمَّ إِنَّكَ أَخَذْتَ مِنِّي عَيْدَةَ يَوْمِ بَدْرٍ وَحِمْزَةَ يَوْمِ أُحُدٍ ، فَاحْفَظْ عَلَيَّ الْيَوْمَ عَلِيًّا ، رَبِّ لَا تُذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ . فقال عمرو : من أنت ؟ وكان عمرو شيخاً كبيراً قد جاوز الثمانين ، وكان نديم أبي طالب بن عبد المطلب في الجاهلية ، فانتسب علي له .

فقال عمرو : أجل ، لقد كان أبوك نديماً لي وصديقاً ، فارجع فيني لا أحب قتلك ! فقال علي عليه السلام : لكنني أحب أن أقتلك ! فقال عمرو : يا ابن أخي إنني لأكره أن أقتل الرجل الكريم مثلك ، فارجع وراءك خير لك ، ما آمن ابن عمك حين بعثك إلي أن اختطفك برمحي هذا فأتاركك شايدلاً بين السماء والأرض لا حي ولا ميت !!

فقال له علي عليه السلام : قد علم ابن عمي أنك إن قتلتني دخلت الجنة وأنت في النار ، وإن قتلتك فأنت في النار وأنا في الجنة .

فقال عمرو : كلتاها لك يا علي ؟ تلك إذن قسمة ضيزى !!

فقال علي عليه السلام : إن قريشاً تتحدث عنك أنك قلت : لا يدعوني أحد إلى ثلاث إلا أجيب ، ولو إلى واحدة منها ؟ قال : أجل . قال : فياني أدعوك إلى الإسلام ، وفي رواية : أدعوك إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . قال : دع هذه !! أوتج هذا .

قال : فإني أدعوك إلى أن ترجع يمن يشبعك من قريش إلى مكة ، فإن بك محمد صادقاً فأنتم أعلى به عيناً ، وإن بك كاذباً كفتكم ذوبان العرب أمره . قال : إذن تتحدث نساء قريش عني : أن غلاماً خدعني وينشد الشعراء في أشعارها أنني جيت ، ورجعت علي عقي من الحرب ، وخذلت قوماً رأسوني عليهم . قال : فإني أدعوك إلى البراز راجلاً ، فجمي عمرو وقال : ما كنت أظن أحداً من العرب يرومها مني .

ثم نزل فعقر فرسه - وقيل ضرب وجه فرسه فصر - ثم قصد نحو علي عليه السلام وضربه بالسيف على رأسه ، فأصاب السيف الدرة فقطعها ، ووصل السيف إلى رأس علي عليه السلام .

فضربه علي عليه السلام على عاتقه فسقط ، وفي رواية : فضربه على رجليه بالسيف فوقع على قناه ، وثار العجاج والغبار ، وأقبل علي ليقطع رأسه فجلس على صدره ، ففعل اللعين في وجه الإمام عليه السلام فغضب عليه السلام ، وقام عن صدره يمشى حتى سكن غضبه ، ثم عاد إليه فقتله .

وقال ربيعة بن مالك السعدي : أتيت حذيفة بن اليمان ، فقلت : يا أبا عبد الله : إن الناس يتحدثون عن علي بن أبي طالب ومناقبه ، فيقول لهم أهل البصرة : إنكم لضرطون في تغريط (تقريظ خ ل) هذا الرجل . فهل أنت محدثي بحديث عنه أذكره للناس ؟ فقال : يا ربيعة وما الذي تسألني عن علي ؟ وما الذي أحدثك به عنه ؟ والذي نفس حذيفة بيده : لو وُضع جميع أعمال أمة محمد في كفة الميزان منذ بحث الله تعالى محمداً إلى يوم الناس هذا ، ووضع عمل واحد من أعمال علي في كفة أخرى لرجح علي أعمالهم كلها ، فقال ربيعة : هذا المدح الذي لا يقام له ولا يقعد ولا يحمل ، إني لأظنه إسرافاً يا أبا عبد الله !!!

فقال حذيفة : يا لكع ! وكيف لا يحمل ؟ وأين كان المسلمون يوم الخندق وقد عبر إليهم عمرو وأصحابه ؟ فملكهم الهلع والجزع ، ودعا إلى المبارزة فأحجموا عنه حتى برز إليه علي فقتله ؟

والذي نفس حذيفة بيده : لعمله ذلك اليوم أعظم أجراً من أعمال أمة محمد إلى هذا اليوم وإلى أن تقوم القيامة .

وجاء عليّ برأس عمرو إلى رسول الله ﷺ فتهلل وجهه رسول الله ﷺ فقام أبو بكر وعمر بن الخطاب وقبلا رأسه ، وكان علي ﷺ يقول :

أنا علي وابن عبد المطلب الموت خير لفتى من الهرب فقال عمر : هلاً سلبته درعه ، فإنه ليس في العرب درع مثلها ؟ فقال علي ﷺ : إني استحييت أن أكشف سواة ابن عمي .

وفي رواية : لما جلس علي ﷺ على صدر عمرو ليذبحه قال له عمرو : يا علي قد جلست مني مجلساً عظيماً ، فإذا قتلني فلا تسلبني حلتي ، فقال ﷺ : هي أهون عليّ من ذلك .

ولما قتل علي ﷺ عمراً انهزم المشركون وانكسرت شوكتهم ، وكفى الله المؤمنين القتال بعلي ﷺ .

قال حسان بن ثابت في قتل عمرو بن عبد ود :

أمسى الفتى عمرو بن ود يبتغي	بجنوب يشرب غارة لم تنظر
فلقد وجدت ميوفنا مشهورة	ولقد وجدت جياننا لم تقصر
ولقد رأيت غداة بدر عصبية	ضربوك ضرباً غير ضرب المحضر
أصبحت لا تدعى ليوم كريمة	يا عمرو أو لجسيم أمر منك

فأجابه بعض بني عامر :

كذبتم وبيت الله لم تقتلوننا	ولكن بسيف الهاشميين فافخسروا
بسيف ابن عبد الله أجمد في الوغا	بكف علي نلتم ذاك فاقصروا
ولم تقتلوا عمرو بن ود ولا إبنه	ولكنه الكفو الهزير الغضنفر
علي الذي في الفخر طال ثناؤه	فلا تكثروا الدعوى عليه فتفجروا

ببدر خرجتم للبراز فردكم  
فلما أتاهم حمزة وعبيدة  
فقالوا : نعم أكفء صدق فاقبلوا  
فجال علي جولة هاشمية  
فليس لكم فخر علينا بغيرنا

وكان عليه السلام يقول - مشيراً إلى هذه الفضيلة - :

أعليّ تفتخر السوارس هكذا ؟  
اليوم يمنعي الفرار حفيظتي  
أرديت عمراً إذ طغى بمهند  
نصر الحجارة عن سفاهة رأيه  
فصدرت حين تركته متجدلاً  
وعففت عن أثوابه ولوانني  
لا تحسبن الله خاذل دينه

عني وعنهم خبروا أصحابي  
ومصمم في الرأس ليس بناهي  
صافي الحديد مجرب قضاب  
ونصرت رب محمد بصواب  
كالجذع بين دكاهك وروابي  
كنت المقطر بزني أثوابي  
ونبيهه يا معشر الأحزاب

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة

الثقلين .

وفي رواية الحاكم في المستدرک : لمبارزة علي بن أبي طالب  
لمروين عبد ود يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة .

وسبب ذلك أنه لم يبق بيت من بيوت المشركين إلا وقد دخله وهن  
بقتل عمرو ، ولم يبق في المسلمين بيت من بيوت المسلمين إلا ودخله عز  
بقتل عمرو .

ولما وصل الخبر إلى أخت عمرو قالت : من ذا الذي اجترأ عليه ؟  
فقالوا : علي بن أبي طالب . فقالت : لم يعد موته إلا على يد كفو كريم  
لا رقات دمعي إن هرقتها عليه ، قاتل الأبطال وبارز الأقران ، وكانت منيته  
على يد كفو كريم من قومه ، ما سمعت بأفخر من هذا يا بني عامر ، ثم  
أنشأت تقول :

لو كان قاتل عمرو غير قاتله      لكنك أبكي عليه آخر الأبد  
لكن قاتله من لا يعاب به      وكان يدعى قديماً بيضة البلد

وفي نسخة : وكان يدعى أبوه بيضة البلد .

ولقد أجاد المرحوم الشيخ كاظم الأزري (عليه الرحمة) في قصيدته  
الألفية التي يقول فيها :

ظهرت منه في الوغى سطوات      ما أتى القوم كلهم ما أتاهما  
يوم غصت بجيش عمرو بن ود      لهوات الفلا وضاق فضاها  
وتخطى إلى المدينة فرداً      بسرايا عزائم ساراهما  
فدعاهم وهم ألوف ولكن      ينظرون الذي يشب لظاهما،  
أين أنتم عن قسور عامري      تنفي الأسد بأسه في شراهما  
فابتدى المصطفى يحدث عما      يؤجر الصابرون في أخراهما  
قائلاً: إن للجليل جناناً      لبس غير المجاهدين يراهما  
أين من نفسه تنسوق إلى      الجنات أو يورد الجحيم عداها  
من لعمر؟ وقد ضمنت على      الله له من جناته أعلاها  
فالتوا عن جوابه كسوام      لا تراها مجيبة من دعاها  
وإذا هم بفارص قرشي      ترجف الأرض خيفة إذ يسطاهما  
قائلاً: ما لها سواي كليل      هذه ذمة علي وفاها  
ومشى يطلب الصفوف كما      تمشي خماص الحشا إلى مرعاها  
فانتضى مشرفية فتلقى      ساق عمرو بضربة فبراهما  
وإلى الحشرونة السيف منه      يملأ الخافقين رجع صداها  
بألها ضربة حوت مكرمات      لم يزن ثقل أجرها ثقلها  
هذه من علاه إحدى المعالي      وعلى هذه فقس ما سواها

## عَلِيّ (ع) يَوْمَ خَيْبَرَ

قال الطبرسي (رحمه الله) : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة من الحديبية مكث بها عشرين ليلة ، ثم خرج عنها غازياً إلى خيبر .

خيبر إسم منطقة تبعد عن المدينة المنورة ساعات ، وهي عبارة عن حصون وقلاع محصنة ، كانت اليهود تسكنها يومذاك ، فلما وصل النبي ﷺ إلى خيبر ، واستعد للقتال واصطف العسكران ، خرج رجل من المسلمين إسمه : عامر بن الأكوع يبارز رجلاً من اليهود إسمه مرحب ، وكان مرحب يرتجز ويقول :

قد علمت خيبر أني مرحب      شاكي السلاح بطل مجرب  
فأجابه عامر :

قد علمت خيبر أني عامر      شاكي السلاح بطل مخامر  
فتضاربا بالسيف ، فوقع سيف عامر على ركبته فمات منه .

وحاصر النبي تلك الحصون خمساً وعشرين يوماً ، ثم أعطى رايته أبا بكر وقيل : أعطى الراية إلى عمر بن الخطاب أولاً فنهض ونهض معه المسلمون فلقوا أهل خيبر فرجعوا .

وأعطى الراية أبا بكر في اليوم الثاني فذهب مع المسلمين فرجع يجيئ أصحابه ويحيونوه ، فلما علم النبي ذلك قال : لأعطين الراية غداً

رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار ، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه .

فبات الناس يتفكرون حول الرجل الموصوف بهذا الصفات ، المقصود بكلام رسول الله ﷺ وكان علي غائباً في تلك الغزوة ، وما كان الناس يحسبونه المقصود بكلام النبي ، حتى قال بعضهم : أما علي فقد كُفيتموه فإنه أرمد لا يبصر موضع قدمه . بل كان كل منهم يرجو أن يعطى الراية ، وأصبح الصباح وخرج رسول الله ﷺ بالراية ، وأقبل الناس إلى النبي ليعرفوا الرجل الذي يستحق أن يكون حاملاً لراية الإسلام وقاتحاً لحصون اليهود ؟

فقال النبي ﷺ : ابن علي بن أبي طالب ؟ فقبل : هو يشككي عينيه ، فقال : أرسلوا إليه . فجاؤوا به على بغلة وعينه محسوبة بخرقه ، فآخذ سلمة بن الأكوع بيده وأتى به إلى النبي ﷺ فقال النبي : ما تشككي يا علي ؟ قال : رمد ما أبصر معه ، وصداع برأسي . فقال النبي : اجلس وضع رأسك على فخذي . ففعل علي ذلك ، فدعا له النبي ﷺ وتغل في يده فمسح بها على عينيه ورأسه فانتفتحت عيناه وسكن ما كان يجده من الصداع وقال النبي : اللهم قبه الحر والبرد . وأعطاه الراية وكانت بيضاء فقال له : خذ الراية وامض بها ، فجبرائيل معك ، والنصر أمامك والرعب مبعوث في صدور القوم ، واعلم يا علي أنهم يجدون في كتابهم : أن الذي يدمر عليهم اسمه : (إيليا) فإذا لقينهم فقل : أنا علي ، فإنهم يخذلون إن شاء الله .

فأقبل علي ﷺ بالراية يهول بها ولحقه الناس فركز رمحه قريباً من الحصن ، وأشرف عليه حبر من الأحبار فقال : من أنت ؟ فقال : أنا علي بن أبي طالب . فقال اليهودي : غلبتم وما أنزل على موسى - أي غلبتم قسماً بالتوراة التي نزلت على موسى ﷺ .

فخرج إليه مرحب في عامة اليهود ، وعليه مغفرة وحجر قد ثقبه مثل

البيضة على أم رأسه وهو يرتجز ويقول :

قد علمت خيبر أني مرحب شاكبي السلاح بطل مجرب  
أطعن أحياناً وحيناً أضرب

فقال علي عليه السلام :

أنا الذي سمّني أمي حيدرة بضرب غمام أجسام وليث قسورة  
على الأعادي مثل ريع صرصرة أكيلكم بالسيف كليل السندرة  
أضرب بالسيف رقاب الكفرة

فلما سمع مرحب منه ذلك هرب ولم يقف ، خوفاً مما حدثته منه  
ظنوه ، فتمثل له إبليس في صورة حبر من أخبار اليهود فقال له : إلى أين يا  
مرحب ؟ فقال : قد تسمى علي هذا القرن بحيدرة فقال له إبليس : فما  
حيدرة ؟ قال مرحب : إن فلانة ظنوني (مرضعتي) كانت تحذرني من مبارزة  
رجل اسمه : حيدرة . وتقول : إنه قاتلك . فقال إبليس : شوهاً لك ! لو  
لم يكن حيدرة إلا هذا وحده لما كان مثلك يرجع عن مثله ، تأخذ بقول  
النساء وهم يخطئون أكثر مما يصيب ، وحيدرة في الدنيا كثير ، فارجع  
فلعلك تقتله ، فإن قتلته سدت قومك ، وأنا في ظهرك أمستصرخ اليهود  
لك .

فرجع مرحب إلى قتال علي عليه السلام فدعاهم علي عليه السلام إلى الإسلام أو  
الجزية أو الحرب فاخترأوا الحرب ، فضربه الإمام بالسيف على رأسه ضربة  
قطعت الحجر والمغفر ورأسه حتى وقع السيف في أضراسه ، فخر صريعاً ،  
وحمل علي عليه السلام على الجيش اليهودي فانهزموا ودخلوا الحصن ، وسدوا  
بابه ، وكان الباب حجراً منقوراً في صخر ، والباب من الحجر في ذلك  
الصخر المنقور ، كأنه حجر رحي ، وفي وسطه ثقب لطيف ، وقد ذكرنا في  
الجزء الثاني من شرح نهج البلاغة بياناً حول الباب المزبور .

رمى علي عليه السلام القوس من يده اليسرى وجعل يده اليسرى في ذلك

الثقب الذي في وسط الحجر وكان السيف بيده اليمنى ثم جذب به إليه فانهار الصخر المنقور ، وصار الباب في يده اليسرى ، فحملت عليه اليهود ، فجعل علي منك الباب ترساً له وحمل عليهم فانهزموا ، فرمى الحجر بيده اليسرى إلى خلفه فمر الحجر على رؤوس الناس من المسلمين إلى أن وقع في آخر العسكر ، وإلى هذا أشار ابن أبي الحديد في قصيدته مخاطباً الإمام عليه السلام :

يا قالع الباب الذي عن هزه عجزت أكف أربعون وأربع  
واجتمع المسلمون ليرفعوا ذلك الحجر فلم يستطيعوا وهم أربعون  
رجلاً ، وفتح علي تلك الحصون .

وتقدم حسان بن ثابت واستأذن رسول الله ﷺ أن يقول شعراً فقال له : قل . فأنشأ يقول :

وكان علي أرمم العين يبتغي	دواء فلما لم يسحس مداوياً
شفاه رسول الله منه بنفلة	فبورك مرقياً وبورك راقياً
وقال : سأعطي الراية اليوم صارماً	كمياً محباً للرسول موالياً
يحب النهي والإله يحبه	به يفتح الله الحصون الأوابيا
فأصفى بها دون البرية كلها	علياً وسماه الوزير المواخيا

فعند ذلك قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام : لولا أن تقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت فيك قولاً لا تمر بملأ إلا أخذوا من تراب رجلك ، ومن فضل طهورك يستشفون به ، ولكن حسبك : أن تكون أنت مني وأنا منك ، ترثني وأرثك ، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي ، وأنت تبرىء ذمتي وتقاتل علي ستي ، وأنت في الآخرة أقرب الناس مني ، وأنتك غداً على الحوض خلقتي ، وأنتك أول من يرد علي الحوض غداً ، وأنتك أول من يكسى معي ، وأنتك أول من يدخل الجنة من أمتي ، وأن شيعتك على منابر من

نور مبيضة وجوههم حولي أشفع لهم ، ويكفونون في الجنة جيرانني ، وأن  
حربك حربي ، وأن سلمك سلمني ، وأن سرك سري وأن علانيتك  
علانيتي ، وأن سريرة صدرك كسريرة صدري وأن ولدك ولدي وأنك تنجز  
عدتي ، وأن الحق على لسانك وفي قلبك ، وبين عينيك ، وأن الإيمان  
مخالط لحمك ودمك كماخالط لحمي ودمي ، وأنه لا يرد عليّ الحوض  
مبغض لك ، ولن يغيب عنه محب لك غداً حتى يردوا الحوض معك .

فخر علي بنك مساجداً شكراً لله .

وقال المرحوم الشيخ الأزري في قصيدته الفريدة :

كبرت منظرأ علي من رآها	ولله يوم خبير فتكات
رايتي ليثها وحامي حماها	يوم قال النبي : إني لأعطي
ليروا أي ماجد يُعطاها	فاستطالت أعناق كل فريق
م حجير الأيام من ياساها	فدعى : أين وارث العلم والحد
في الثريا مروعة لبهاها	أين ذوالنجمة الذي لودعته
فستأها من ريقه فشفاها	فأتاه الوصي أرمده عين
عنه علماً بأنه أمضاها	ومضى يطلب الصفوف فولت
أقوياء الأقدار من ضعفها	ويرى مرحباً بكف اقتدار
لوحتها الأفلاك منه دحاها	ودحى بابها بقوة بأس
سامع ما تسر من نجواها	عائد للمؤمنين مجيب
وهو الباب من أتاه أتاه	إنما المصطفى مدينة علم
ها علي وأحمد يمناها	وهما مقلتا العوالم : يسرا

## عليّ (ع) يوم حنين

وفي يوم حنين لما تقدم أبو جرواح ووراءه المشركون ، وكانت الراية بيده وهو يرتجز قائلاً :

أنا أبو جرواح لا يسراح حتى نبيح القوم أو نباح  
فقصده أمير المؤمنين فضرب عجز بعيره ثم ضربه وقتله ثم قال :

قد علم القوم لدى الصباح إنني لدى الهيجاء ذونصاح  
فكانت هزيمة المشركين بقتل أبي جرواح ، وحمل عليهم المسلمون  
يقدمهم علي بن أبي طالب عليه السلام فقتل منهم أربعين رجلاً وانهزم الباقون ،  
وأسر من أسر منهم ، وذلك بعد هزيمة المسلمين وتفرقهم عن رسول  
الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد ذكر القرآن الكريم موقف المسلمين يومذاك بقوله تعالى :  
﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ  
الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾<sup>(١)</sup> ثم أنزل الله سكبته على رسوله وعلى  
المؤمنين .

ولابن أبي الحديد كلمة بالمناسبة في مقدمة شرحه على النهج :

(١) سورة التوبة ، الآيات : ٢٥ و ٢٦ .

وأما الشجاعة : فإنه أنسى الناس فيها ذكر من كان قبله ومحيى إسم من يأتي بعده ، ومقاماته في الحرب مشهورة ، يضرب بها الأمثال إلى يوم القيامة ، وهو الشجاع الذي ما فرّ قط ، ولا ارتاع من كثية ، ولا بارز أحداً إلا قتله ، ولا ضرب ضربة قط فلحاجت الأولى إلى ثانية .

وفي الحديث : كانت ضرباته وتراً ، ولما دعى معاوية إلى المبارزة ليستريح الناس من الحرب بقتل أحدهما ، فقال له عمرو بن العاص : لقد أنصفك ! فقال معاوية : ما غششتني منذ نصحتني إلا اليوم ! ! أنا أمرني بمبارزة أبي الحسن وأنت تعلم أنه الشجاع المطرق ؟ أراك طمعت في إمارة الشام بعدي . . . .

## علي (ع) والقرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

القرآن كتاب الله عز وجل ذلك الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو كلام الله الذي لا يتبع الهوى ولا يعيل إلى الاتجاهات بدافع العاطفة بل هو الحق .

هناك حديث نبوي شريف اتفق عليه الشيعة والسنة ، أنه قال عليه السلام :  
«إني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردها علي الحوض» .

نجد - في الحديث - الرسول الأعظم عليه السلام يقرن العترة بالقرآن والقرآن بالعترة ، ويخبر عنهما أنهما لن يفترقا ولن يختلفا في المبدأ وفي أي شيء ، فالقرآن يوافق العترة ، والعترة تمشي تحت ظل القرآن ، فلا اختلاف ولا تنافي بين القرآن والعترة ، بل هما متلازمان ومتفقان .

وبناء على هذا هل يمكن أن يسكت القرآن عن حديثه وقريته ؟ فيخلو عن إسم العترة والإشارة إليهم ؟؟

كلا ثم كلا ، فالقرآن فيه تبيان كل شيء وحاشاه أن يسكت عن

الإشادة والتنويه عن أشرف أسرة على وجه الأرض وهم أسرة رسول الله الطيبة وعترته الطاهرة ، وعلى رأسهم سيد العترة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، الذي ضرب الرقم القياسي في كل مباراة وفاز بكأس البطولة في كل ميدان سباق ، وهو القرآن يسيران في طريق واحد ، ويدعوان إلى مبدأ وهدف واحد ، فعلي عليه السلام يعرف القرآن وفنونه وعلومه وأحكامه وفضائله ومزاياه ، والقرآن يجلب الانتباه إلى شخصية علي عليه السلام ومكارمه ومحاسنه وخصائصه ، وينوّه عن مواقفه ومواطنه وتضحياته في سبيل المهدف الذي أنزل من أجله القرآن .

أليس القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ؟

أوليس القرآن يهدي للتي هي أقوم ؟

أوليس القرآن فيه موعظة وشفاء وهدى ورحمة للمؤمنين ؟

أوليس القرآن هو الحق ويدعو إلى الحق ؟

فهذا علي عليه السلام عدل القرآن وسير مع القرآن جنباً بجنب ، يدعو ويهدي ويبين ويعظ ويفرق بين الحق والباطل .

إذن ، فلا مانع أن يحتوي القرآن (وهو كلام الله المجيد) شيئاً من تقدير الله تعالى لمواقف علي عليه السلام والإشادة بفضله وإن لم يكن التنويه صريحاً فقد تكون الكناية أبلغ من التصريح وأوقع في النفس لتتحري عن الحقيقة المقصودة .

ولم يكتف القرآن بالإشارة إلى فضائل علي ، فحسب ، بل نجد كمية هائلة وافرة من الآيات البينات التي شملت أهل البيت عليهم السلام أولاً ثم بقية المسلمين ثانياً ، فقد روى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ما أنزل الله آية فيها : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلا وعلي رأسها وأميرها .

وروى ابن حجر في الصواعق : عن ابن عباس لما نزلت هذه الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾<sup>(١)</sup> قال رسول الله ﷺ : هم أنت يا علي وشيعتك ، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين ، وتأتي أعداؤك غضاباً مقحمين .

إلى غير ذلك من عشرات الآيات المأولة بعلي بن أبي طالب ﷺ المذكورة في الصحاح ورواها المحدثون في صحاحهم .

وفي القرآن آيات وواضحات نزلت في شأن أهل البيت ﷺ وكان علي ﷺ أحدهم بل سيدهم ، كما في آية المباهلة وسورة هل أتى أية التطهير وغيرها مما يطول الكلام بذكر تلك الآيات فلنذكر - بصورة موجزة - كلاماً حول آية التطهير والمباهلة وسورة هل أتى ، ثم ننظر أين ينتهي بنا الكلام :

لقد أجمع المفسرون والمحدثون - إلا الشاذ النادر منهم - واتفقت كلمتهم على : أن آية التطهير نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ وإن كان هناك اختلاف في الفاظ الحديث فالمؤدى واحد .

وخلاصة الواقعة : أن رسول الله ﷺ ألقى رداءً أو عباءة أو كساءً أو ثوباً أو قطيفة على علي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ وقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

فقال أم سلمة : يا رسول الله فانا ؟ وفي رواية : فانا من أهلك أو : وأنا معكم ؟ أو : ألا أدخل معكم ؟ .

فقال النبي ﷺ : إنك على خير ، أو : مكانك ، أو : تنحي وفي رواية : فرفضت الكساء لأدخل فجذبته من يدي وقال : إنك على خير وإنك من أزواج النبي .

(١) سورة البينة ، الآية : ٧ .

فنزلت الآية : ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت  
ويطهركم تطهيراً﴾ (١) .

قال أبو سعيد الخدري : كان النبي ﷺ يأتي باب علي أربعين  
صباحاً فيقول : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت ، إنما يريد  
الله ليذهب عنكم الرجس ويطهركم تطهيراً ، أنا حرب لمن حاربتم وسلم  
لمن سالمتم .

وقال أبو الحمراء : خدمت رسول الله ﷺ تسعة أشهر أو عشرة أشهر  
فأما التسعة فلا أشك فيها - ورسول الله يخرج من طلوع الفجر فيأتي باب  
فاطمة وعلي والحسن والحسين فيأخذ بعضادتي الباب فيقول : السلام  
عليكم ورحمة الله وبركاته ، الصلاة ، يرحمكم الله . فيقولون : وعليك  
السلام يا رسول الله ورحمة الله وبركاته . فيقول رسول الله : إنما يريد الله  
ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً .

أما المحدثون والمفسرون من الشيعة فكلهم متفقون على اختصاص  
آية التطهير بعلي وفاطمة والحسن والحسين ، لا تشاركهم زوجات النبي  
فيها .

ومن أعلام السنة ذكر ذلك : الثعلبي في تفسيره وأحمد بن حنبل في  
مسنده ، والواحدي في تفسيره (البيسط) ، وابن البطريق في المستدرک .  
والرازي في تفسيره وغيرهم ممن يطول الكلام بذكرهم والباقون يقولون إن  
الآية تشمل أهل البيت ومناظر زوجات النبي ﷺ . وقد مرّ عليكم أن  
المفسرين والمحدثين ذكروا أن النبي لم يأذن لزوجته أم سلمة أن تدخل  
تحت الكساء أو الثوب ، فكيف تشمل الآية صفة أخت مرحب التي كانت  
يهودية خيبرية وغيرهن ممن سبق الكفر والشرك لإسلامهن ؟

ولا دليل لهؤلاء إلا سياق الآية وترتيبها ، أو ما يكفي مجيء رسول

---

(١) سورة الاحزاب ، الآية : ٣٣ .

الله إلى باب بيت علي وفاطمة أربعين صباحاً أو ستة أشهر أو تسعة أشهر يطرق عليهم الباب وتلو عليهم الآية ليكون دليلاً على أن المقصود بآية التطهير هم أهل هذا البيت فقط ، ولم يُعهد من النبي ﷺ أنه طرقت باب إحدى زوجاته وتلى عليها الآية ولو مرة واحدة .

ثم إن سياق الآية وأسلوبها يدلان على كلامنا ، فإن الخطابات الموجهة إلى زوجات النبي في الآية كلها ضمائر مؤنثة . قال تعالى : ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنَّ (اتَّقِيْتُنَّ) فَلَا (تَخْضَعْنَ) بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَ (قَلْنِ) قَوْلًا مَعْرُوفًا وَ (قَرْنِ) فِي (بَيوتِكُنَّ) وَلَا (تَبْرَجْنَ) تَبْرَجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ، وَ (أَقْمِنَّ) الصَّلَاةَ وَ (آتَيْنَ) الزَّكَاةَ وَ (أَطْمِنَّ) اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ، وَ (اذْكُرْنَ) مَا يَتْلَى فِي (بَيوتِكُنَّ) مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنْ اللَّهُ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿ (١) .

ويظهر بكل وضوح أن الضمائر الموجودة في آية التطهير تختلف عما سبقتها ولحقتها من الآيات والخطابات ، فقد قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ (عَنكُمْ) الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَ (كُمْ) تَطْهِيرًا ﴾ ولم يقل : عنكن ، ويظهركن . فالمدول عن الضمائر المؤنثة إلى الضمائر المذكورة يدل على اختصاص الخطاب بغير نساء النبي المخاطبات في الآية .

هذا وقد ذكر سيدنا المغفور له السيد عبد الحسين شرف الدين في كتابه : والكلمة الغراء في تفضيل الزهراء بياناً كافياً وكلاماً شافياً حول الأدلة والبراهين والقرائن التي تدل على تخصيص آية التطهير بفاطمة وبعليها وبنيتها ، وقبل ذلك أسهب شيخنا المجلسي رحمه الله في تفسير هذه الآية وفيما قيل فيها من الدلالة على الاختصاص بأهل البيت عليهم السلام .

وقد ذكروا في شأن نزول آية التطهير واجتماع النبي ﷺ مع علي

(١) سورة الأحزاب ، الآيات : ٣٢ - ٣٤ .

وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وجوفاً كثيرة ، والكامل متفقون على أن آية التطهير نزلت في هؤلاء عليهم السلام .

وهذه الآية تدل بكل صراحة على عصمة أصحاب الكساء ، وإنهم معصومون من كل ذنب وكل خطأ ، والعصمة من مراتب الأنبياء والأوصياء وهي أعلى درجات الرقي والتقرب عند الله تعالى .

## عَلِيٌّ (ع) يَوْمُ الْمَبَاهِلَةِ

ذكر البيهقي في الدلائل من طريق سلمة بن عبد يشوع عن أبيه عن جده أن رسول الله كتب إلى أهل نجران قبل أن تنزل عليه سورة النمل «طس» سليمان : «بسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب من محمد رسول الله إلى أسقف نجران وأهل نجران ، إن أسلمتم فلاني أحمد إليكم الله إله إبراهيم ، وإسحاق ويعقوب ، أما بعد : فلاني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد ، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد فإن أبيتم فالجزية وإن أبيتم فقد أودنتم بحرب ، والسلام» فلما قرأ الأسقف الكتاب فطع به وذعر ذعراً شديداً فبعث إلى رجل من أهل نجران يقال له : شرحبيل بن وادعة ، فدفع إليه كتاب رسول الله ﷺ فقرأه ، فقال له الأسقف : ما رأيك ؟ فقال شرحبيل : قد علمت ما وعد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة فما يؤمن من أن يكون ذلك الرجل ، لبس لي في النبوة رأي ، لو كان امر من أمور الدنيا لأشرت عليك فيه وجهدت لك ، فبعث الأسقف إلى واحد من بعد واحد من أهل نجران فكلهم قال مثل قول شرحبيل ، فاجتمع رأيهم على أن يعيشوا شرحبيل بن وادعة وعبد الله بن شرحبيل وجبار بن فيض فيأتونهم بخير رسول الله ﷺ فانطلق الوفد حتى أتوا رسول الله ﷺ فسألهم وسألوه ، فلم تنزل به وبهم المسألة حتى قالوا له : ما تقول في عيسى بن مريم ؟ فقال رسول الله ﷺ : ما عندي فيه شيء يومي هذا فأتبعوا حتى أخبركم بما يقال لي في عيسى صبح الغداة ، فأنزل الله ﴿إِنْ

مثل عيسى عند الله كمثل آدم» (١) إلى قوله: «فنجعل لعنة الله على الكاذبين» (٢) فأبوا أن يقرؤا بذلك. فلما أصبح رسول الله ﷺ الغد بعدما أخبرهم الخبر أقبل مشتملاً على الحسن والحسين في حميلة له ومعه علي بن أبي طالب وفاطمة تمشي عند ظهره للملاعبة، وله يومئذ عدة نسوة، فقال شرحبيل لصاحبه: إني أرى أمراً مقبلاً إن كان هذا الرجل نبياً مرسلًا ففلاجنه ولا يبقى على وجه الأرض منا شعر ولا ظفر إلا هلك، فقالا له: ما رأيك؟ فقال: رأيي أن أحكمه فإني أرى رجلاً مقبلاً لا يحكم شططاً أبداً، فقالا له: أنت وذلك، فتلقى شرحبيل رسول الله ﷺ فقال: إني قد رأيت خيراً من ملاعتك، قال: وما هو؟ قال: أحكمك اليوم إلى الليل وليلتك إلى الصباح، فمهما حكمت فينا فهو جائز فرجع رسول الله ﷺ ولم يلاعنهم وصالحهم على الجزية.

### صورة أخرى للمباهلة

عن علي بن أبي طالب قال: لما قدم وفد نجران على النبي ﷺ قدم فيهم ثلاثة من النصارى من كبارهم: العاقب ومحسن والأسقف فجاؤا إلى اليهود وهم في البيت، فصاحوا بهم يا إخوة القردة والخنازير هذا الرجل بين ظهرانيكم قد غلبكم، إنزلوا إلينا، فنزل إليهم منصور اليهودي وكعب بن الأشرف اليهودي، فقالوا لهم: إحضروا غداً نمتحنه، فقال: وكان النبي ﷺ إذا صلى الصبح سأل: هيهنا من الممتحنة أحد؟ فإن وجد أحداً أجابه وإن لم يجد أحداً قرأ على أصحابه ما أنزل عليه في تلك الليلة، فلما صلى الصبح جلسوا بين يديه فقال له الأسقف: يا أبا القاسم فذاك موسى من أبوه؟

النبي ﷺ: عمران.

الأسقف: فيوسف من أبوه؟

(١) سورة آل عمران: الآية: ٥٩.

(٢) سورة آل عمران: الآية: ٦١.

النبي ﷺ : يعقوب .

الأسقف : فذاك أبي وأمي فأنت من أبوك ؟

النبي ﷺ : عبد الله بن عبد المطلب .

الأسقف : فعيسى من أبوه ؟

فسكت النبي ﷺ فنزل جبرئيل ، فقال هو روح الله وكلمته .

الأسقف : يكون روح بلا جسد ؟

فسكت النبي ﷺ ، فأوحى إليه ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له : كن فيكون ﴾<sup>(١)</sup> فوثب الأسقف وثبة إعظام لعيسى أن يقال له من تراب . ثم قال : ما نجد هذا يا محمد في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا نجد هذا إلا عندك .

فأوحى الله إليه ﴿ قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ﴾<sup>(٢)</sup> . . .

فقالوا : أنصفتنا يا أبا القاسم ، فمتى موعدك ؟ قال : بالغداة إن شاء الله ، ثم قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : فلما صلى النبي ﷺ الصبح أخذ بيدي وجعلني بين يديه ، وأخذ فاطمة رضي الله عنها فجعلها خلف ظهره ، وأخذ الحسن والحسين عن يمينه وعن شماله ثم برك لهم باركاً ، فلما راوه قد فعل ذلك ندموا وتأمروا فيما بينهم وقالوا : والله إنه لنبي ، ولئن باهأنا ليستجيب الله له علينا فيهلكنا ولا ينجيننا شيء منه إلا أن نستقبله ، قال : فأقبلوا حتى جلسوا بين يديه ، ثم قالوا : يا أبا القاسم أقبلنا ، قال : نعم ، قد أقلتكم ، أما والذي بعثني بالحق لو باهلتكم ما ترك الله على ظهر الأرض نصرانياً إلا أهلكه .

قال الشيخ المفيد رحمه الله في كتاب الفصول : قال المأمون يوماً

(٢) سورة آل عمران : الآية : ٦١ .

(١) سورة آل عمران : الآية : ٥٩ .

للرضا عليه السلام : أخبرني بأكبر فضيلة لأمير المؤمنين عليه السلام يدل عليها القرآن؟ قال : فقال الرضا عليه السلام فضيلة في المباهلة ، قال جل جلاله : ﴿لَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعِ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾<sup>(١)</sup> فدعا رسول الله ﷺ الحسن والحسين عليهما السلام فكانا إبنيه ، ودعا قاطمة عليها السلام فكانت في هذا الموضع نساءه ودعا أمير المؤمنين عليه السلام فكان نفسه بحكم الله عز وجل ، وقد ثبت أنه ليس أحد من خلق الله تعالى أجعل من رسول الله ﷺ وأفضل ، فواجب أن لا يكون أحد أفضل من نفس رسول الله بحكم الله عز وجل ، قال : فقال المأمون : اليس قد ذكر الله الأبناء بلفظ الجمع وإنما دعا رسول الله ﷺ إبنيه خاصة ؟ وذكر النساء بلفظ الجمع وإنما دعا رسول الله ﷺ إبنته وحدها ؟ ألا جاز أن يذكر الدعاء لمن هو نفسه ويكون المراد نفسه في الحقيقة دون غيره ؟ فلا يكون لأمير المؤمنين عليه السلام ما ذكرت من الفضل ، قال : فقال له الرضا عليه السلام : ليس يصح ما ذكرت - يا أمير المؤمنين - وذلك أن الداعي إنما يكون داعياً لغيره كما أن الأمر أمر لغيره ولا يصح أن يكون داعياً لنفسه في الحقيقة كما لا يكون أمراً لها في الحقيقة ، وإذا لم يدع رسول الله ﷺ في المباهلة رجلاً إلا أمير المؤمنين عليه السلام فقد ثبت أنه نفسه التي عناها الله سبحانه في كتابه وجعل حكمة ذلك في تنزيهه . قال : فقال المأمون : إذا ورد الجواب سقط السؤال .

قال الطبرسي - رحمه الله - : أجمع المفسرون على أن المراد بأبنائنا الحسن والحسين عليهما السلام ، قال أبو بكر الرازي : هذا يدل على أن الحسن والحسين إنا رسول الله ، وأن ولد الإبنة إبن في الحقيقة .

وقال ابن أبي عمير - وهو أحد أئمة المعتزلة - : هذا يدل على أن الحسن والحسين عليهما السلام كانا مكلفين في تلك الحال ، لأن المباهلة لا تجوز

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٦١ .

الا مع البالغين .

وقال أصحابنا : إن صغر السن ونقصانها عن حد بلوغ الحلم لا ينافي كمال العقل ، وإنما جعل بلوغ الحلم حداً لتعلق الأحكام الشرعية ، وكان سنهما في تلك الحال سناً لا يمتنع معها أن يكونا كاملي العقل ، على أن عندنا يجوز أن يخرق العادات للأئمة ويخصهم بما لا يشركهم فيه غيرهم فلو صح أن كمال العقل غير معتاد في تلك السن لجاز ذلك فيهم إبانة لهم عن سواهم ، ودلالة على مكانهم من الله تعالى واختصاصهم به ، ومما يؤيده من الأخبار قول النبي ﷺ: إبناي هذان إمامان قاما أو قعدا .

«ونساءنا» اتفقوا على أن المراد به فاطمة عليها السلام ، لأنه لم يحضر المباهلة غيرها من النساء ، وهذا يدل على تفضيل الزهراء على جميع النساء ، «وأنفسنا» يعني علياً خاصة ، ولا يجوز أن يكون المعنى به النبي ﷺ لأنه هو الداعي ، ولا يجوز أن يدعو الإنسان نفسه ، وإنما يصح أن يدعو غيره . وإذا كان قوله : «وأنفسنا» لا بد أن يكون إشارة إلى غير الرسول وجب أن يكون إشارة إلى علي عليه السلام لأنه لا أحد يدعي دخول غير أمير المؤمنين عليه السلام وزوجته وولديه عليهم السلام في المباهلة ، وهذا يدل على غاية الفضل وعلو الدرجة والبلوغ منه إلى حيث لا يبلغه أحد ، إذ جعله الله سبحانه نفس الرسول ، وهذا ما لا يدانيه أحد ولا يقاربه - انتهى .

قال شيخنا المجلسي - رحمه الله - : ويدل على كون المراد بأنفسنا أمير المؤمنين عليه السلام ما رواه ابن حجر في صواعقه رواية عن الدارقطني : أن علياً عليه السلام يوم الشورى احتج على أهلها فقال لهم : أنشدكم الله هل فيكم أحد أقرب إلى رسول الله ﷺ في الرحم مني ؟ ومن جعله نفسه ، وأبناءه أبناءه ونساءه نساءه غيري ؟ قالوا : اللهم لا .

ولا يخفى أن تخصيص هؤلاء من بين جمع أقاربه عليهم السلام للمباهلة دون عباس وعقيل وجعفر وغيرهم لا يكون إلا لأحد شيئين :

إما لكونهم أقرب الخلق إلى الله بعده ، حيث استعان بهم في الدعاء على العدو دون غيرهم ، وإما لكونهم أعز الخلق عليه حيث عرضهم للمباهلة إظهاراً لثوقه على حقيقته ، حيث لم يبال بأن يدعو الخصم عليهم مع شدة حبه لهم ، وظاهر : أن حبه <sup>عليه</sup> لم يكن من جهة البشرية والأمور الدنيوية ، بل لم يكن يحب إلا من بحبه الله ، ولم يكن حبه إلا خالصاً لله . . . الخ .

قال بعض الأعلام : وخلاصة الكلام : أن مدار الحب في رسول الله <sup>صلى الله عليه وآله</sup> التقوى والورع وسائر الفضائل والملكات الحسنة لا الأغراض الدنيوية الفاسدة ، فتخصيصه <sup>صلى الله عليه وآله</sup> هؤلاء من بين جميع أقاربه دليل على محبته إياهم ، ومحبته دليل على كونهم أتقى وأورع وأفضل من غيرهم .

قال المجلسي - رحمه الله - : فإذا ثبت ذلك فيرجع هذا أيضاً إلى كونهم أقرب الخلق وأحبهم إلى الله ، فيكونون أفضل من غيرهم ، فيفبح عقلاً تقديم غيرهم عليهم . وأيضاً لما ثبت أن المقصود بنفس الرسول <sup>صلى الله عليه وآله</sup> في هذه الآية ، ليس المراد النفسية الحقيقية ، لامتناع اتحاد الاثنين ، وأقرب المجازات إلى الحقيقة اشتراكهما في الصفات والكمالات وخرجت النبوة بالدليل ، فبقي غيرها ، ومن جعلتها وجوب الطاعة والرياسة العامة والفضل على من سواه وسائر الفضائل .

قال الإمام الرازي في كتابه الأربعين : وأما الشيعة فقد احتجوا على أن علياً أفضل الصحابة بوجوه : الحجة الأولى التمسك بقوله تعالى ﴿فقل تعالوا﴾<sup>(١)</sup> وثبت بالأخبار الصحيحة أن المراد من قوله : «وانفساء» هو علي ، ومن المعلوم أنه يمتنع أن تكون نفس علي هي نفس محمد بعينه فلا بد أن يكون المراد هو المساواة بين النفسين وهذا يقتضي أن كل ما حصل لمحمد من الفضائل والمناقب فقد حصل مثله لعلي ، ترك العمل بهذا في فضيلة النبوة فوجب أن تحصل المساواة بينهما وراء هذه الصفة ، ثم لا شك أن

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٦١ .

محمداً ﷺ كان أفضل الخلق في سائر الفضائل ، فلما كان علي مساوياً له في تلك الفضائل وجب أن يكون أفضل الخلق ، لأن المساوي للأفضل يجب أن يكون أفضل .

ولنعم ما قال الشيخ كاظم الأزري في هذه المناسبة :

يا بن عم النبي أنت يد	الله التي عم كل شيء ندها
أنت قرآنه القديم وأوصا	فك آياته التي أوحاها
خصك الله في مآثر شتى	هي مثل الأعداد لا تتناهى
ليت عيناً بخير روضك نرعى	قذيت وامتمر فيها قذاها
أنت بعد النبي خير البرايا	والسماخير ما بها قمرها
لك ذات كذاته حيث لولا	أنها مثلها لما آخاها

### عَلِيٌّ (ع) يَتَصَلَّقُ بِالْخَاتَمِ

عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ <sup>(١)</sup> الآية قال : إن رجعاً من اليهود أسلموا ، منهم : عبد الله بن سلام وأسد وثلعبه وابن صوريا ، فأتوا النبي ﷺ فقالوا : يا نبي الله إن موسى أوصى إلى يوشع بن نون فمن وصيك يا رسول الله ؟ ومن ولينا بعدك ؟ فنزلت هذه الآية : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ ثم قال رسول الله ﷺ : قوموا . فقاموا فأتوا المسجد فإذا سائل خارج ، فقال : يا سائل أما أعطاك أحد شيئاً ؟ قال : نعم هذا الخاتم ، قال : من أعطاكه ؟ قال : أعطانيه ذلك الرجل الذي يصلي ، قال : علي أي حال أعطاك ؟ قال : كان راعياً . فكبر النبي ﷺ وكبر أهل المسجد ، فقال النبي ﷺ : علي بن أبي طالب وليكم بعدي ، قالوا رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وبعلي بن أبي طالب ولياً ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ

(١) سورة المائدة ، الآية : ٥٥ .

أمّنوا فإنّ حزب الله هم الغالبون ﴿١﴾ فتقدم حسان بن ثابت وأنشأ يقول :

أبا حسن تغديك نفسي ومهجني  
أيذهب مدحي والمجبر ضائع  
فأنت الذي أعطيت إذ كنت راکعاً  
فأنزل فيك الله خير ولاية  
وقال أيضاً :

علي أمير المؤمنين أخو الهدى  
وأول من أتى الزكاة بكفه  
فما أتاه مائل مد كفه  
فبشر جبريل النبي محمداً  
وأفضل ذي نعل ومن كان حافياً  
وأول من صلى ومن حسام طاورياً  
إليه ولم يبخل ولم يك جافياً  
وما زال أواهاً إلى الخير داعياً  
بذاك وجاء الوحي في ذلك صاحياً

وقال خزيمه بن ثابت ذو الشهادتين :

فديت علياً إمام الوري  
وصي الرسول وزوج البتول  
تصدق خاتمته راکعاً  
ففضله الله رب العباد  
سراج البرية مأوى التقى  
إمام البرية شمس الضحى  
فأحسن بفعل إمام الوري  
وأنزل في شأنه هل أتى

### صورة أخرى لنزول الآية

عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ  
إذ ورد علينا أعرابي أشعث الحال عليه أنواب رثة والفقر ظاهر بين عينيه ،  
ومعه عياله ، فلما دخل المسجد سلم على النبي ﷺ ووقف بين يديه  
وأنشد يقول :

أتيتك والمعطاة تبكي برنة  
وأخت وبناتان وأم كبيرة  
وقد ذهلت أم الصبي عن الطفل  
وقد كدت من فقري أخالط في عقلي

(١) سورة المائدة ، الآية : ٥٦ .

وقد مسني فقر وذل وفاقة      وليس لنا شيء يمر ولا يحل  
ولسنا نرى إلا إليك فرارنا      وأين مفر الخلق إلا إلى الرسل  
فلما سمع النبي ﷺ ذلك بكى بكاءً شديداً ، ثم قال لأصحابه :  
معاشر المسلمين إن الله تعالى ، قد ساق إليكم ثواباً ، وقاد إليكم أجراً ،  
والجزاء من الله غرف في الجنة ، نضاهي غرف إبراهيم الخليل ، فمن  
منكم يواسي هذا الفقير ؟ فلم يجبه أحد ، وكان في ناحية المسجد علي بن  
أبي طالب يصلي ركعات تطوعاً كانت له دائماً ، فأومأ إلى الأعرابي بيده  
فدنا منه ، فدفع إليه المخاتم من يده وهو في صلاته فأخذ الأعرابي  
وانصرف .

ثم إن النبي أتاه جبرئيل ونادى : السلام عليك يا رسول الله ربك  
يقروك السلام ويقول لك : اقرأ ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا  
الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون . ومن يتول الله ورسوله  
والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾<sup>(١)</sup> .

ف عند ذلك قام النبي ﷺ قائماً على قدميه وقال : معاشر المسلمين  
أيكم اليوم عمل خيراً حتى جعله الله ولي كل من آمن ؟ قالوا : يا رسول  
الله ما لنا من عمل خيراً سوى ابن عمك علي بن أبي طالب فإنه تصدق  
بخاتمه على الأعرابي وهو يصلي . فقال النبي ﷺ : وجبت الغرف لابن  
عمي علي بن أبي طالب ، فقرأ عليهم الآية . . . الخ .

### صورة ثالثة :

في المناقب وكشف الغمة : بينا عبد الله بن عباس جالس على شفير  
زمزم يقول : قال رسول الله ﷺ إذ أقبل رجل متعمم بعمامة ، فجعل كلما  
قال ابن عباس : سألتك بالله من أنت ؟ فكشف العمامة عن وجهه وقال :  
أيها الناس من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه نفسي : أنا

(١) سورة المائدة : الآيتان : ٥٥ و ٥٦ .

جندب بن جنادة البديري أبو ذر الغفاري سمعت رسول الله ﷺ بهاتين وإلا  
صُغتاً ، ورأيته بهاتين وإلا عميتا يقول : علي قائد البررة ، وقاتل الكفرة ،  
منصور من نصره ، مخذول من خذله .

أما إنني صليت مع رسول الله ﷺ يوماً من الأيام صلاة الظهر ،  
فسأل سائل في المسجد ، فلم يعظه أحد ، فرفع السائل يده إلى السماء  
وقال : اللهم اشهد أنني سألت في مسجد رسول الله فلم يعطني أحد شيئاً .  
وكان علي رضي الله عنه راکعاً ، فأومأ إليه بخنصره اليمنى وكان يتختم فيه ،  
فأقبل السائل فأخذ الخاتم من خنصره ، وذلك بمراي من النبي ﷺ وهو  
يصلي ، فلما فرغ النبي من صلاته رفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم إن  
أخي موسى سألك فقال : ﴿إشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من  
لساني يفقهوا قولي ، واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشد به أزرى  
وأشركه في أمري﴾<sup>(١)</sup> فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً : ﴿سشد عضدك بأخيك  
ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما بآياتنا﴾<sup>(٢)</sup> اللهم وأنا محمد نبيك  
وصفيك ، اللهم إشرح لي صدري ويسر لي أمري ، واجعل لي وزيراً من أهلي  
علياً أشد به أزرى .

قال أبو ذر : فلما أتم رسول الله ﷺ كلامه حتى نزل جبرئيل من  
عند الله عز وجل فقال : يا محمد : اقرأ فأنزل الله عليه ﴿إنما وليكم الله  
ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ .

وقد روى المفسرون في نزول هذه الآية أنها نزلت في شأن  
علي رضي الله عنه لما تصدق بخاتمته على السائل ، وإن اختلفت ألفاظ الحديث  
فالمفاد والمضمون واحد .

وهذه الآية تصرح لعلي رضي الله عنه بالولاية العامة على المسلمين تلك  
الولاية الثابتة لله ولرسوله ، وستذكر في حديث الغدير ما تيسر من معنى  
الولي والمولى إنشاء الله . . .

(٢) سورة القصص ، الآية : ٣٥ .

(١) سورة طه ، الآيات : ٢٥ - ٣٢ .

## عليّ (ع) في سورة هل أتى

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

في أمالي الصدوق عن الصادق عليه السلام عن أبيه في قوله عز وجل : ﴿يُؤْفُونَ بِالَّذِينَ﴾<sup>(١)</sup> قالوا : مرض الحسن والحسين عليه السلام وهما صبيان صغيران فعادهما رسول الله ﷺ ومعه رجلان ، فقال أحدهما : يا أبا الحسن لو نذرت في إبتك نذراً إن الله عافاهما ، فقال أصوم ثلاثة أيام شكراً لله عز وجل ، وكذلك قالت فاطمة عليها السلام وقال الضيآن : ونحن أيضاً نصوم ثلاثة أيام ، وكذلك قالت جاريتهم فضة ، فألبسهما الله عافية ، فأصبحوا صيماً وليس عندهم طعام ، فانطلق علي عليه السلام إلى جوار له من اليهود يقال له : شمعون . يعالج الصوف فقال هل لك أن تعطيني جزء من صوف تغزلها لك إينة محمد بثلاثة أصرع من شعير ؟ قال : نعم ، فأعطاه فجاء بالصوف والشعير وأخبر فاطمة عليها السلام فقبلت وأطاعت ، ثم عمدت فغزلت ثلاث الصوف ، ثم أخذت صاعاً من الشعير فطحنته وعجنته وخبزت منه خمسة أقراص ، لكل واحد قرصاً ، وصلى علي عليه السلام مع النبي ﷺ المغرب ؟ ثم أتى منزله فوضع الخوان وجلسوا خمستهم ، فأول لقمة كسرها علي عليه السلام

(١) سورة الإنسان : الآية : ٧ .

وإذا مسكين قد وقف بالباب فقال : السلام عليكم يا أهل بيت محمد ، أنا مسكين من مساكين المسلمين ، أطعموني مما تأكلون أطعمكم الله على موائد الجنة ، فوضع عليّ من اللقمة من يده ثم قال :

فاطم ذات المجد واليقيين يا بنت خيير الناس أجمعين . . . . . إلى آخر الأبيات .

ومضمونها التعطف على المسكين ويطلب منك من فاطمة منك أن تعطي شيئاً للمسكين .  
فأقبلت فاطمة تقول :

أمرك سمع يا بن عم وطاعة ما بي من لؤم ولا وضاعة

إلى آخر الأبيات التي تذكر فيها استعدادها لمساعدة المسكين الواقف على الباب ينتظر ، وعمدت إلى ما كان على الخوان فمدفعتها إلى المسكين ، وباتوا جوعاً وأصبحوا صياماً لم يلقوا إلا الماء القراح .

ثم عمدت إلى الثلث الثاني من الصوف فغزلته ، ثم أخذت صاعاً من الشعر وطحنته وعجنته وخبزت منه خمسة أقراص لكل واحد قرصاً ، وصلى عليّ المغرب مع النبي ﷺ ثم أتى منزله فلما وُضِع الخوان بين يديه وجلسوا خمستهم فأول لقمة كسرها عليّ ﷺ وإذا يتيم من يتامى المسلمين قد وقف بالباب فقال : السلام عليكم أهل بيت محمد أنا يتيم من يتامى المسلمين أطعموني مما تأكلون أطعمكم الله على موائد الجنة ، فوضع عليّ اللقمة من يده ثم قال :

فاطم بنت السيد الكريم قد جاءنا الهله بذا اليتيم

إلى آخر أبياته التي يحرضها على إطعام اليتيم .

ثم أقبلت فاطمة وهي تقول :

فسوف أعطيه ولا أبالي وأوتر الله على عبالي  
أمسوا جوعاً وهم أنبالي

إلى آخر الآيات التي تظهر فيها الموافقة على إطعام اليتيم ثم عمدت  
فأعطته جميع ما على الخوان ، وياتوا جوعاً لم يذوقوا إلا الماء القراح ،  
وأصبحوا صياماً ، وعمدت فاطمة عليها السلام فغزلت الثلث الباقي من الصوف  
وطحنت الباقي وعجنته وخبزت منه خمسة أقراص لكل واحد قرصاً .  
وصلى علي المغرب مع النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم أتى منزله ، فقرب إليه الخوان  
وجلسوا خمستهم فأول لقمة كسرهما علي عليه السلام وإذا بأسير من أسراء  
المشركين قد وقف بالباب فقال : السلام عليكم يا أهل بيت محمد ،  
تأسرونا وتشدوننا ولا تطعموننا ؟ فوضع علي عليه السلام اللقمة من يده ثم قال :  
فاطم يا بنت النبي أحمد بنت نبي سيد مسعود  
إلى آخر الآيات .

ثم أقبلت فاطمة وهي تقول :

لم يبق مما كان غير صاع قد دبرت كفي مع الذراع  
ثم تذكر استعدادها لمواساة الأسير .

وعمدوا إلى ما كان على الخوان فأعطوه وياتوا جوعاً ، وأصبحوا  
مفطرين وليس عندهم شيء .

قال شعيب في حديثه : وأقبل علي بالحسن والحسين عليهما السلام نحو  
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما يرتعشان كالقراخ من شدة الجوع ، فلما بصر بهم  
النبي صلى الله عليه وسلم قال : يا أبا الحسن شد ما يسؤني ما أرى بكم ؟ انطلق إلى  
إبنتي فاطمة ، فانطلقوا إليها وهي في محرابها قد لصق بطنها بظهرها من  
شدة الجوع وغارت عيناها ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ضمها إليه وقال :  
واغوثاه بالله ؟ أنتم منذ ثلاث فيما أرى ؟ فهبط جبرئيل فقال : يا محمد خذ  
ما هيا الله لك في أهل بينك ، قال : وما آخذ يا جبرئيل ؟ قال : هل أتى

على الإنسان حين من الدهر ﴿١﴾ حتى إذا بلغ ﴿٢﴾ إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً ﴿٣﴾ .

وقال الحسن بن مهران في حديثه : فوثب النبي ﷺ حتى دخل منزل فاطمة بنتك فرأى ما بهم فجمعهم ثم انكب عليهم فبكى وهو يقول : أنتم منذ ثلاث فيما أرى وأنا غافل عنكم ؟ فهبط عليه جبرئيل بهذه الآيات : ﴿٤﴾ إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً ، حيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً ﴿٥﴾ قال : هي عين في دار النبي ﷺ يفجر إلى نور الأنبياء والمؤمنين ﴿٦﴾ يوفون بالذر ﴿٧﴾ يعني علياً وفاطمة والحسن والحسين ﷺ وجاريتهم ﴿٨﴾ ويخافون يوماً كان شره مستطيراً ﴿٩﴾ وييطعمون الطعام على حبه ﴿١٠﴾ يقول : على شهوتهم للطعام وإيثارهم له «مسكيناً» من مساكين المسلمين «ويتمياً» من يتامى المسلمين «وأميراً» من أسراء المشركين ويقولون إذا أطعموهم : ﴿١١﴾ إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً ﴿١٢﴾ قال : والله ما قالوا هذا لهم ولكنهم أضمره في أنفسهم ، فأخبر الله بما في ضمائرهم ، ويقولون : لا نريد جزاء تكافؤنا ، به ولا شكوراً تتنون علينا به ، ولكن إنما أطعمناكم لوجه الله وطلب ثوابه ، قال الله تعالى ذكره : ﴿١٣﴾ فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة ﴿١٤﴾ في الوجوه ﴿١٥﴾ وسروراً ﴿١٦﴾ في القلوب ﴿١٧﴾ وجزاهم بما صبروا جنة ﴿١٨﴾ يسكنونها ﴿١٩﴾ وحريراً ﴿٢٠﴾ يفترشونه ويلبسونه ﴿٢١﴾ متكئين فيها على الأرائك ﴿٢٢﴾ والأريكة : السرير عليه الحجلة ﴿٢٣﴾ لا يرون فيها شمساً ولا زمهيراً ﴿٢٤﴾ .

قال شيخنا المجلسي - رحمه الله - بعد ذكر أقوال المفسرين

- |                                     |                                 |
|-------------------------------------|---------------------------------|
| (١) سورة الإنسان : الآية : ١ .      | (٦) سورة الإنسان : الآية : ٩ .  |
| (٢) سورة الإنسان : الآية : ٢٢ .     | (٧) سورة الإنسان : الآية : ١١ . |
| (٣) سورة الإنسان : الآيات : ٥ و ٦ . | (٨) سورة الإنسان : الآية : ١٢ . |
| (٤) سورة الإنسان : الآية : ٧ .      | (٩) سورة الإنسان : الآية : ١٣ . |
| (٥) سورة الإنسان : الآية : ٨ .      |                                 |

والمحدثين : في هذه السورة أقوال : بعد ما عرفت من إجماع المفسرين والمحدثين على نزول هذه السورة في أصحاب الكساء عليهم السلام علمت أنه لا يريب (يشك) أريب ولا لبيب في أن مثل هذا الإيثار لا يتأتى إلا من قبل الأئمة الاختيار وأن نزول هذه السورة مع المائدة عليهم يدل على جلالتهم ورفعتهم ومكرمتهم لدى العزيز الجبار . . . الخ .

أقول : وأما كيف يمكن لهؤلاء أن يتجوعوا ثلاثة أيام بلياليها فليس ذلك بمستبعد ، لأننا نسمع ونقرأ في الصحف أن بعض الأفراد استمر صومهم تسعة أيام بدون أن يدخل شيء في جوفهم ، وأما المتراضون الذين يتجوعون بصورة مدهشة وينحصر أكلهم في كل يوم في لوزة واحدة ولا يموتون من الجوع بل يعيشون أعواماً وأعواماً ، ويمكن أن تقول : إن العادة في التجوع وعدمه لها تأثير ودخل في الموضوع .

وما قاله بعض الجهال : أنه هل يجوز أن يبالي الإنسان في الصدقة إلى هذا الحد ويجوع نفسه وأهله حتى يشرف على الهلاك ؟

فقد ضرب الرفم القياسي في التجاهل أو العناد ، لأن هذا هو الموساسة والله تعالى يقول : ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ <sup>(١)</sup> أي مع احتياجهم إلى الطعام يفضلون غيرهم على أنفسهم فلو كان هذا الإيثار فيحاً لما مدحهم الله تعالى . وأيضاً : إن الله تعالى أنزل سورة على نبيه تفديراً لهذا الإيثار الذي لا نظير له في البشر ، إلا عند الأنبياء فما دونهم .

فما قيمة انتقاد المخلوق الجاهل لهذا العمل العظيم الذي لم يسجل ولا يسجل التاريخ شبيهاً ومثيلاً له في تاريخ الكرماء الأسخياء فضلاً عن غيرهم ؟؟

---

(١) سورة المحشر : الآية : ٩ .

## مُفَاخِرَةُ عَلِيٍّ (ع) وَالْعَبَّاسِ

روى الحاكم أبو القاسم الحسكاني عن ابن بريدة عن أبيه قال : بينا شيبه بن أبي طلحة والعباس عم النبي يتفاخران إذ مرَّ بهما علي بن أبي طالب عليه السلام فقال : بماذا تتفاخران ؟ فقال العباس : لقد أُوتيت من الفضل ما لم يؤت أحد : سفاية الحاج .

وقال شيبه : أُوتيت عمارة المسجد الحرام . فقال علي عليه السلام : استحييت لكما فقد أُوتيت علي صغري ما لم تأتيا ، فقالا : وما أُوتيت يا علي ؟ قال : ضربت خراطيمكما بالسيف حتى امتما بالله ورسوله . فقام العباس يعجر ذيل ثوبه حتى دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : أما ترى إلى ما يستقبلني به علي ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : أدعوا لي علياً فدعي له ، فقال : ما حملك علي ما استقبلت به عمك ؟ فقال : يا رسول الله صدمته (دفعته) بالحق ، فمن شاء فليغضب ومن شاء فليرضي . فنزل جبرئيل وقال : يا محمد إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول : أتى عليهم : ﴿أَجْمَلْتُمْ سَفَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْرُونَ﴾<sup>(١)</sup> فقال العباس : إنا قدر ضيبتنا ثلاث مرات .

(١) سورة التوبة ٤ الآية : ١٩ .

## آية النجوى

### المفاخرة بصورة أخرى

قد ذكرنا - فيما مضى - شيئاً من خصائص الإمام عليه السلام التي تفرد بها عن غيره وكان يفتخر بها ، لأن الله تعالى أنزل في حقه وشأنه آية أو أكثر .

ومن جملة تلك الخصائص الفريدة والمزايا الحميدة ما رواه المفسرون ، في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرٌ ﴾ (١) .

فقد أورد الثعلبي والواحدي وغيرهما من علماء التفسير : أن الأضياء أكثروا مناجاة النبي صلى الله عليه وسلم وغلبوا الفقراء على المجالس عنده حتى كره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك واستطالة جلوسهم وكثرة مناجاتهم ، فأنزل الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ﴾ فأمر بالصدقة أمام المناجاة .

وأما أهل العسرة (الفقراء) فلم يجدوا ، وأما الأضياء فبخلوا ، وخف ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وخف ذلك الزحام ، وغلبوا على حبه والرغبة في مناجاته حب المحطام ، واشتد على أصحابه ، فنزلت الآية التي بعدها راشقة لهم بسهام الملام ، ناسخة بحكمها حيث أحجم من كان دأبه الإقدام .

(١) سورة المجادلة : الآية : ١٢ .

وقال علي عليه السلام : إن في كتاب الله لأية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي ، وهي آية المناجاة ، فإنها لما نزلت كان لي دينار فبعته بعشر دراهم وكنت إذا ناجيت الرسول تصدقت بدينهم حتى فنيت الدراهم ، فنسخت (الآية) بقوله : ﴿هَذَا شَفَقْتُمْ أَنْ تَقْدَمُوا بَيْنَ يَدَيِ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾ (١) الآية .

وقال ابن عمر : ثلاث كن لعلي لو أن لي واحدة منهن كانت أحب إلي من حمر النعم : تزويجه بفاطمة ، وإعطائه الراية يوم خيبر ، وآية النجوى .

وروى الشيخ الطوسي (ره) عن الترمذي والثعلبي عن علي عليه السلام أنه قال : بي خفف الله عن هذه الأمة ، لأن الله امتحن الصحابة بهذه الآية فتخاصوا عن مناجاة الرسول ، وكان قد احتجب في منزله من مناجاة كل أحد إلا من تصدق وكان معي دينار فتصدقت به ، فكنت أنا سبب التوبة من الله على المسلمين حين عملت بالآية ، ولو لم يعمل بها أحد لنزل العذاب لامتناع الكل عن العمل بها .

وفي كتاب فرائد السمطين : أن علياً عليه السلام ناجي رسول الله عشر مرات بعشر كلمات قدمها عشر صدقات ، فسأل في الأولى : ما الوفاء ؟ قال : التوحيد : شهادة أن لا إله إلا الله . ثم قال : وما الفساد ؟ قال : الكفر والشرك بالله عز وجل . قال : وما الحق ؟ قال : الإسلام والقرآن والولاية إذا انتهت إليك . قال : وما الحيلة ؟ قال : ترك الحيلة . قال : وما علي ؟ قال : طاعة الله وطاعة رسوله ، قال : وكيف أدعو الله تعالى ؟ قال : بالصدق واليقين ، قال : وما أسأل الله تعالى ؟ قال : العافية . قال : وماذا أصنع لنجاة نفسي ؟ قال : كل حلالاً وقل صدقاً قال : وما السرور ؟ قال : الجنة . قال : وما الراحة ؟ قال : لقاء الله تعالى ، فلما فرغ نسخ حكم الآية .

(١) سورة المجادلة ، الآية : ١٣ .

قال بعض الأعلام : وأنت إذا تأملت في هذه الكلمات العشر وما فيها من الحكيم والخير الكثير التي لا يعطيها الله ولا يؤتيها إلا خاصة خلقه والصالحين من عباده تجد أنها جديرة بأن يبذل بليزاتها الدنيا وما فيها ، وكيف لا وقد بذل أمير المؤمنين عليه السلام كل ما كان يملك - وهو دينار واحد - كما استفدنا من الروايات السابقة - ليأخذ هذه الكنوز الغالية من الحكيم . . . الخ .

وقد ذكرنا فيما مضى نزول قوله تعالى : ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله﴾<sup>(١)</sup> . أنها نزلت في مبيت علي عليه السلام على فراش رسول الله ، وقد ذكر ذلك المفسرون من الشيعة والسنة .

وقد ذكر المفسرون والمحدثون من الفريقين آيات كثيرة نزلت في شأن علي عليه السلام وأنه المقصود بها تفسيراً أو تويلاً بأنه : الشهيد ، والشاهد ، والمشهود ، والذكر والنور والهدى والصادق والمصدق والصديق والفضل والرحمة والنعمة ، والذي عنده علم الكتاب ، وقد ورد لكل اسم من هذه الأسماء حديث أو أكثر ، يصرح بأن علياً عليه السلام هو المقصود بذلك الاسم ورعاية للاختصار اكتفينا بالإشارة فقط ، ولنا في المستقبل مجال للتحدث عن الآيات القرآنية التي ترتبط بالإمام علي عليه السلام .

---

(١) سورة البقرة : الآية : ٢٠٧ .

## عَلِيّ (ع) وَالْعِلْم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله فرق حمد الحامدين وصى الله على سيد الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين .

قال الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup> .

لا شك أن العلم فضيلة وكمال ، ويعترف البشر بشرفه ، ويفضّل العالم على الجاهل بالضرورة لا بالتقليد ، وعلى هذا الأساس لم يسكت الإسلام عن فضيلة العلم والعالم فقد قال الرسول الأعظم ﷺ : طلب العلم فريضة على كل مسلم .

والقرآن الكريم يشير إلى مزية العلم وقيّمته وكرامته في كثير من الآيات ، ويثني على كل من أوتي من العلم نصيباً .

ومن أهم الأسس للوظائف الراقية والمناصب السامية (كالحكم والقضاء) هو العلم بالأحكام الشرعية وتعاليم آداب القضاء والفتوى ، ودرجات الإيمان بالله ومعرفته تابعة لمراتب العلم .

ونحن لا نستطيع أن نعرف علم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ومدى

(١) سورة الزمر ، الآية : ٩ .

إيمانه بالله تعالى ، لأن الرسول ﷺ قال - في حديث صحيح -: يا علي لا يعرف الله إلا أنا وأنت ، ولا يعرفني إلا الله وأنت ، ولا يعرفك إلا الله وأنا .

ولا نستطيع أن نحدد علم الإمام ونحيط به ، لأنه من علم رسول الله ﷺ وعلم رسول الله من الله تعالى ، وليس عن طريق الاكتساب والتحصيل بل بالإفاضة من عند الله تعالى ، ونجد في القرآن الكريم طائفة كبيرة من الآيات البينات التي تصرح بأن علوم الأنبياء من عند الله تعالى عن طريق الإفاضة والإلقاء في القلب ، ومعلوم : أن هذا النوع من العلم لا يشوبه شيء ، ولا مجال للباطل إليه ، بل هو الحق الصحيح الصدق المطابق للواقع ، واليكم بعض تلك الآيات :

﴿وقل : رب زدني علماً﴾<sup>(١)</sup> .

﴿فوجدنا عبداً من عبادنا آتينا رحمة من عندنا وعلّمناه من لدنا علماً﴾<sup>(٢)</sup> .

﴿وزاده بسطة في العلم والجسم﴾<sup>(٣)</sup> .

﴿وكللاً آتينا حكماً وعلماً﴾<sup>(٤)</sup> .

﴿ولوطاً آتينا حكماً وعلماً﴾<sup>(٥)</sup> .

﴿ولقد آتينا داود وسليمان علماً﴾<sup>(٦)</sup> .

﴿فلما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً﴾<sup>(٧)</sup> .

(١) سورة طه ، الآية : ١١٤ .

(٢) سورة الكهف ، الآية : ٦٥ .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٤٧ .

(٤) سورة الأنبياء ، الآية : ٧٩ .

(٥) سورة الأنبياء ، الآية : ٧٤ .

(٦) سورة النمل ، الآية : ١٥ .

(٧) سورة القصص ، الآية : ١٤ .

﴿إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي﴾ (١) .

﴿إذ قال الله يا عيسى بن مريم أذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ آيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهدي وكهلاً ، وإذ علمتك الكتاب والحكمة﴾ (٢) .

﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ (٣) .

﴿يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك﴾ (٤) .

﴿ففهمناها سليمان﴾ (٥) .

﴿ذلكما مما علمني ربي﴾ (٦) .

﴿وأنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم﴾ (٧) .

﴿وقتل داودُ جالوت وأتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء﴾ (٨) .

﴿وإنه لذو علم لما علمناه﴾ (٩) .

﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾ (١٠) .

إذا عرفتم ذلك فكيف نستطيع أن نعرف مقياس علوم الإمام ومستوى معارفه وثقافته الإلهية ؟

وكيف نتمكن من الإحاطة بعلم باب مدينة علم الرسول ﷺ والتلميذ الأول للرسول الأعظم الذي فرغ رسول الله علومه في صدر الإمام ، وعلمه في وجبة واحدة ألف باب من العلم يُفتح له من كل باب ألف باب ؟ .

(٦) سورة يوسف ، الآية : ٣٧ .

(٧) سورة النساء ، الآية : ١١٣ .

(٨) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٦ .

(٩) سورة يوسف ، الآية : ٦٨ .

(١٠) سورة النساء ، الآية : ١٠٥ .

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٤٤ .

(٢) سورة المائدة ، الآية : ١١٠ .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٣١ .

(٤) سورة مريم ، الآية : ٤٣ .

(٥) سورة الأنبياء ، الآية : ٧٩ .

وما يدري هل آسف على الإمام الذي ضاع قدره في ذلك العهد فلم يُفسح له المجال ليث للمسلمين شيئاً من علومه الإلهية ومعارفه الربانية ؟ أم آسف على المسلمين الذين حُرموا من ذلك المنهل العذب وهم بأمر الحاجة إلى العلم ؟ فقد مضى خمس وعشرون سنة وعليّ منك جليس بيته مسلوب الإمكانيات مكبوتاً عليه لا يستطيع تنوير العقول بعلومه وتزويد النفوس بمواهبه ؟

قد نسمع أن بعض الغربيين يبدي أسفه على مكتبة الإسكندرية التي حُكم عليها بالإحراق ، وما ضاعت هناك من علوم وكنوز وأسرار وفنون وصارت طعمة للحريق ، فلو كانت تلك العلوم في متناول البشر اليوم وقبل اليوم لكانوا في أرقى درجات الحضارة وأوج العظمة يتصرفون في تلك الكنوز ويعيشون في أوسع فضاء يستشقون شتى العلوم ويتنعمون بتلك الثروة الفكرية التي كانت تساعدهم في التقدم بصورة مذهشة .

وسبب تأخر المسلمين خاصة والبشر عامة في خلال هذه القرون إنما هو من بركات ذلك العمل اللإنساني .

إن كان احتراق مكتبة تضم الكتب المتنوعة يوجب التأثر والتألم في نفوس هواة العلم ورواد الفضيلة مع العلم أن الكتب كانت صامدة لا ينتفع بها الأميون والفقير لا يحسنون لغة تلك الكتب ، فإن تجميد شخصية قد تمثلت وتجمعت فيها دوائر المعارف بكافة أنواعها وجميع أقسامها يؤسف له أكثر وأكثر ، أليس من المؤسف أن تعيش أمة من الناس في الظلمات ، وعندهم الضياء اللامع والسراج المنير الذي يضيء لهم الدروب والطرق وهم بأمر الحاجة إليه ؟؟ وإذا بجماعة يحاولون إخفاء ذلك الضياء والحيلولة بينه وبين الإضاءة والإشراق ، ويعجبهم أن يشاهدوا الناس محرومين عن الاستضاءة بأنوار ذلك القمر ، وفعلوا وصلوا إلى ما أراثوا ، وحكموا على المجتمع الإسلامي بالخيبة والحرمان من العلوم الإلهية وكنوز المعارف الربانية ، وذلك حينما حكموا على عليّ بنك بالإعتزال وسلبوه كل

نشاط علمي ، وضيقوا عليه المجال غاية التضيق خلال خمس وعشرين سنة - كما تقدم الكلام - .

وبعد أن وجد المجال وعادت إليه الإمكانيات واسترد ما صُلب منه ، وإذا بالحروب الداخلية والاضطرابات تحط من نشاطه العلمي وتبطل فكره وتشغل قلبه ، وتسلب القرار والإطمئنان من ذلك المجتمع ، فينقلب النشاط العلمي إلى طاقة حربية ، وتنقلب المعاهد الثقافية إلى معارك دامية ومجازر مشجية وما هنالك من نتائج وخيمة .

بالرغم من هذا كله فقد استطاع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن يرفع أضواء مشعل للعلم في سماء الثقافة والمعرفة ، فهذا كتاب نهج البلاغة وهو جزء من أربعة وعشرين جزءاً من خطب الإمام وكلماته الحكمية ورسائله القيمة ، وهذه الكمية هي التي حفظها التاريخ ولا تسأل عن المخطب والعلوم التي ضاعت ولم تلتقطها الأدمغة ولم تسجلها مسجلات التاريخ ، فقد روي أن علياً عليه السلام خطب في الناس - يوماً - من بعد صلاة الصبح إلى قبيل الظهر ، فكان الإمام يفيض على الخلائق العلوم بشتى أنواعها طيلة ست ساعات تقريباً .

والآن نذكر لكم ما تيسر من الأحاديث الواردة حول علوم الإمام ومدى سعة معلوماته الجمة : (في البحار) قال أمير المؤمنين عليه السلام : لو ثبت لي الوسادة لحكمت بين أهل القرآن بالقرآن حتى يزهر إلى الله ولحكمت بين أهل التوراة بالتوراة حتى يزهر إلى الله ، ولحكمت بين أهل الإنجيل بالإنجيل حتى يزهر إلى الله ، ولحكمت بين أهل الزبور بالزبور حتى يزهر إلى الله ، ولولا آية في كتاب الله لأنبأتكم بما يكون حتى تقوم الساعة .

وقال علي عليه السلام : لأنا أعلم بالتوراة من أهل التوراة وأعلم بالإنجيل من أهل الإنجيل .

عن الأصمعي بن نباتة قال : لما قدم علي عليه السلام الكوفة صلى بهم

أربعين صباحاً فقرأ بهم : ﴿سُبْحَ اسم ربك الأعلى﴾<sup>(١)</sup> فقال المنافقون : والله ما يحسن أن يقرأ ابن أبي طالب القرآن ، ولو أحسن أن يقرأ لقرأ بنا غير هذه السورة ، قال : فبلغه ذلك ، فقال ويلهم ! إني لأعرف ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ، وفصاله من وصله ، وحروفه من معانيه ، والله ما حرف نزل على محمد ﷺ إلا وأنا أعرف فيمن أنزل وفي أي يوم نزل وفي أي موضع نزل ، ويلهم أما يقرؤون ﴿إن هذا الذي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى﴾<sup>(٢)</sup> والله عندي ، ورثتها من رسول الله ﷺ وورثها رسول الله ﷺ من إبراهيم وموسى ، ويلهم ! والله إني أنا الذي أنزل الله في : ﴿وتعيبها أذن وإصية﴾<sup>(٣)</sup> فإننا كنا عند رسول الله ﷺ فيخبرنا بالوحي ، فأعياه ويفوتهم ، فإذا خرجنا قالوا : ماذا قال آنفاً ؟ .

عن عصابة بن ربيعي قال : سمعت علياً عليه السلام يقول : سلوني قبل أن تفقدوني ، ألا تسألون من عنده علم المنايا والبلايا والأنساب ؟ .

عن الأصمغ بن نيانة قال : لما يبيع أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة خرج إلى المسجد معتماً بعمامة رسول الله ﷺ لابساً بُرديه ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وأنذر ، ثم جلس متمكناً وشبك بين أصابعه ووضعها أسفل سرتة ، ثم قال : يا معشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني ، سلوني فإن عندي علم الأولين والآخرين ، أما والله لوئني لبي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم ، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وبين أهل الزبور بزبورهم ، وبين أهل الفرقان بفرقانهم ، حتى ينهي كل كتاب من هذه الكتب ويقول :

يا رب إن علياً قضى بقضائك . والله إني لأعلم بالقرآن وتأويله من كل مدعٍ علمه ، ولولا آية في كتاب الله تعالى لأخبرتكم بما يكون إلى يوم

(١) سورة الأعلى ، الآية : ١ .

(٢) سورة الأعلى : الأيتان : ١٨ و ١٩ .

(٣) سورة الحاقة ، الآية : ١٢ .

القيامة . ثم قال : سلوني قبل أن تفقدوني ، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتُموني عن آية لأخبرتكم بوقت نزولها وفيما نزلت ، وأنباتكم بناسخها من منسوخها وخاصها من عامها ، ومحكمها من متشابهها ، ومكيها من مدنيها والله ما من فئة تفضل أو تهدي إلا وأنا أعرف قائدها وسائقها وناعقها إلى يوم القيامة .

قال ابن عباس : علي علم علماً علمه رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ علمه الله ، فعلم النبي - صلوات الله عليه وآله - من علم الله ، وعلم علي من علم النبي ﷺ وعلمي من علم علي ﷺ ، وما علمي وعلم أصحاب محمد ﷺ في علم علي إلا كقطرة في سبعة أبحر .

عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب قال له : يا أبا الحسن إنك لتعجل في الحكم والفصل للشيء إذا سُئلت عنه ! قال : فأبرز علي كفه وقال له : كم هذا ؟ فقال عمر : خمسة ، فقال عجلت : أبا حفص ؟ قال : لم يخف علي ، فقال علي ﷺ : وأنا أسرع فيما لا يخفي علي .

قال الصادق ﷺ لابن أبي ليلى : أتقضي بين الناس يا عبد الرحمن ؟ قال : نعم يا ابن رسول الله ، قال : بأي شيء تقضي ؟ قال : بكتاب الله . قال : فما لم تجد ، في كتاب الله ؟ قال من سنة رسول الله ﷺ وما لم أجده فيهما أخذته عن الصحابة بما اجتمعوا عليه ، قال : فإذا اختلفوا فبقول من تأخذ منهم ؟ قال : بقول من أردت وأخالف الباقيين ، قال أبو عبد الله ﷺ : ما تقول يوم القيامة إذا رسول الله ﷺ قال : أي رب إن هذا بلغه عني قول فخالفه ؟ قال : وأين خالفت قوله يا ابن رسول الله ؟ قال : فبلغك أن رسول الله قال : أقضاكم علي ﷺ ؟ قال : نعم ، قال : فإذا خالفت قوله ألم تخالف قول رسول الله ﷺ ؟ فاصفر وجه ابن أبي ليلى وسكت .

عن الأصمغ بن نباتة وجماعة أن أمير المؤمنين ﷺ قال بحضرة المهاجرين والأنصار - وأشار إلى صدره - : كيف ملئ علماً لو وجدت له

طالباً ؟ سلوني قبل أن تفقدوني ، هذا سقط العلم هذا لعاب رسول  
الله ﷺ هذا ما زقني رسول الله ﷺ زقاً ، فاسألوني فإن عندي علم  
الأولين والآخرين أما والله لو ثبت لي الوسادة . . . الخ .

وفي نهج البلاغة : وقالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما  
بينكم وبين الساعة ولا عن فئة تهدي مائة وتضل مائة إلا نبتكم بناعقها  
وقائدها وسائقها ومناخ ركابها ومحط رحالها ، ومن يقتل من أهلها قتلاً  
ويموت موتاً .

وعن سلمان أنه قال ﷺ : عندي علم المنايا والبلايا والوصايا  
والأنساب وفصل الخطاب ، ومولد الإسلام ومولد الكفر ، وأنا صاحب  
الميسم ، وأنا الفاروق الأكبر ، ودولة الدول فسلوني عما يكون إلى يوم  
القيامة ، وعما كان قبلي وعلى عهدي وإلى أن يُعبد الله .

## عَلِيٌّ (ع) وَالْخُطَابَةُ

الا ترى إلى خطبه ﷺ مثل : التوحيد والشكشقية والهداية والملاحم  
واللؤلؤة والغراء والقصاصعة والافتخار والأشباح والدرة اليتيمة والأقاليم  
والوسيلة والعلائونية والقصصية والسلمانية والناطقة والدامنة والفاضحة ، بل  
إلى نهج البلاغة عن الشريف الرضي ، وكتاب خطب أمير المؤمنين عن  
إسماعيل بن مهران السكوني عن زيد بن وهب أيضاً ، قال الرضي : كان  
أمير المؤمنين ﷺ مشرع الفصاحة وموردها ، ومنشأ البلاغة ومولدها ومنه  
ظهر مكنونها ، وعنه أخذت قوانينها .

الجاحظ في كتاب الغرة : كتب علي ﷺ إلى معاوية : غرّك عرّك ،  
فصار قصار ذلك ذلك ، فاحش فاحش فعلك فعلك تهذا بهذا .

وقال ﷺ : (من أمن أمن) .

قال ابن أبي الحديد في شرحه على نهج البلاغة :

وأما الفصاحة فهو عتق إمام الفصحاء ، وسيد البلغاء وعن كلامه قيل : هو (دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق) ومنه تعلم الناس الخطابة والكتابة . قال عبد الحميد بن يحيى : حفظت سبعين خطبة من خطب الأ صلح ، ففاضت ثم فاضت .

وقال نباتة : حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيد الإنفاق إلا سعة وكثرة ، حفظت مائة فصل من مواعظ علي بن أبي طالب .

ولما قال محقق بن أبي محقق - لمعاوية - : (جئتك من عند أعي الناس) قال له : ويحك ! كيف يكون أعي الناس ؟ فوالله ما سن الفصاحة لقريش غيره .

ويكفي هذا الكتاب الذي نحن شارحوه دلالة على أنه لا يجارى في الفصاحة ، ولا يبارى في البلاغة ، وحسبك أنه لم يدون لأحد من فصحاء الصحابة العشر ولا نصف العشر مما دون له ، وكفاك في هذا الباب ما يقوله أبو عثمان الجاحظ في مدحه في كتاب (البيان والتبيين) وفي غيره من كتبه .

### ومن خطبة له عليه السلام

#### يذكر فيها بديع خلقه الخفاف

منها : ومن لطائف صنعته وعجائب خلقته ما أرانا من غوامض الحكمة في هذه الخفافيش التي يقبضها الضياء الباسط لكل شيء ويبسطها الظلام القابض لكل حي . وكيف عشيبت أعينها ، عن أن تستمد من الشمس المضيئة نوراً تهتدي به في مذاهبها ، وتتصل بعلائق برهان الشمس إلى معارفها ، وردعها بتلالؤ ضيائها عن المضي في سبحات إشراقها ، وأكنها في مكانها عن الذهاب في بلج اثلاقها ، فهي مسدلة الجفون بالنهار على أحداقها ، وجاعلة الليل سراجاً نستدل به في التماس أرزاقها . فلا يرد أبصارها إسداف ظلمته ، ولا تمتنع من المضي فيه لغسق دجنته ، فإذا ألقت الشمس قناعها ، وبدت أوضاع نهارها ، ودخل من إشراق نورها على

الضباب في وجارها ، أطبقت الأجنان على مآقيها ، وتبلغت بما اكتسبت من فيء ظلم لياليها ، فسبحان من جعل الليل لها نهاراً ومعاشاً ، والنهار سكناً وقراراً ، وجعل لها أجنحة من لحمها تمرج بها عند الحاجة إلى الطيران كأنها شظايا الأذان ، غير ذوات ريش ولا قصب ، إلا أنك ترى مواضع العروق بيئة أعلاماً ، لها جناحان لما يرقا فينشفا ، ولم يغلظا فيثقلتا . تطير وولدها لاصق بها ، لاجيء إليها ، يقع إذا وقعت ، ويرتفع إذا ارتفعت . لا يفارقها حتى نشتد أركانها ، ويحملة للنهوض جناحه ، ويعرف مذاهب عبثه ومصالح نفسه . فسبحان الباريء لكل شيء على غير مثال خلا من غيره .

### من خطبة له عليه

### يذكر فيها عجب خلق الطاووس

ابتدعهم خلقاً من حيوان وموات ، وساكن وذوي حركات . فأقام من شواهد البينات على لطيف صنعه وعظيم قدرته ما انقادت له العقول معترفة به . . . . . ومسلمة له . ونعتت في أسماعنا دلائله على وحدانيته وما ذرا من مختلف صور الأطيوار التي أسكنها أحياديدي الأرض وخرووق فجاجها ، ورواسي أعلامها . من ذات أجنحة مختلفة ، وهيئات متباينة ، مصرفة في زمام التسخير ومرفرفة بأجنحتها في مخارق الجور المنفسح ، والفضاء المنفرج . كونها بعد أن لم تكن في عجائب صور ظاهرة ، وركبها في حفاق مفاصل محتجبة . ومنع بعضها بعبالة خلقه أن يسمو في السماء خضوفاً ، وجعله يدف دقيفاً . ونسقا على اختلافها في الأصايخ بلطيف قدرته ودقيق صنعه . فمنها مغموس في قالب لون لا يشوبه غير لون ما غمس فيه . ومنها مغموس في لون صبيغ قد طوق بخلاف ما صبيغ به ومن أعجبها خلقاً : الطاووس الذي أقامه في أحكم تعديل ، ونضد ألوانه في أحسن تنضيد ، بجناح أشرج قصبه ، وذنب أطال مسجه ، إذا درج إلى الأنتى نشره من طيه ، وسما به مطلاً على رأسه كأنه قلع داربي

عنجه نوتيه . يختال بالوانه ، ويميس بزيفانه ، يفضي كأفضاء الديكة ، ويؤر بملاحة أَر الفحول المعتلمة في الضراب . أحيلك من ذلك على معاينة ، لا كمن يحيل على ضعيف إسناده . ولو كان كزعم من يزعم أنه يلقح بدمعة تسفحها مدامعه فتقف في ضفتي جفونه وأن أنثاء تطعم ذلك ، ثم تبيض لا من لقاح فحل سوى الدمع المنبجس لما كان ذلك بأعجب من مطاعمة الغراب ، تحال قصبه مداري من فضة وما أنبت عليها من عجيب داراته وشموسه خالص العقبان وقلذ الزيرجد فإن شبهته بما أنبت الأرض قلت جني جني من زهرة كل ربيع . وإن ضاهيته بالملايس فهو كموشي الحلل أو كمونق عصب اليمين . وإن شاكلته بالحلي فهو كفضوص ذات ألوان قد نطقت باللجين المكثل ، يشي مشي المرح المختال ، ويتصفح ذنبه وجناحيه فيمتهه ضاحكاً لجمال سرياله وأصابع وشاحه ، فإذا رمى يبصره إلى قوائمه زقا معولاً بصوت يكاد يبين عن استغاثته ، وشهد بصادق توجهه ، لأن قوائمه حمش كقوائم الديكة الخلاسية وقد نجمت من ظنوب ساقه صيصية خفية وله في موضع العرف قنزعة خضراء موشاة ، ومخرج عنقه كالإبريق ومغزها إلى حيث بطنه كصبيغ الوسمة اليمانية ، أو كحريرة ملبسة مرعاة ذات صقال وكأنه متلفع بمعجراً سحج ، إلا أنه يخيل لكثرة مائه وشدة بريقه أن الخضرة الناضرة ممتزجة به . ومع فتق سمعه خط كمستدق القلم في لون الأقحوان أبيض يفتق . فهو بياضه في سواد ما هنالك ياتلق . وفل صيغ إلا وقد أخذ منه بقسط ، وعلاه بكثرة صقاله وبريقه ويصيص ديباجه ورونقه ، فهو كالأزاهير المبهوثة لم تربها أمطار ربيع ولا شمس قيط . وقد يتحسر من ريشه ، ويعرى من لباسه ، فسقط تترى ، وينبت تباعاً . . .

فينحت من قصبه إنحات أوراق الأغصان ، ثم يتلاحق نامياً حتى يعود كهيئته قبل سقوطه . لا يخالف سالف ألوانه ، ولا يقع لون في غير مكانه . وإذا تصفحت شعرة من شعرات قصبه أرنك حمرة وردية ، وتارة خضرة زبرجدية ، وأحياناً صفرة عسجدية فكيف تصل إلى صفة هذا عمائق الفطن ، أو تبلغه قرائح العقول ، أو تستنظم وصفه أقوال الواصفين وأقل

أجزائه فد أعجز الأوهام أن تدركه ، والألسنة أن تصفه . فسبحان الذي بهر العقول عن وصف خلق جلاه للعيون فأدركته محدوداً مكوناً ، ومؤلّفاً ملوناً . وأعجز الألسن عن تلخيص صفته ، وقعد بها عن تأدية نعمته . وسبحان من أدمج قوائم الذرة والهمجة إلى ما فوقهما من خلق المحيطان والأفيلة . ووأي على نفسه أن لا يضطرب شبح مما أولج فيه الروح إلا وجعل الحمام موعده والفناء غايته .

ومنها خطبتان له صلوات الله عليه إحداهما بلا ألف والأخرى بلا نقطة (الأولى) في المناقب روى الكلبي عن أبي صالح وأبو جعفر بن بابويه قدس سره بإسناده عن الرضا عليه السلام عن أبياته عليه السلام أنه اجتمعت الصحابة فتذاكروا أن الألف أكثر دخولاً في الكلام فارتجل تلك الخطبة المونقة وهي : حمدت من عظمت منته وسبغت نعمته وسبقت رحمته غضبه ، وتمت كلمته ، ونفذت مشيئته ، وبلغت قضيته ، حمدته حمد مقرر بربوبيته ، متخضع لعبوديته ، متنصل من خطيئته ، متفرد بتوحيده ، مؤمل منه مغفرة تنجيه يوم يشغل عن فضيلته ونيبه ، ونستعينه ونسترضيه ونستهديه ، ونؤمن به ونتوكل عليه وشهدت له شهود مخلص موقن ، وفردته تفريد مؤمن متيقن ، ووحده توحيد عبد مدعن ، ليس له شريك في ملكه ولم يكن له ولي في صنعه ، جل عن مشير ووزير ، وعن عون ومعين ونصير ونظير علم فسر ، وبطن فخبير ، وملك فقهر ، وعصبي فغفر ، وحكم فعدل ، لم يزل ولن يزل ليس كمثل شيء وهو بعد كل شيء ، رب معتز بعزته ، متمكن بقوته ، متقدس بعلوه متكبر بسموه ليس يدركه بصر ، ولم يحط به نظر ، قوي منيع ، بصير سميع ، رؤوف رحيم عجز عن وصفه من يصفه ، وضل عن نعمته من يعرفه ، قرب فبعد ، وبعُد فقرب ، يجيب دعوة من يدعوه ، ويرزقه ويحبوه ، ذو لطف خفي ، وبطش قوي ، ورحمة موسعة ، وعقوبة موجعة ، رحمته جنة عريضة مونقة ، وعقوبته جحيم ممدودة موقعة ، وشهادت يبعث محمد رسوله وعبداه وصفيه ونيبه ونجيه وحبيبه وخليله ، بعثه في خير عصر ، وحين فترة ، وكفر ، رحمة لعبيده ومنة لمزيديه ، ختم به

نبوته ، وشيّد به حجته ، فوعظ ، ونصح وبلغ وكدح ، رؤوف بكل مؤمن  
 رحيم ، رضي ولي زكي ، عليه رحمة وتسليم وبركة وتكريم ، من رب  
 غفور رحيم قريب مجيب ، وصيبتكم معشر من حضرتي بوصية ربكم  
 وذكّرتكم بسنة نبيكم ، فعليكم برهبة تسكن قلوبكم ، وخشية تذري  
 دموعكم ، وتقية تنجيكم قبل يوم يليلكم ويذهلكم ، يوم يفوز فيه من ثقل  
 وزن حسنته ، وخف وزن سيئته ولتكن مسألتكم وتملقكم مسألة ذل  
 وخضوع ، وشكرو وخشوع ، بثوبة ونزع ، وندم ورجوع ، وليغتنم كل مغتنم  
 منكم صحته قبل سقمه ، وشيئته قبل هرمه ، وسعته قبل فقره ، وفرغته قبل  
 شغله ، وحضره قبل سفره ، قبل تكبر وتهرم وتسقم ، يملأ طبيبه ويعرض عنه  
 حبيبه ، ويقطع عمره ويتغير عقله ، ثم قيل هو موعوك ، وجسمه منهوك ،  
 ثم جد في نزع شديد ، وحضره كل قريب وبعد ، فشخص بصره وطمح  
 نظره ، ورشح جبينه وعطف عرينه ، وسكن حينه ، وحزنته نفسه ، ويكته  
 عرسه ، وحفر ريسه ، ويتم منه ولده ، وتفارق منه عدده ، وقسم جمعه ،  
 وذهب بصره وسمعته ، ومدّ وجرّد وعري وغسل ، ونشف وسجّي ، ووسط  
 له وهية ، ونشر عليه كفته ، وشدّ منه ذقنه ، وقمّص وعمّم ، وودّع  
 وسلّم ، وحتمل فوق سرير ، وضلي عليه بنكبير ، ونقل من دور مزخرقة ،  
 وقصور مشيدة ، وحجر منجدة ، وجعل في ضريح ملحد وضيق مرصود ،  
 بملين منضود ، مسقف بجلصود ، وهيل عليه حفرة ، وحتى عليه قدره  
 وتحقق حضره ، ونسي خيره ، ورجع عنه وليه ، وصفيه ونديمه ونسيه ،  
 وتبدل به قرينه وحبيبه ، فهو حشو قبر ، ورهين قفر ، يسمي بجسمه دود  
 قبره وسيل صديده من منخره ، يسحق برمته لحمه ، وينشف دمه ويرم  
 عظمه ، حتى يوم حشره . فنشر من قبره حين ينفخ في صور ، ويدعى  
 بحشر ونشور فثم بعثرت قبور ، وحصلت سريرة صدور ، وجيء بكل نبي  
 وصديق وشهيد ، وتوحد للفصل قدير ، بعده خبير بصير ، فكم من زفرة  
 تضنيه ، وحسرة تضيه ، في موقف مهول ، ومشهد جليل ، بين يدي ملك

عظيم ويكل صغير وكبير عليهم ، فحينئذ يلجمه عرقه ، ويحصره قلقه ، عبرته غير مرحومة ، وصرخته غير مسموعة وحجته غير مقبولة ، زاوول جريدته ، ونشر صحيفته ، نظر في سوء عمله ، وشهدت عليه عينه بنظره ، ویده ببطشه ، ورجله بخلوه ، وفرجه بلمسه ، وجلده بمسه ، فسلسل جيله ، وغلت يده ، وسبق فسحب راحه ، فورد جهنم بكرب وشدة فظل يعذب في جحيم ، ويسقى شربة من حميم ، تشوي وجهه وتسلخ جلده ، وتضربه زبنيته بمقمع من حديد ، ويعود جلده بعد تضججه كجلد جديد ، يستغيث فتعرض عنه خزنة جهنم ، ويستصرخ فيلبث حقة يندم ، نعوذ برب قدیر ، من شر كل مصير ، ونسأله عفو من رضي عنه ، ومغفرة من قبله ، فهو ولي مسألتي ، ومنجح طلبتي ، فمن زحزح عن تعذيب ربه جعل في جنته بعزته وخلد في قصور مشيدة ، وملك بحور عين وحفدة ، وطيف عليه بكووس وسكن حظيرة قدس ، وتقلب في نعيم ، وسقي من تسنيم ، وشرب من عين سلسبيل ، ومزج له بزنجيل ، مختم بمسك وعبير ، مستديم للملك ، مستشعر للسرور ، يشرب من خمور في روض مغدق ليس يصدع من شربه ، وليس يتزف ، هذه منزلة من خشي ربه ، وحذر نفسه معصيته ، وتلك عقوبة من جحد مشيئته ، وسولت له نفسه معصيته ، فهو قول فصل ، وحكم عدل ، وخبر قصص قص ، ووعظ نص ، تنزيل من حكيم حميد ، نزل به روح قدس مبين ، على قلب نبي مهتد رشيد ، صلت عليه رسل سفرة مكرمون بررة ، عدت برب عليهم رحيم كريم من شر كل عدو لعين رجيم ، فليتضرع متضرعكم وليتهل مبتهلكم ويستغفر كل مربوب عنكم لي ولكم وحسي ربي وحده .

ثم ارتجل الإمام عليه السلام خطبة أخرى خالية من النقط وهي على نسختين (الأولى) :

الحمد لله الملك المحمود ، المالك الوجود مُصور كل مولود ، ومأل كل مطرود ، ساطح المهاد وموطد الأطواد ، ومرسل الأمطار ومسهل

الأوطار ، عالم الأسرار ومدركها ، ومدمر الأملاك ومهلكها ، ومكور الدهور ومكررها ، ومورد الأمور ومصدرها ، عم سماحه وكامل ركابه ، وعمل ، وطاوع السؤال والأمل ، وأوسع الرمل وأرمل ، أحمدته حمداً ممدوداً ، وأوحده كما وحد الأواه ، وهو الله لا إله إلاه للأمم سواء ولا صانع لما عدله وسواه أرسل محمداً علماً للإسلام وإماماً للحكام مسدداً للرعايا ومعتل أحكام وُدّ وسواع ، أعلم وعلم ، وحكم وأحكم ، وأصل الأصول ، ومهد وأكد الموعود ، وأوعد أوصل الله له الأكرام ، وأودع روحه السلام ، ورحم آله وأهله الكرام ، ما لمع رائل وطلع دال ، وطلع هلال ، وسمع إهلال ، اعملوا رعاكم الله أصلح الأعمال واسلكوا مسالك الحلال ، واطرحوا المحرام ، ودعوه ، واسمعوا أمر الله وعوه ، وصلوا الأرحام وراعوها وعاصوا الأهواء وادعوها ، وصاهروا أهل الصلاح والورع وصارموا رهط اللهو والطمع ، ومصاهركم أظهر الأحرار مولداً وأسراهم مؤدداً ، وأحلامهم مورداً ، وما هو أمكم وحل حرمكم مملكتاً عروسكم المكرمه وما مهر لها كما مهر رسول الله أم سلمه ، وهو أكرم صهر أودع الأولاد ومثل ما أراد وما سها مملكه ولا وهم ولا وكس ملاحمه ولا وصم ، أسأل الله حكم أحماد وصاله ، ودوام إسماعه ، وألهم كلاً إصلاح حاله والأعداد لماله ومعاده وله الحمد السرمه والمدح لرسوله أحمد .

(الثانية) : في المناقب روى الكلبي عن أبي صالح وأبو جعفر بن بابويه بإسناده عن الرضا عليه السلام عن أبياته عليه السلام أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ارتجل خطبة أخرى من غير النقط التي أولها : الحمد لله أهل الحمد وماواه وأوكد الحمد وأحلاه وأسرع الحمد وأسراه وأظهر الحمد وأسماه وأكرم الحمد وأولاه - إلى آخرها .

ومنهم الشعراء وهو عليه السلام أشعرهم وذكر البلاذري في أنساب الأشراف أن علياً أشعر الصحابة وأفصحهم وأكثبهم .

في تاريخ البلاذري : كان أبو بكر يصول الشعر ، وعمر يقول الشعر

وعثمان يقول الشعر ، وكان علي عليه السلام أشعر الثلاثة .

ومنهم الوعاظ وليس لأحد من الأمثال والمعبر والمواعظ والزواجر ما له نحو قوله عليه السلام : «من زرع العدوان حصد الخسران ، من ذكر المنية نسي الأمانة ، من قعد به العقل قام به الجهل ، يا أهل الغرور ما ألهجكم بدار خيرها زهيد ، وشرها عتيد ، ونعيمها مسلوب ، وعزيزها منكوب ، ومسالمتها محروب ، ومالكها مملوك وتراثها متروك ؟» .

ومنهم الفلاسفة وهو عليه السلام أرجحهم ، قال عليه السلام : أنا النقطة أنا الخط ، أنا الخط أنا النقطة ، أنا النقطة والخط ، فقال جماعة : إن القدرة هي الأصل ، والجسم حجاب ، والصورة حجاب الجسم ، لأن النقطة هي الأصل ، والخط حجاب ومقامه ، والحجاب غير الجسد الناسوتي .

وسئل عليه السلام عن العالم العلوي فقال : صور عارية من المواد ، عالية عن القوة والاستعداد ، تجلى لها فأشرق ، وطالمتها فتلألأت ، والتي في هويتها مثاله فأظهر عنها أفعاله ، وخلق الإنسان ذا نفس ناطقة . إن زكائها بالعلم فقد شابتهت جواهر أوائل عللها ، وإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد فقد شارك بها السبع الشداد .

قال ابن سينا : لم يكن شجاعاً فيلسوفاً قط إلا علي عليه السلام .

قال الشريف الرضي : من سمع كلامه عليه السلام لا يشك أنه كلام من قبح في كسر بيت أو انقطع في سفح جبل ، لا يسمع إلا حسه ، ولا يرى إلا نفسه ، ولا يكاد يوقن بأنه كلام من ينغمس في الحرب ، مصلتاً سيفه ، فيقط الرقاب ويجدل الأبطال ، ويعود به ينطف دماً ويقطر مهجاً ، وهو مع ذلك زاهد الزهاد وبدل الأبدال ، وهذه من فضائله العجيبة وخصائصه التي جمع بها بين الأضداد .

ومنهم المنجمون وهو عليه السلام أكيسهم ، قال سعيد بن جبير استقبل أمير المؤمنين عليه السلام دهقان فقال له : يا أمير المؤمنين تناحست النجوم الطالعات وتناحست السمود بالنحوس فإذا كان مثل هذا اليوم وجب على الحكيم

الاختفاء ، ويومك هذا يوم صعب قد اقترن كوكبان ، وانفكاً فيه الميزان ، وانفدح من برجك النيران ، وليس الحرب لك بمكان ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أيها الدهقان ، المنبئ بالأثار ، المخوف من الأقدار ما كان البارحة صاحب الميزان ؟ وفي أي برج كان صاحب السرطان ؟ وكم الطالع من الأسد والساعات في الحركات ؟ وكم بين السراري والزراري ؟ قال : سأنظر في الأسطرلاب فتبسم أمير المؤمنين عليه السلام وقال له : ويحك يا دهقان أنت مسير الثابتات ؟ أم كيف تقضي على الجاربات ؟ وأين الأسد من المطالع ؟ وما الزهرة من التوايح والجوامع ؟ وما دور السراري المحركات ؟ وكم قدر شعاع المنيرات ؟ وكم التحصيل بالغدوات ؟ فقال : لا علم لي بذلك يا أمير المؤمنين ، فقال له : يا دهقان هل نتج علمك أن انتقل بيت ملك الصين ، واحترقت نور بالزنج ، وخمدت بيت نار فارس وانهدمت منارة الهند ، وغرقت سرانديب ، وانقض حصن الأندلس ، وتنج بترك الروم بالرومية ؟؟ فخر الدهقان ساجداً فلما أفاق قال أمير المؤمنين عليه السلام ألم أروك من عين التوفيق ؟ فقال : بلى ، فقال : أنا وصاحبي لا شرقيسون ولا غربيون ، نحن ناشئة القطب وأعلام الفلك ، أما قولك وانفدح من برجك النيران وظهر منه السرطان فكان الواجب أن تحكم به لي لا علي ، أما نوره وضياؤه فعندي ، وأما حريقه ولهيه فذهب عني وهذا مسألة عقيمة إحسبها إن كنت حاسباً . فقال الدهقان : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأنت علي ولي الله .

هذا وللإمام أمير المؤمنين عليه السلام آراء ونظريات في التوحيد حول الإلهيات ، كالصفات الثبوتية والسلبية ، وما يتعلق بذلك وله كلام ويبحث دقيق حول العلوم الكونية والطبيعية كالفلك والنجوم والسحاب والرعد والبرق وتكون الأمطار وما شابه من المواضيع المتعلقة بالعالم الأعلى .

وله تحليل جليل حول الإنسان نطفة وجنيناً ورضيعاً ووليداً وشاباً وكهلاً وما يدور في هذا الفلك من علم النفس والفلسفة البشرية ، وغير ذلك .

يظهر كل هذا من مطاوي كلماته وخطبه الموجودة في نهج البلاغة وغيره من كتب الحديث .

وتتميماً لهذا البحث نذكر كلام ابن الحديد في هذا الموضوع ، قال : وقد عرفت أن أشرف العلوم هو العلم الإلهي ، لأن شرف العلم بشرف المعلوم ، ومعلومه أشرف الموجودات ، فكان هو أشرف العلوم ، ومن كلامه عليه السلام اقتبس ، وعنه نقل ، وإليه انتهى ومنه ابتداء .

فإن المعتزلة الذين هم أهل التوحيد والعدل ، وأرباب النظر ، ومنهم تعلم الناس هذا الفن - تلامذته وأصحابه ، لأن كبيرهم واصل بن عطا تلميذ أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ، وأبو هاشم تلميذ أبيه ، وأبوه تلميذ عليه السلام .

وأما الأشعرية فإنهم يضمون إلى أبي الحسن بن أبي بشير الأشعري وهو تلميذ أبي علي الجبائي ، وأبو علي أحد مشايخ المعتزلة ، فالأشعرية ينتهون بالآخرة إلى أستاذ المعتزلة ومعلمهم ، وهو علي بن أبي طالب عليه السلام .

وأما الإمامية والزيدية فانتماؤهم إليه ظاهر .

ومن العلوم : علم الفقه ، وهو عليه السلام أصله وأساسه ، وكل فقيه في الإسلام فهو عيال عليه ، ومستفيد من فقهه .

أما أصحاب أبي حنيفة كأبي يوسف ومحمد وغيرهما فأنحدوا عن أبي حنيفة .

وأما الشافعي فقرأ علي محمد بن الحسن فيرجع فقهه إلى أبي حنيفة ، وأبو حنيفة قرأ علي جعفر بن محمد عليه السلام ، وجعفر قرأ علي أبيه ، وينتهي الأمر إلى علي عليه السلام .

وأما مالك فقرأ علي ربيعة الرأي ، وقرأ ربيعة علي عكرمة ، وقرأ عكرمة علي عبد الله بن عباس ، وقرأ عبد الله بن عباس علي بن أبي

طالب عليه السلام .

وإن شئت رددت إليه فقه الشافعي بقراءته على مالك كان ذلك لك ،  
فهؤلاء الفقهاء الأربعة .

أما فقه الشيعة فرجوعه إليه ظاهر ، وأيضاً فإن فقهاء الصحابة كانوا  
عمر بن الخطاب وابن عباس ، وكلاهما أخذ عن علي عليه السلام .

أما ابن عباس فظاهر ، وأما عمر فقد عرف كل أحد رجوعه إليه في  
كثير من المسائل التي أشكلت عليه وعلى غيره من الصحابة ، وقوله غير  
مرة : لو لا علي لهلك عمر وقوله : لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن ،  
وقوله : لا يفتين أحد في المسجد وعلي حاضر . فقد عرف بهذا الوجه  
انتهاء الفقه إليه .

وقد روت العامة والخاصة قوله عليه السلام أقضاكم علي والقضاء هو  
الفقه ، فهو إذن أفتيهم .

وروى الكل أيضاً أنه عليه السلام قال له - وقد بعثه إلى اليمن قاضياً - :  
اللهم اهد قلبه ، وثبت لسانه . قال : فما شككت بعدها في قضاء بين  
اثنين .

وهو عليه السلام الذي أفنى في المرأة التي وضعت لستة أشهر ، وهو الذي  
أفنى به في الحامل الزانية ، وهو الذي قال في المنبرية : صار ثمنها  
تسعاً . وهذه المسألة لو فكر الفرضي فيها فكراً طويلاً لاستحسن منه بعد  
طول النظر - هذا الجواب ، فما ظنك بمن قاله بديهياً واقتضبه ارتجالاً ؟

ومن العلوم : علم تفسير القرآن ، وعنه أخذ ، ومنه فرع ، وإذا  
راجعت إلى كتب التفسير علمت صحة ذلك ، لأن أكثره عنه ، وعن  
عبد الله بن عباس ، وقد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته وانقطاعه  
إليه ، وأنه تلميذه وحرّيجه ، وقيل له : أين علمك من علم ابن عمك ؟  
فقال : كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط . . .

ومن العلوم : علم النحو والعربية ، وقد علم الناس كافة أنه هو الذي ابتدعه وأنشأه وأملى على أبي الأسود الدؤلي جوامعه وأصوله ومن جملتها : الكلام كله ثلاثة أشياء : اسم وفعل وحرف .

ومن جملتها تقسيم الكلمة إلى معرفة ونكرة ، وتقسيم وجوه الإعراب إلى الرفع والنصب والجر والمجزم ، وهذا يكاد يلحق بالمعجزات ، لأن القوة البشرية لا تفي بهذا الحصر ، ولا تنهض بهذا الاستنباط .

## عليّ (ع) والفضائل النفسية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على نعمائه وصلّى الله على محمد سيد أنبيائه وآله سادات أوليائه .

قال الله تعالى في القرآن العظيم : ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾ (١) .  
قال علماء النفس والفلاسفة : إن أعمال الإنسان وأفعاله التي تظهر إلى الوجود إنما هي آثار نفسيته التي تطبع عليها ، وانطباعاته التي خامت روحه عن المورثة والتربية ، فالفضائل بكافة أنواعها وأقسامها ، والردائل بجميع أشكالها وأجناسها ما هي إلا ولاتد التربية أو رواسب المورثة .

وقد ذكرنا في بعض الليالي الماضية بعض جوانب التربية ونتائجها ، ولو أردنا الخوض في هذا البحث فأتانا الكلام الأصلي المقصود بيانه في هذه الليلة .

حديثنا - الليلة - حول الفضائل النفسية التي امتاز بها الإمام عليه السلام وإنما وصفنا الفضائل بالنفسية لأن هناك فضائل لا ترتبط بالنفس كالنسب الشريف والجمال والقوة فإنها أمور لا إختيارية ، والفضائل النفسية تظهر إلى الوجود

(١) سورة الإسراء ٤ الآية : ٨٤ .

بالطوع والاختيار كالجود والعفو والزهد والعبادة وما شاكل ذلك فإنها منبعثة من نفس طاهرة شريفة فاضلة وإلى هذا أشار القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾<sup>(١)</sup> أي كل يامحمد كل واحد من المؤمن والكافر يعمل على طبيعته وخليقته التي تخلق بها أو على طريقته وسنته التي اعتادها ، وقال الشاعر :

ملكنا فكان العفو منا سجية فلما ملكتم سأل بالدم أبطح  
فحسبكم هذا التفاوت بيننا فكل إناء بالسلي فيه ينضح  
وقد مرَّ عليكم الشيء الكثير - القليل مما يتعلق بهذا الإمام العظيم  
من عوامل التشريف والتأثير في نفسه الطاهرة **بنت** من حيث الميلاد  
والمواهب والمزايا والخصائص والثروة ، فأنتجت تلك العوامل الإلهية  
والنبوية أحسن إنتاج ، وجعلت نفس علي مركزاً لانطلاق كل فضيلة وخير  
فلا عجب إذا كان الإمام **بنت** صوتاً للعدالة الإسلامية ورمزاً للفتوة والمرورة  
ومثالاً للعطف والحنان الأبوي .

وأصحاب النفوس الشريفة تختلف هواياتهم عن غيرهم ، فهم دائماً  
وأبداً يلبون نداء ضميرهم الإنساني ، ويستلذون بإسعاف الفقير  
والمسكين . ويتهجون بإشباع البطون الجائعة وإكساء الأجساد العارية  
وإنقاذ البؤساء من براثن الفاقة ، وحيث أنهم أشربوا معرفة الله تعالى وخالط  
حب الله لحومهم ودماءهم فإن أسعد أوقاتهم وألذها عندهم هي الساعات  
التي يشتغلون فيها بمناجاة ربهم والخضوع والخشوع أمام عظمة الله  
تعالى ، فلا يملون من العبادة كما لا يمل الحبيب من مكالمه حبيبه .

وجملة أخرى لا بأس بالإشارة إليها وهي : أن الإنسان حينما يحس  
بالتقص في نفسه من حيث العلم أو الفن أو الفضيلة أو القوة أو الجمال أو ما  
شابه ذلك فإنه يحاول إخفاء ذلك النقص وجبران ذلك العيب عن طريق  
التزين والتجميل في الملبس والمسكن وسائر لوازم الحياة ومظاهر الترف ،

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٨٤ .

كل ذلك إرضاءً لوجدانه وضميره الذي يؤنيه بالنقص ، أما أولياء الله فإنهم يحسون بالكمال في أنفسهم ، فهم في غنى عن ستر النقص عن طريق التجميل والتفنن في الملابس والمأكل والمسكن وما جرى مجرى ذلك لأنه لا نقص فيهم .

وعلى هذا الأساس كانوا يخنارون لأنفسهم البساطة في المعيشة ، وينجلى الزهد في جميع مظاهر حياتهم بدون أي تكلف وتمسك ، فلا يشناقون إلى اختلاف الأطعمة ولا تعيل نفوسهم إلى زخارف الحياة وزبرجدها ، فإن الإحساس بالكمال يحول بينهم وبين الشعور بالحاجة إلى ما تهافت عليه نفوس الآخرين من حطام الدنيا .

فإذا قرأنا أو سمعنا عن نبي أو إمام شيئاً من الزهد وعدم الإقبال على مباحج الحياة فلعله معلول هذه العلة التي تقدمت .

وسنذكر ما تيسر من الأخبار والأحاديث التي اشتهرت بين أعلام الحديث وحفاظه حول الفضائل النفسية التي أنعم الله بها على أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام .

قال ابن أبي الحديد في مقدمته على شرح النهج :

وما أقول في رجل أقر له أعداؤه وخصومه بالفضل ؟ ولم يمكنهم جحد مناقبه ولا كتمان فضائله ؟ فقد علمت أنه استولى بنو أمية على سلطان الإسلام في شرق الأرض وغربها ، واجتهدوا بكل حيلة في إطفاء نوره ، والتحريف عليه ، ووضع المعاييب والمثالب له ، ولعنوه على جميع المنابر وتوعدوا ما يحية ، بل حبسوهم وقتلوهم ومنعوا من رواية حديث يتضمن له فضيلة أو يرفع له ذكراً ، حتى حضروا (منعوا) أن يسمي أحد بإسمه ، فما زاده ذلك إلا رفعة وسمواً ، وكان كالمسك كلما ستر انتشر عرّفه وكلما كُتم تضوع نشره ، وكالشمس لا تستر بالراح ، وكضوء النهار إن حجبت عنه عين واحدة أدركته عيون كثيرة .

وما أقول في رجل تُعزى (تنسب) إليه كل فضيلة ؟ وتنسب إليه كل  
فرقة ، وتتجاذبه كل طائفة ، فهو رئيس الفضائل وينوعها وأبو عذرها وسابق  
مضمارها ، ومجلى حلتها .

وكل من يزرع فيها بعده فمته أخذ ، وله اقتضى ، وعلى مثاله  
احتذى . . . وإن رجعت إلى الخصال الخلقية والفضائل النفسية والدينية  
وجدته ابن جلّاه ، وطلاع ثناياها .

## عليّ (ع) واليقين

في البحار - ج ٩ - قال الإمام الصادق عليه السلام : كان لعلي غلام اسمه  
قنبر وكان يحب علياً عليه السلام حباً شديداً فإذا خرج علي خرج علي أثره  
بالسيف فرآه ذات ليلة فقال يا قنبر : ما لك ؟ قال : جئت لأمشي خلفك  
فإن الناس كما تراهم يا أمير المؤمنين فخفت عليك . فقال ويحك ! أمن  
أهل السماء تحرسني أم من أهل الأرض ؟ قال : بل من أهل الأرض .  
قال : إن أهل الأرض لا يستطيعون بي شيئاً إلا أن يأذن الله عز وجل من  
السماء ، فارجع فرجع .

وقيل له عليه السلام يوم صفين إحترس يا أمير المؤمنين فإننا نخشى أن  
يقتلك هذا اللعين . فقال عليه السلام : كفى بالأجل حارساً ، ليس أحد من الناس  
إلا ومعه ملائكة حافظة يحفظونه من أن يتردى في بئر ، أو يقع عليه حائط  
أو يصيبه سوء ، فإذا حان أجله خلوا بينه وبين ما يصيبه ، فكذلك أنا إذا  
حان أجلي انبعث أشقاها فتنصب هذه بهذه - وأشار إلى لحيته وهامته -  
عهداً معهوداً ووعداً غير مكذوب .

## عليّ (ع) والحفظ

في البحار - ج ٩ - عن سليم بن قيس قال : سمعت علياً عليه السلام يقول  
ما نزلت علي رسول الله ﷺ آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها عليّ

فكتبتها بخطي ، وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها ، ودعا الله عز وجل أن يعلمني فهمها وحفظها ، فما نسيت آية من كتاب الله عز وجل ولا علماً أملاه عليّ فكتبتّه ، وما ترك شيئاً علمه الله عز وجل من حلال ولا حرام ولا أمر ولا نهي وما كان وما يكون من طاعة أو معصية إلا علمنيه وحفظته ، ولم أنس منه حرفاً واحداً ، ثم وضع يده على صدري ودعا الله تبارك وتعالى بأن يملأ قلبي علماً وفهماً وحكمة ونوراً ، ولم أنس من ذلك شيئاً ولم يفتني من ذلك شيء لم أكتبه جهلاً وقد أخبرني أن ربي عز وجل قد استجاب لي فيك . . . إلى آخره .

## عليّ (ع) والتعطف

(في البحار ج - ٩) عن الإمام الباقر عليه السلام : رجع عليّ إليك إلى داره في وقت القبط ، فإذا امرأة قائمة تقول : إن زوجي ظلمني وأخافني وتعدى عليّ وحالف ليضربني . فقال : يا أمة الله حتى يسرد النهار ثم أذهب معك إنشاء الله . فقالت : يشتد غضبه وحرده عليّ . فطأ رأسه ثم رفعه وهو يقول : لا والله أو يؤخذ للمظلوم حقه غير متعص ، أين منزلك ؟ فمضى إلى بابه فوقف فقال : السلام عليكم . فخرج شاب ، فقال عليّ : يا عبد الله إتق الله فإنك قد أخفيتها وأخرجتها ، فقال الفتى : وما أنت وذاك والله لأحرقنها لكلامك . فقال أمير المؤمنين عليه السلام بالمعروف وأنهاك عن المنكر وتستقبلني بالمنكر وتنكر المعروف ، قال : فأقبل الناس من الطرق يقولون : سلام عليكم يا أمير المؤمنين فسقط الرجل في يديه وقال : يا أمير المؤمنين : أقلني عشرتي ، فوالله لاكونن لها أرضاً تطانني . فأغمد سيفه فقال : يا أمة الله أدخلني منزلك ولا تلجئي زوجك إلى مثل هذا وشبهه .

قال أبو الطفيل : رأيت علياً عليه السلام يدعو اليتامى فيطعمهم العسل حتى قال بعض أصحابه : لوددت أنني كنت يتيماً .

## علي (ع) والحق

قال الله الحكيم في كتابه الكريم : ﴿وقل جاء الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾<sup>(١)</sup> وقال تعالى : ﴿أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع﴾<sup>(٢)</sup> .

سئل أبوذر عن اختلاف الناس فقال : عليك بكتاب الله والشيخ علي بن أبي طالب عليه السلام فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «علي مع الحق والحق معه وعلي لسانه ، يدور حيث ما دار علي» .

وسلم محمد بن أبي بكر يوم الجمل على عائشة فلم تكلمه فقال : أسألك بالله الذي لا إله إلا هو ألا سمعتك تقولين : ألزم علي بن أبي طالب فإني سمعت رسول الله يقول : (الحق مع علي وعلي مع الحق لا يفترقان حتى يردا علي الحوض) ؟ قالت : بلى قد سمعت ذلك منه .

عن الأصمعي بن نباتة قال : سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول : ويل لمن جهل معرفتي ولم يعرف حقي ، ألا إن حقي هو حق الله ، ألا إن حق الله هو حقي .

## علي (ع) والغنى

(في الكافي) عن عبد الأعلى قال : قلت لأبي عبد الله (الصادق) عليه السلام ، إن الناس يرون أن لك مالاً كثيراً . فقال : ما يسوتني ذلك إن أمير المؤمنين صلوات الله عليه مر ذات يوم على ناس شتى من قریش وعليه قميص مخرق ، فقالوا : أصبح علي لا مال له ، فسمعها أمير المؤمنين ، فأمر الذي يلي صدقته أن يجمع ثمره ولا يبعث إلى إنسان شيئاً ، وأن يوفره ، ثم قال : بعه الأول فالأول ، واجعلها دراهم ثم اجعلها

(١) سورة الكهف ، الآية : ٢٩ .

(٢) سورة يونس ، الآية : ٣٥ .

حيث تجعل التمر فاكبه معه حيث ترى ، وقال للذي يقوم عليه : إذا دعوت بالتمر فاصعد وانظر المال فاضربه برجلك كأنك لا تعدد الدراهم حتى تنثرها . ثم بعث إلى رجل رجل منهم يدعوه ، ثم دعى بالتمر فلما صعد ينزل التمر ضرب برجله فانثرت الدراهم ، فقالوا : ما هذا يا أبا الحسن ؟ فقال : هذا مال من لا مال له ، ثم أمر بذلك المال فقال أنظروا أهل كل بيت كنت أبعث إليهم فانظروا ماله وابعثوا إليه .

وذكر ابن أبي الحديد : أن غلة أرضه في ينبع كانت في السنة أربعين ألف دينار فكان يتصدق بها في سبيل الله .

### عَلِيّ (ع) وَالْعَفْوُ

بعث أمير المؤمنين إلى لييد بن عطارذ التميمي في كلام بلغه ، فمر به إلى أمير المؤمنين في بني أسد ، فقام إليه نعيم بن دجاجة الأسدي فأفكته ، فبعث أمير المؤمنين بذلك فأتوه به وأمر به أن يضرب فقال له نعيم : إن المقام معك لذل ، وإن فراقك لكفر فلما سمع ذلك منه قال : قد عشنا عنك إن الله عز وجل يقول : ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة﴾<sup>(١)</sup> أما قولك : إن المقام معك لذل فسيئة اكتسبتها ، وأما قولك : إن فراقك لكفر فحسنة اكتسبتها ، فهذه بذه .

### عَلِيّ (ع) وَالْحِكْمَةُ

قال الله تعالى : ﴿من يؤتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾<sup>(٢)</sup> .

وقال رسول الله ﷺ : (أنا مدينة الحكمة وعلي بابها) .

قد ذكر المفسرون للحكمة معاني متعددة وقد فاز الإمام بالحكمة بجميع معانيها وبكافة نواحيها فقد ذكر الطبرسي في تفسير الآية وجوهاً .

(١) سورة المؤمنون ، الآية : ٩٦ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٦٩ .

١ - علم القرآن : ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ، ومقدمه ومؤخره حلاله وحرامه .

٢ - الإصابة في القول والعقل .

٣ - علم الدين .

٤ - العلم الذي تعظم منفعته وتجل فائدته .

٥ - القرآن والفقہ .

٦ - ما أتى الله أنبياءه وأممهم في كتابه وآياته ودلالاته التي يدلهم بها على معرفتهم به وبدينه .

(عن أمالي الطوسي) : قال جابر بن عبد الله الأنصاري : رأيت رسول الله ﷺ أخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يقول : هذا أمير البررة وقاتل الفجرة ، منصور من نصره مخذول من خذله . ثم رفع صوته : أنا مدينة الحكمة وعلي بابها ، فمن أراد الحكمة فليأت الباب .

وذكر البيهقي في الصحاح : أنا دار الحكمة وعلي بابها .

(في حلية الأولياء) : سُئِلَ النبي ﷺ عن علي بن أبي طالب فقال : قُسمت الحكمة عشرة أجزاء فأعطي علي عليه السلام تسعة أجزاء والناس جزءاً واحداً .

وذكر الغزالي عن النبي ﷺ أنه قال : أنا ميزان الحكمة وعلي لسانها .

## عَلِي (ع) وَالزَّهْد

قال عمر بن عبد العزيز : ما علمنا أحداً كان في هذه الأمة أزهد من علي بن أبي طالب بعد النبي ﷺ .

قال مالك : لقد رقت مبرعتي هذه حتى استحيت من راقعها (راقعها

خ ل) . وفي البحار عن السيد ابن طاووس عن أمير المؤمنين عليه السلام قال :

تزوجت فاطمة عليها السلام وما كان لي فراش ، وصدقتي اليوم لو قسمت  
على بني هاشم . لو سعتهم . وقال فيه أنه عليه السلام : وقف أمواله وكانت غلتها  
أربعين ألف ديناراً وباع سيفه وقال : من يشتري سيفي ؟ ولو كان عندي  
عشاء ما بعته ! وقال مرة : من يشتري سيفي الفلاني ، ولو كان عندي ثمن  
إزار ما بعته !

قال : وكان يفعل هذا وغلته أربعون ألف دينار من صدقته .

وقال الإمام الباقر عليه السلام في زهد علي عليه السلام أنه ولي (أيام خلقاته)  
خمس سنين ، وما وضع آجرة ولا لبنة على لبنة ولا أقطع قطيعاً ولا أورث  
بيضاء ولا حمراء .

عن الزمخشري : إن علياً عليه السلام اشترى قميصاً ، فقطع ما فضل عن  
أصابه ثم قال للرجل : حصه (أي خط كفاه) .

عن الأصمغ بن نباته قال علي عليه السلام لأهل البصرة : دخلت بلادكم  
بأشمالي هذه ورحلتي وراحلتي ها هي ، فإن أنا خرجت من بلادكم بغير ما  
دخلت فإنني من الخائنين .

وفي رواية : يا أهل البصرة ما تنقمون مني إن هذا لمن غزل أهلي ؟  
وأشار إلى قميصه .

وترصد غداءه عمرو بن حريث ، فأنت فضة بجراب مختوم ، فأخرج  
منه خبزاً متغيراً خشناً ، فقال عمرو : يا فضة لو نخلت هذا الدقيق وطيبته  
قالت : كنت أفعل فنهاني ، وكنت أضع في جرابه طعاماً طيباً فختم  
جرابه ، ثم إن أمير المؤمنين عليه السلام فته في قصعة وصب عليه الماء ثم ذر  
عليه الملح وحسرو عن ذراعه ، فلما فرغ قال عليه السلام : يا عمرو لقد حانت هذه  
- ومد يده إلى محاسنه - وخسرت هذه أن أدخلها النار من أجل الطعام ،  
وهذا يجزييني .

ورآه عدي بن حاتم وبين يديه شنة فيها قراح ماء وكسرات من خبز شعير وملح ، فقال : إني لا أرى لك يا أمير المؤمنين لتظل نهارك ظلوياً مجاهداً وبالليل ساهراً مكابداً ، ثم يكون هذا فطورك ، فقال عليه السلام :  
 علل النفس بالقنوع وإلا طلبت منك فوق ما يكفيها  
 ونظر علي عليه السلام إلى فقير انخرق كُم ثوبه فخرق عليه السلام كُم قميصه  
 وألقاه إليه .

وقال الإمام الباقر عليه السلام : إن علياً أتى البزازين فقال لرجل : يعني ثوبين . فقال الرجل : يا أمير المؤمنين عندي حاجتك فلما عرفه مضى عنه ، فوقف علي غلام ، فأخذ ثوبين أحدهما بثلاثة دراهم والآخر بدرهمين فقال : يا قنبر خذ الذي بثلاثة فقال : أنت أولى به ، تصعد المنبر ، وتخطب الناس فقال : وأنت شاب ولك شره الشباب ، وأنا أسنحي من ربي أن أتفضل عليك ! سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ألبسوهم مما تلبسون وأطعموهم مما تاكلون . فلما لبس علي القميص مد كُم القميص فأمر بقطعه واتخاذة قلانس للفقراء ، فقال الغلام : هلم أكفه (أي أخيطه) ، قال : دعه كما هو فإن الأمر أسرع من ذلك ، فجاء (أبو الغلام) أي (بائع الثوب) وقال : إن ابني لم يعرفك وهذا درهمان ربحهما ، فقال : ما كنت لأفعل ، قد ماكست وماكسني ، واتفقنا على رضى .

روى ابن عبد البر المالكي في الإستيعاب بسنده وغيره أن معاوية قال لضرار بن ضمرة : صف لي علياً ، قال : إعفني . قال : لتصفه . قال : أما : إذا كان لا بد من وصفه ، فإنه : كان بعيد المدى شديد القوى ، يقول فصلاً ، ويحكم عدلاً ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس (ويستأنس خ ل) بالليل ووحشته وكان غزير الدمعة (العبرة خ ل) طويل الفكرة ، يعجبه من اللباس ما خشن ومن الطعام ما جشيب ، (من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن خ ل) وكان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ، ويأتينا إذا دعونا ، (وينبشنا إذا استنبأناه خ ل) ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبه له ، يعظم

أهل الدين ويقرب المساكين ، لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله ، وأشهد لقد رأيت في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه ، قابضاً على لحيته ، يتململ تململ السليم ، ويبكي بكاء الحزين ، وهو يقول : يا دنيا غري غيوري ، أبي تعرضت ؟ أم إليّ تشوقت ؟ هيهات ! قد بنتك (باينتك خ ل) ثلاثة ، لا رجعة فيها ، فعمرك قصير وخطرك كبير (حقير خ ل) وعيشك حقير ، آه ! من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق . فبكي معاوية وقال : رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك ، فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ قال : حزن من ذبح ولدها بحجرها فهي لا ترقأ عبرتها ولا يسكن حزنها . وفي المناقب : ثم قام وخرج باكياً فقال معاوية : أما إنكم لو فقدتموني لما كان فيكم من يشي عليّ هذا الثناء . فقال بعض من حضر : الصاحب على قدر صاحبه .

قال ابن أبي الحديد :

«وأما الزهد في الدنيا : فهو سيد الزهاد وبدل الأبدال ، وإليه تُشدّ الرحال ، وعندده تنفض الأحلاس ، ما شبع من طعام قط ، وكان أخشن الناس مأكلاً وملبساً .

قال عبد الله بن أبي رافع : دخلت إليه يوم عيد ، فقدم جراباً مختوماً ، فوجدنا فيه خبز شعير يابساً مرضوضاً ، فقدم فأكل فقلت : يا أمير المؤمنين فكيف تختمه ؟ قال : خفت هذين الولدين (الحسين) أن يلتاه بسمن أو زيت !!

وكان ثوبه مرقوعاً بجلد تارة وليف أخرى ، ونعلاه من ليف ، وكان يلبس الكرياس الغليظ ، فإذا وجد كُمه طويلاً قطعه بشفرة ولم يُخطه ، فكان لا يزال متساقطاً على ذراعيه حتى يبقى سدي لا لحمه له !!

وكان ياتدم إذا اتدم (أي يجعل إداماً) بخل أو بملح ، فإن ترقى عن ذلك فبعض نبات الأرض فإن ارتفع عن ذلك فبقليل من ألبان الإبل ، ولا يأكل اللحم إلا قليلاً ويقول : لا تجعلوا بطونكم مقابر الحيوانات .

## عليّ (ع) والعفة

في التاسع من البحار نقلاً عن كتاب مناقب إبن شهر آشوب وكتاب الاحتجاج وغيرهما عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : . . . . . وسافرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس له خادم غيري ، وكان له لحاف لبس له لحاف غيره ، ومعه عائشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام بيني وبين عائشة ليس علينا لحاف غيره ، فإذا قام إلى : صلاة الليل يحط بيده اللحاف من وسطه بيني وبين عائشة حتى يمسّ اللحاف الفراش الذي نحتنا . . الخ .

هذا الحديث كما تراه يدل على شدة ثقة النبي بعليّ ، وكثرة اختصاصه به واظمئثانه منه ، وكثيراً ما تحدث أمثال هذه القضايا في العوائل المحافظة على الحجاب والغيرة نظراً لنزاهة الأفراد وطهارة القلوب فكيف بالمعصومين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

(في البحار) عن عبد الله بن مسعود قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيت زينب بنت جحش حتى أتى بيت أم سلمة ، وجاء داق وداق الباب ، فقال : يا أم سلمة قومي فافتحي له . قالت : فقلت : ومن هذا يا رسول الله الذي من خطره أن أفتح له الباب ؟ وأتلقاه بمعاصمي ؟ وقد نزلت فيّ بالأمس آيات من كتاب الله : (يا نساء النبي . . . . .) .

فقال : يا أم سلمة : إن طاعة الرسول طاعة الله وإن معصية الرسول معصية الله ، وإن بالباب لرجلاً ليس يتزق ولا خرق ، وما كان ليُدخل منزلاً حتى لا يسمع حساً ، وهو يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله . فقلت : ففتحت الباب ، فأخذ بعضادتي الباب ثم جثت حتى دخلت الخدر ، فلما أن لم يسمع وطىء قدمي دخل ثم سلم على رسول الله ثم قال : يا أم سلمة - وأنا من وراء الخدر - أتعرفين هذا ؟ قلت : نعم هذا علي بن أبي طالب قال : هو أخي ، سجيته سجيّتي ولحمه من لحمي ، ودمه من دمي . . . الخ .

## عَلِيٌّ (ع) وَالتَّوَاضُّعُ

قال سعد بن معاذ لعلي بن أبي طالب - وكان نازلاً عليه - : ما منعك أن تخطب إلى رسول الله ﷺ إبنته ؟ فقال بنو سعد : أنا أجترأء أن نخطب إلى رسول الله ﷺ ؟ والله لو كانت أمة ما اجترأت عليه .

فحكى سعد مقالته لرسول الله ﷺ وقال له رسول الله : قل له : يفعل - فإني سأفعل .

قال : فبكى عليٌّ حيث قال له سعد ، ثم قال بنو سعد : لقد سعدت إذ أن جمع الله لي صهره مع قرابته . وشرف أبي طالب ما قد علمه الناس وهو ابن عم رسول الله لأبيه وأمه .

(في البحار) : بالإسناد إلى أبي محمد العسكري بن علي قال : أعرف الناس بحقوق إخوانه وأشدهم قضاءً لها أعظمهم عند الله شأناً ، ومن تواضع في الدنيا لإخوانه فهو عند الله من الصديقين ومن شعبة علي بن أبي طالب بنو سعد حقاً .

ولقد ورد علي أمير المؤمنين أخوان له مؤمنان : (أب وابن) ، فقام إليهما وأكرمهما وأجلسهما في صدر المجلس ، وجلس بين أيديهما : ثم أمر بطعام فأحضر فأكلا منه ثم جاء قبر بطست وإبريق خشب ومنديل لليس ، وجاء ليصب علي يد الرجل فوثب أمير المؤمنين وأخذ الإبريق : ليصب علي يد الرجل ، فتمرغ الرجل في التراب ، وقال : يا أمير المؤمنين الله يراني وأنت تصب علي يدي ؟ قال : أقعد واغسل ، فإن الله عز وجل يراك ، وأخوك الذي لا يتميز منك ولا يفصل عنك يخدمك يريد بذلك في خدمته في الجنة مثل أضعاف عدد أهل الدنيا ، وعلي حسب ذلك في ممالئكه فيها . فقعد الرجل فقال له علي : أقسمت بعظيم حقي الذي

عرفته ونحلته وتواضعك لله حتى جازاك عنه بأن تدنيني لما شرفك به من خدمتي لك لما غسلت مطمئناً ، كما كنت تغسل لو كان الصاب عليك قنبراً . ففعل الرجل ذلك ، فلما فرغ ناول الأيريق محمد بن الحنفية وقال : يا بني لو كان هذا الإبن حضرنى دون أبيه لصيت على يده ولكن الله عز وجل يأبى أن يسوى بين ابن وأبيه ، إذا جمعهما مكان ، ولكن قد صب الأب على الأب فليصب الإبن على الإبن ، فصب محمد بن الحنفية على الإبن .

ثم قال الإمام الحسن بن علي العسكري : فمن اتبع علياً على ذلك فهو الشيعي حقاً .

عن الإمام الصادق عليه السلام كان أمير المؤمنين عليه السلام يحتطب ويستسقي ويكنس ، وكانت فاطمة سلام الله عليها تطحن وتعجن وتخبز .

وإن علياً اشترى تمرأ بالكوفة فحمله في طرف رداءه فتبادر الناس إلى حمله ، وقالوا : يا أمير المؤمنين نحن نحمله ، فقال عليه السلام : رب العيال أحق بحمله .

وكان علي عليه السلام يحمل التمر والمالح (الملح) بيده ويقول :

لا ينقص الكامل من كماله ما جر من نفع إلى عياله

وعن زيد بن علي إن علياً كان يمشي في خمسة (مواضع) حافياً ، ويعلق نعله بيده اليسرى : يوم الفطر ، والنحر ، والجمعة ، وعند العيادة ، وتشيع الجنائز ، ويقول : إنها مواضع الله وأحب أن أكون فيها حافياً .

وكان عليه السلام يمشي في الأسواق وحده وهو إذ ذاك يرشد الضال ويعين الضعيف ويمر بالبائع واليقال فيفتح عليه القرآن ويقرأ .

## عَلِيّ (ع) وَالْجِلْم

(في البحار) مرّت امرأة جميلة فرمتها القوم بأبصارهم فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إن أبصار هذه الفحول طوامح ، وإن ذلك سبب هزاتها ، فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه فليلمس أو فليمس أهله ، فإنما هي امرأة كامرأة ، فقال رجل من الخوارج : قاتله الله كافراً ما أفقهه ! فوثب القوم ليقتلوه فقال عليه السلام: رويداً إنّما هو سبّ بسبّ أو عقو عن ذنب .

قال قنبر : دخلت مع أمير المؤمنين علي عثمان فأحب الخلوة فأومى إليه (إليّ) بالتمحي ، فتمحيت غير بعيد ، فجعل عثمان يعاتبه وهو مطرق برأسه ، وأقبل إليه وقال عثمان : ما لك لا تقول ؟ فقال : ليس جوابك إلا ما تكره ، وليس لك عندي إلا ما تحب ثم خرج قائلاً :

ولو أنسي جوابته لأمضه نوافذ قولي واحتضار جوابي  
ولكنني أغضي على مضر الحشا ولو شئت إقداماً لأنشب نايي  
في البحار إن أمير المؤمنين عليه السلام مرّ بأصحاب التمر فإذا هو بجارية تبكي فقال : يا جارية ما يبكيك ؟ فقالت : بعثني مولاي بدرهم فابتعت من هذا تمرأ فأتيتهم به فلم يرضوه ، فلما أتته به أبى أن يقبله .

قال عليه السلام : يا عبد الله : إنها خادم وليس لها أمر ، فاردد إليها درهما وخذ التمر . فقام إليه الرجل فلكرهه فقال الناس : هذا أمير المؤمنين . فربا الرجل واصفر وأخذ التمر وردّ إليها درهما ثم قال : يا أمير المؤمنين إرض عني . فقال : ما أرضاني عنك إن أصلحت أمرك ، وفي رواية : إذا وفيت الناس حقوقهم .

ودعى عليه السلام غلاماً له مراراً فلم يجبه ، فخرج فوجده على باب البيت فقال : ما حملك على ترك إجابتي ؟ قال : كسلت عن إجابتك وأمنت عقوبتك ، فقال : الحمد لله الذي جعلني ممن يامنه خلقه ، إمض ، فأت هر لوجه الله .

وكان عليه السلام في صلاة الصبح فقرأ ابن الكواء : «ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين» (١) فأنصت علي عليه السلام تعظيماً للقرآن حتى فرغ من الآية ثم عاد في قراءته ثم أعاد ابن الكواء الآية فأنصت أيضاً . ثم قرأ فأعاد ابن الكواء فأنصت علي ، ثم قرأ : «فاضبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون» (٢) ثم أتم السورة وركع .

(في البحار) عن الأصمغ بن نباتة قال : أمرنا أمير المؤمنين عليه السلام بالمسير إلى المدائن من الكوفة فسرنا يوم الأحد وتخلف عمرو بن حريث في سبعة نفر فخرجوا إلى مكان بالحيرة يسمى (الخورنق) فقالوا : ننتزه فإذا كان يوم الأربعاء خرجنا فلحقنا علياً قبل أن يجتمع (أي يصلي الجمعة) فبينما هم يتغدون إذ خرج عليهم ضب ، فصادوه ، فأخذهم عمرو بن حريث فنصب كفه وقال : بايعوا ، هذا أمير المؤمنين !! فبايعه السبعة وعمرو ثامنهم ، فارتحلوا ليلة الأربعاء فقدموا المدائن يوم الجمعة وأمير المؤمنين يخطب ، ولم يفارق بعضهم بعضاً ، فكانوا جميعاً حتى نزلوا علي باب المسجد فلما دخلوا نظر إليهم أمير المؤمنين عليه السلام فقال : أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني ألف حديث لكل حديث ألف باب لكل باب ألف مفتاح ، وإني سمعت الله جل جلاله يقول : «يوم ندعوا كل أناس بإمامهم» (٣) وإني أقسم لكم بالله ليعثن يوم القيامة ثمانية نفر يدعون بإمامهم وهو ضب ، ولو شئت أن أسميهم لفعلت ! قال : فلقد رأيت عمرو بن حريث قد سقط كما سقط السعف حياةً ولوماً وجيناً .

قال ابن أبي الحديد في شرحه :

«وأما الحطم والصفح : فكان أحلم الناس عن مذنب ، وأصفحهم عن مسيء وقد ظهرت صحة ما قلنا يوم الجمل حيث ظفر يمروان بن

(٢) سورة الروم : الآية : ٦٠ .

(١) سورة الزمر : الآية : ٦٥ .

(٣) سورة الإسراء : الآية : ٧١ .

الحكم ، وكان أعدى الناس له وأشدهم بغضاً ، فصفع عنه .

وكان عبد الله بن الزبير يشتمه على رؤوس الأشهاد . . . وكان علي يقول : ما زال الزبير رجلاً منا أهل البيت حتى شبَّ عبد الله .

فظفر به يوم الجمل فأخذه أسيراً فصفح عنه ، وقال : إذهب فلا أرينك . لم يزد علي ذلك .

وظفر بسعيد بن العاصي بعد وقعة الجمل بمكة ، وكان عدواً فأعرض عنه ولم يقل له شيئاً .

وقد علمتم ما كان من عائشة في أمره ، فلما ظفر بها أكرمها وبعث معها إلى المدينة عشرين امرأة من نساء عبد القيس ، عمَّهن بالعمائم ، وقتلنهن بالسيوف ، فلما كانت بعض الطريقِ ذكرته بما لا يجوز أن يُذكر به ، وتأنفت ، وقالت : هتك ستري ورجاله الذين وكلهم بي ١١ فلما وصلت إلى المدينة ألقى النساءَ عمائمهن وقتلن لها : إنما نحن نسوة .

وحاربه أهل البصرة ، وضربوا وجهه ، ووجوه أولاده بالسيوف وسبوه ولعنوه ، فلما ظفر بهم رفع السيف عنهم ، ونادى مناديه - في أقطار العسكر- : ألا : لا يتبع مؤل ، ولا يجهز علي جريح ، ولا يُقتل مستأسر ومن ألقى سلاحه فهو آمن ومن نحى إلى عسكر الإمام فهو آمن ، ولم يأخذ أثقالهم ، ولا سبي ذراريهم ولا غنم شيئاً من أموالهم ، ولو شاء أن يفعل كل ذلك لفعل ، ولكنه أبى إلا الصفح والمفرو .

## عَلِيّ (ع) وَالْمَوَاسَاة

عن أمالي المفيد عن أبي هريرة قال : جاء إلى النبي ﷺ فشكى إليه الجوع ، فبعث رسول الله إلى بيوت أزواجه فقلن : ما عندنا إلا الماء ، فقال رسول الله ﷺ : من لهذا الرجل الليلة ؟ فقال علي بن أبي طالب : أنا له يا رسول الله . وأتى علي - فاطمة - فقلن : ما عندك

يا بنت رسول الله ؟ فقالت : ما عندنا إلا قوت الصبية نؤثر ضيفنا . فقال علي عليه السلام : يا بنت محمد : نومي الصبية وأطفئ المصباح فلما أصبح عدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر فلم يبرح حتى أنزل الله عز وجل : ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ (١) .

وفي رواية : فقال علي : يا بنت محمد : نومي الصبية وأطفئ المصباح . وجعلا يمضخان بالسنتهما فلما فرغ من الأكل أنت فاطمة بسراج فوجدت الجفنة مملوءة من فضل الله ، فلما أصبح صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم فلما سلم النبي من صلاته نظر إلى أمير المؤمنين وبكى بكاء شديداً وقال يا أمير المؤمنين لقد عجب الرب من فعلكم البارحة اقرأ : ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة . . .﴾ (٢) الخ .

(عن محمد بن الصمة عن أبيه عن عمه) : قال : رأيت في المدينة رجلاً على ظهره قربة ، وفي يده صحيفة يقول : اللهم ولي المؤمنين إله المؤمنين وجار المؤمنين ، إقبل قرباني الليلة ، فما أمسيت أملك سوى ما في صحفتي ، وغير ما يواريني ، فإنك تعلم أنني منعت نفسي مع شدة سعيي أطلب القربة إليك غنماً ، اللهم فلا تخلق وجهي ولا ترد دعوتي ، فأثبته حتى عرفته فإذا هو علي بن أبي طالب عليه السلام ، فأتى رجلاً فاطمعه .

## علي (ع) والكرم

(في البحار) : جاء أعرابي إلى علي فقال : يا أمير المؤمنين إني مأخوذ بثلاث علل : علة النفس وعلة الفقر وعلة الجهل . فأجاب أمير المؤمنين عليه السلام وقال : يا أبا العرب : علة النفس تعرض على الطبيب وعلة الجهل تعرض على العالم وعلة الفقر تعرض على الكريم : فقال الأعرابي

(٢١) سورة الحشر ، الآية : ٩ .

أنت الكريم ، وأنت العالم ، وأنت الطيب ، فأمر أمير المؤمنين بأن يعطى له من بيت المال ثلاثة آلاف درهم وقال : تنفق ألفاً بعلة النفس ، وألفاً بعلة الجهل ، وألفاً بعلة الفقر .

وسأله أعرابي شيئاً فأمر له بألف ، فقال الوكيل : من ذهب أو فضة ؟ فقال **عليه السلام** كلاهما عندي حجران ، فأعط الأعرابي أنفعهما له .

وقال له ابن الزبير : إني وجدت في حساب أبي : أن له على أبيك ثمانين ألف درهم ، فقال له : إن أباك صادق ، فقتضى ذلك ، ثم جاءه فقال : غلطت فيما قلت ، إنما كان لوالدك على والدي ما ذكرته لك فقال : والذئ في حل والذي قبضته مني هو لك !!

قال الصادق **عليه السلام** : إن أمير المؤمنين **عليه السلام** أعتق ألف نسمة من كد يده ، جماعة لا يحصون كثرة .

وقال له رجل - ورأى عنده وسق نوى - : ما هذا يا أبا الحسن ؟ قال : مائة ألف نخل إن شاء الله ، فغرسه فلم يخادر منه نواة واحدة ، فهو من أوقافه ووقف مالاً بخير وبوادي القرى ، ووقف مال أبي نيرز والبغيضة وأرباحاً وأريضة ورغد ورزيناً ورياحاً على المؤمنين وأخرج مائة عين بينبع وجعلها للحجيج ، وهو باق إلى يومنا هذا وحفر آباراً في طريق مكة والكوفة ، وهي مسجد الفتح في المدينة ، وعند مقابل قبر حمزة **عليه السلام** ، وفي الميقات وفي الكوفة وجامع البصرة وفي عبادان وغير ذلك .

عن أحمد بن أبي المقدم العجلي قال : يروى أن رجلاً جاء إلى علي بن أبي طالب **عليه السلام** فقال له : يا أمير المؤمنين إن لي إليك حاجة ، فقال : اكتبها في الأرض فإني أرى الضر فيك بيتاً ، فكتب في الأرض أنا فقير محتاج ، فقال علي **عليه السلام** : يا قنبر إكسه حلتين ، فأنشأ الرجل يقول :

كسوتني حلة تبلى محاسنها فسوف أكسوك من حسن الثنا حلالاً  
إن نلت حسن ثنائي نلت مكرمته ولست تبغي بما قد نلته بدلاً

إن الثناء ليحيى ذكر صاحبه كالغيث يحيى نداء السهل والجبال  
لا تزهد الدهر في عرف بدأت به فكل عيد سيجزى بالذي فعلا

فقال **عليه السلام** : أعطوه مائة دينار ، فقبل له : يا أمير المؤمنين لقد  
أغنيته . فقال : إني سمعت رسول الله **ﷺ** يقول : أنزل الناس منازلهم ،  
ثم قال علي **عليه السلام** : إني لأعجب من أقوام يشترون المماليك بأموالهم ولا  
يشترون الأحرار بمعروفهم .

عن أبي بصير عن أبي عبد الله **عليه السلام** قال : ﴿ومثل الذين ينفقون  
أموالهم ابتغاء مرضات الله﴾<sup>(١)</sup> قال : نزلت في علي بن أبي طالب **عليه السلام** . عن  
أيوب بن عطية الحذاء قال : سمعت أبا عبد الله **عليه السلام** يقول : قسم نبي الله  
الغنيء فأصاب علياً أرض ، فاحضر فيها عيناً فخرج ماء ينبع في السماء  
كهيفة عنق البعير ، فسمها ينبع ، فجاء البشير يبشر فقال **عليه السلام** بشر الوارث  
هي صدقة بنته بتلاء في حجيج بيت الله وعابر سبيل لا تباع ولا تورث ،  
فمن باعها أو وهبها فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، ولا يقبل الله  
منه صرفاً ولا عدلاً .

قال ابن أبي الحديد في شرحه ؛ وأما السخاء والجود : فحالته فيه  
ظاهرة كان يصوم ويطوي ، ويؤثر بزانه ، وفيه أنزل ﴿ويطعمون الطعام على  
حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا  
شكوراً﴾<sup>(٢)</sup> وروى المفسرون : أنه لم يملك إلا أربعة دراهم ، فتصدق  
بدرهم ليلاً ، وبدرهم نهاراً ، وبدرهم سراً ، وبدرهم علانية ، فأنزل فيه :  
﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية﴾<sup>(٣)</sup> .

وروي أنه كان يسقي بيده النخل لتقوم من يهود المدينة حتى مجلت  
يداه ، وتصدق بالأجرة ، ويشد على بطنه حجراً .

(١) سورة البقرة : الآية : ٢٦٥ .

(٢) سورة الإنسان : الآيتان : ٨ و ٩ .

(٣) سورة البقرة : الآية : ٢٧٤ .

قال الشعبي - وقد ذكره **عليه السلام** : كان أسخى الناس ، كان على الخلق الذي يحبه الله : السخاء والجود ، ما قال : لا ، لسائل قط .

وقال عدوه ومبغضه الذي يجتهد في وصفه وعيه : معاوية بن أبي سفيان - لمحض بن أبي محضن الضبي - (لما قال له : جئتك من عند أبخل الناس) : قال ويحك ! كيف تقول : إنه أبخل الناس وهو الذي لو ملك بيتاً من تير وبيتاً من تين ، لأنفد تيره قبل تينه 119

## عَلِيّ (ع) وَالْعَدْل

العدل : ما أحلى هذا الإسم عند النفوس المظلومة ، وما أحبه إلى المضطهدين وما أبغضه عند الظالمين الذين يزاحم العدل منافعهم وأرباحهم .

هذه الكلمة التي تتلطف إليها النفوس وعليها أساس الملك وبها نظام الاجتماع واعتداله ، وإنني أعتقد أن أصعب قانون يمكن تطبيقه وتنفيذه في المجتمع هو قانون العدالة 11 لاصطدام هذا القانون بنزعات الأقوياء الذين لو كانت العدالة موجودة لما كانوا أقوياء ، وهؤلاء في طبيعة المكافحين لهذه الفضيلة ، والتاريخ والحس والوجدان شواهد على هذا ، ولا أراهم بحاجة إلى دليل .

ومن لوازم تطبيق العدالة وتنفيذها قوة الإيمان بالله تعالى والتقوى أولاً ، وحزم وعزم فوق كل عاطفة واتجاه ومصانعة ثانياً وعدم الخوف من المشاكل المتوقعة ، المحتمل وقوعها ثالثاً .

وقد توفرت هذه المؤهلات كلها في نفسية علي **عليه السلام** فهو الإيمان كله والتقوى المتجسدة ، وهو أقوى رجل يستطيع السيطرة على أعصابه وعواطفه وهو الذي لا تأخذه في الله لومة لائم ، وهو الحق المحض الذي لا يشوبه شيء ، ونستطيع أن نقول : إن تطبع نفسية الإمام **عليه السلام** على العدالة والتزامه بها بالغاً ما بلغ هو السبب الوحيد الذي فرق عنه ذوي الإطماع

والأغراض ، وأخاف ذوي المناصب والكنوز التي كانت عصارة دعاء المسلمين ، وهدد الفسقة الفجرة الذين امتوجبوا إقامة الحدود الإلهية وقطع آمال المستغلبين وآماني حواشي السلاطين ، وغير ذلك من الأمور التي تلوك ولا توصف ، فاجتمعت هذه العوامل ، وأججت نيران الحروب الداخلية ضد الإمام عليه السلام .

إذ لولا عدالة علي عليه السلام لما ذهب أخوه عقيل إلى معاوية ولولا عدل أبي الحسن عليه السلام لما انضم طلحة والزبير إلى عائشة للمساهمة في تكوين حرب الجمل .

لو كان علي عليه السلام ظالماً لأهل معاوية يتصرف في مقدرات المسلمين وما كانت حرب صفين .

وهكذا وهلم جرا ، فإن كانت العدالة نغصت على علي عليه السلام عيشته ومليته الراحة والإطمئنان ، وجرت عليه التوائب فإن التاريخ الصحيح عرف لعلي عليه السلام هذه الفضيلة وشكوه عليها ، وإن كان بعض الشواذ يعتبرون العدالة منافية للسياسة ، ويمرون الأراجيح لتقديم السياسة على الدين عند التعارض ، فإن علياً عليه السلام يضرب بالسياسة - التي تزاحم دين علي عليه السلام - عرض الجدار ويثيراً منها .

وهو التلميذ الأول للرسول صلى الله عليه وسلم والمعلم الثاني للأمم عبر التاريخ ، ولو كان علي عليه السلام يمشي وراء السياسة لعرفه التاريخ رجلاً سياسياً فحسب ، وما كانت الملوك والعظماء يطاطأون هاماتهم أمام عظمته وينظرون إليه بكل تقدير وتقديس .

نذكر نماذج من تلك العدالة ، ولا يسعنا الإسهاب في الكلام لضيق المجال ، ولعلنا نستطيع التحدث عن هذه الفضيلة بصورة أوسع في مناسبة أخرى إنشاء الله :

دخل عمر بن العاص على أمير المؤمنين عليه السلام ليلة وهو في بيت المال

وكان الإمام ينظر في أموال المسلمين وحسابهم ودواوين العطاء وعنده سراج يضيء بنوره الضئيل ، وقد اشترى زيت السراج من بيت المال ، لأن السراج عائد لمصالح بيت مال المسلمين .

فلما دخل ابن العاص وأراد أن يتحدث مع الإمام في بعض الشؤون أظفأ الإمام السراج وجلس في ضوء القمر ولم يستحل أن يجلس في الضوء بغير استحقاق !!

وبنى عليه السلام موضعاً تحبس فيه الإبل والغنم الضالة ويقال له : (المربد) فكان يعلفها علفاً لا يسمنها ولا يهزلها من بيت المال . فلمن أقام عليها بيعة أخذها ، وإلا أقرها على حالها . وتظهر الحكمة في تحديد كمية علف الحيوانات ، وهي رعاية الحيوان والمحافظة عليه ورعاية بيت المال والإهتمام به .

في الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال : بعث أمير المؤمنين عليه السلام مصدقاً من الكوفة (المصدق : عامل الزكاة التي يستوفيها) إلى باديتها وقال : يا عبد الله : إنطلق ، وعليك بتقوى الله وحده لا شريك له ولا تؤثرن دنياك على آخرتك ، وكن حافظاً لما أتمنك عليه ، مراعياً لحق الله فيه حتى تأتي نادي بني فلان ، فإذا قدمت فانزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم ثم امض إليهم بسكينة ووقار حتى تقدم بينهم وتسلم عليهم ثم قل لهم : يا عباد الله أرسلني إليكم ولي الله لأخذ منكم حق الله في أموالكم فهل لله في أموالكم من حق فتؤدوه إلى وليه ؟ فإن قال قائل لك : لا . فلا تراجع ، وإن أنعم لك منهم فانطلق معه من غير أن تخيفه أو تعده إلا خيراً ، فإذا أتيت ماله فلا تدخله إلا بئذنه ، فإن أكثره له ، فقل : يا عبد الله أتأذن لي في دخول مالك ؟ فإن أذن لك فلا تدخله دخول متسلط عليه فيه ، ولا عتف به ، فاصدع المال صدعين ثم خيره أي الصدعين شاء ، فأيهما اختار فلا تعرض له ، ثم اصدع الباقي صدعين ثم خيره فأيهما اختار فلا تعرض له ، ولا تزال كذلك حتى يبقى ما فيه وفاة لحق الله

تبارك وتعالى في ماله ، فإذا قبض يقرأ ذلك فاقبض حق الله منه وإن استقالك فأقله ، ثم إخلطهما واصنع مثل الذي صنعت أولاً ، حتى تأخذ حق الله في ماله ، فإذا قبضته فلا توكل به إلا ناصحاً أميناً حفيظاً غير معنف بشيء منها ، ثم احذر كلما اجتمع عندك من كل ناد إلينا قصيره حيث أمر الله عز وجل ، فإذا انحدر فيها رسولك فأوعز إليه أن لا يحول بين ناقة وفصيلها ولا يفرق بينهما ، ولا يمضون لبنا فيضرب ذلك بفصيلها ولا يجهد بها ركوباً ، وليعدل بينهم في ذلك وليوردهن كل ماؤ يمر به ، ولا يعدل بهن عن ليت الأرض إلى جواد الطريق في الساعة التي فيها تريح وتغبق ، وليرفق بهن جهده حتى يأتينا بإذن الله سبحانه سماناً غير متعبات ولا مجهدات ، فنقسمهن بإذن الله على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ على أولياء الله فإن ذلك أعظم لأجرك وأقرب لرشدك ، ينظر الله إليها وإليك وإلى جهدك ونصيحتك لمن بعثك وبعثت في حاجته ، فإن رسول الله ﷺ قال : ما ينظر الله إلى ولي له يجهد نفسه بالطاعة والنصيحة له وإمامه إلا كان معنا في الرفيق الأعلى . قال : ثم بكى أبو عبد الله عليه السلام ثم قال : لا والله ما بقيت لله حرمة إلا انتهكت ، ولا عمل بكتاب الله ولا سنة نبيه في هذا العالم ، ولا أقيم في هذا الخلق حد من حد قبض الله أمير المؤمنين عليه السلام ولا عمل بشيء من الحق إلى يوم الناس هذا ، ثم قال : أما والله لا تذهب الأيام والليالي حتى يحيي الله الموتى ويعيت الأحياء ويرد الله الحق إلى أهله ويفيم دينه الذي ارتضاه لنفسه ونبيه ﷺ ، فابشروا ثم أبشروا ثم أبشروا فوالله ما الحق إلا في أيديكم .

في البحار : روي أن سودة بنت عمارة الهمدانية دخلت على معاوية بعد موت علي عليه السلام ، فجعل يؤنبها على تحريضها عليه أيام صفين ، وآل أمره إلى أن قال : ما حاجتك ؟ قالت : إن الله مسألك عن أمرنا وما افترض عليك من حقنا ، ولا يزال يتقدم علينا من قبلك من يسمو بمكانك ، ويبطش بقوة سلطانتك فيحصدنا حصد السنبل ويدوسنا دوس الحرمل ، يسومنا الخسف ويذيقنا الحتف ، هذا بسر بن أرطاة قدم علينا

فقتل رجالنا ، وأخذ أموالنا ، ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنة ، فإن عزلته  
عنا شكرناك وإلا كفرناك ، فقال معاوية : إياي تهديدين بقومك يا سودة ؟  
لقد هممت أن أحملك على قتب أشوس فأردك إليه فينفذ فيك حكمه ،  
فأطرقت سودة ساعة ثم قالت :

صلى الإله على روح تضمنها قبر فأصبح فيه العدل مدفونا  
قد حالف الحق لا يبغي به بدلا فصار بالحق والإيمان مقرونا

فقال معاوية : من هذا يا سودة ؟ قالت : هو والله أمير المؤمنين  
علي بن أبي طالب رضي الله عنه والله لقد جثته في رجل كان قد ولاء صدقاتنا ،  
فجاز علينا ، فصادفته قائماً يصلي ، فلما رأني انفتل من صلاته ثم أقبل  
عليّ برحمة ورفق ورأفة وتعطف ، وقال : ألك حاجة ؟ قلت : نعم فأخبرته  
الخبر ، فبكي ثم قال :

اللهم أنت الشاهد عليّ وعليهم ، وأني لم أمرهم بظلم خلقك ، ثم  
أخرج قطعة جلد فكتب فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم . قد جاءتكم بيّنة من ربكم فأوفوا الكيل  
والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها  
ذلك خير لكم إن كنتم مؤمنين ، فإذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يدك  
من عملنا حتى يقدم عليك من يقبضه منك ، والسلام .

ثم دفع الرقعة إليّ ، فوالله ما ختمها بطين ولا خزنها ، فجثت بالرقعة  
إلى صاحبه فأنصرف عنا محزولاً ، فقال معاوية : اكتبوا لها كما تريد ،  
واصرفوها إلى بلدها غير شاكية .

## عليّ (ع) والعبادة

في الأمالي عن عروة بن الزبير قال : كنا جلوساً في مسجد رسول  
الله صلى الله عليه وسلم فتذاكرنا أعمال أهل بدر وبيعة الرضوان ، فقال أبو الدرداء : يا

قوم إلا أخبركم بأقل القوم مالاً وأكثرهم ورعاً وأشدهم اجتهاداً في العبادة ؟ قالوا : من ؟ قال : أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، قال : فوالله إن كان في جماعة أهل المجلس إلا معرض عنه وجهه ، ثم انتدب له رجل من الأنصار فقال له : يا عويمر لقد تكلمت بكلمة ما وافقك عليها أحد منذ أتيت بها ، فقال أبو الدرداء : يا قوم إني قائل ما رأيت ، وليقل كل قوم منكم ما رأوا ، شهدت علي بن أبي طالب عليه السلام بشويحطات (أشجار) النجار ، وقد اعتزل عن مواليه واخفى ممن يليه وامتنع بمغيلات النخل ، فافتقدته وبتعد علي مكانه ، فقلت : لحق بمنزله ، فإذا أنا بصوت حزين ونغمة شجي وهو يقول : «إلهي كم من موبقة حلمت عن مقابلتها بنعمتك ، وكم من جريرة تكرمت عن كشفها بكرمك ، إلهي إن طال في عصيانك عمري وعظم في الصحف ذنبي فما أنا مؤمل غير غفرانك ، ولا أنا براج غير رضوانك» فشغلني الصوت واقتفيت الأثر ، فإذا هو علي بن أبي طالب عليه السلام بعينه فاستترت له وأخملت الحركة ، فركع ركعات في جوف الليل الغابر ، ثم فرغ إلى الدعاء والبكاء والبث والشكوى ، فكان مما به الله نجاه أن قال : «إلهي أذكر في عفوك فتتهون عليّ خطيئتي ، ثم أذكر العظيم من أخذك فتعظم عليّ بليتي» ثم قال : «آه إن أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها وأنت محصيها ، فتقول : خذوه . فيأله من مأخوذ لا تنجيه عشيرته ، ولا تنفعه قبيلته ، يرحمه الملائكة إذا أذن فيه بالنداء» ثم قال : «آه من نار تنضج الأكباد والكلى ، آه من نار نزاعة للشوى ، آه من غمرة من ملهيات لظي» . قال : ثم انغمر في البكاء فلم أسمع له حساً ولا حركة فقلت غلب عليه النوم لطول السهر ، أوقفه لصلاة الفجر ، قال أبو الدرداء : فأتيت فإذا هو كالحشبة الملقاة ، فحركته فلم يتحرك ، وزويته فلم ينزوه فقلت : «إنا لله وإنا إليه راجعون» مات والله علي بن أبي طالب . قال : فأتيت منزله مبادراً أنعماء إليهم ، فقالت فاطمة عليها السلام : يا أبا الدرداء ما كان من شأنه ومن قصته ؟ فأخبرتها الخبر ، فقالت هي والله - يا أبا الدرداء - الغشبة التي تأخذ من خشية الله ، ثم أتوه بماء فنضحوه على

وجهه فافاق ، ونظر إليّ وأنا أبكي ، فقال : مما بكاؤك يا أبا الدرداء ؟  
 فقلت : مما أراه تنزله بنفسك ، فقال : يا أبا الدرداء فكيف ولو رأيتني  
 ودعيتني بي إلى الحساب وأيقن أهل الجرائم بالعذاب ، واحتوشنتني ملائكة  
 غلاظ وزبانية فظاظ ، فوقفت بين يدي الملك الجبار قد أسلمني الأحياء  
 ورحمني أهل الدنيا ، لكنك أشد رحمة لي بين يدي من لا تخفي عليه  
 خافية ، فقال أبو الدرداء : فوالله ما رأيت ذلك لأحد من أصحاب رسول  
 الله ﷺ .

قال ابن أبي الحديد : وأما العبادة : فكان أعبد الناس وأكثرهم صلاة  
 وصوماً ، وملازمة للأوراد ، وقيام النافلة ، وما ظنك برجل يبلغ من محافظته  
 على ورده : أن يُسقط له نطح بين الصّفين ليلة الهرير فيصلبي عليه ورده ،  
 والسهام تقح بين يديه ، وتمرّ على صماخيه يميناً وشمالاً ، فلا يرتاع لذلك  
 ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته ؟؟

وما ظنك برجل كانت جبهته كثيفة البعر لطول سجوده ؟

وأنت إذا تأملت دعواته ومناجاته ، ووقفت على ما فيها من تعظيم الله  
 سبحانه وإجلاله ، وما يتضمنه من الخضوع لهيبته والخشوع لعزته ،  
 والاستخذاء له عرفت ما ينطوي عليه من الإخلاص ، وفهمت من أي قلب  
 خرجت ، وعلى أي لسان جرت 1144

وقيل لعلي بن الحسين عليه السلام - وكان الغاية في العبادة - : أين عبادتك  
 من عبادة جدك ؟ قال : عبادتي عند عبادة جدي كعبادة جدي عند عبادة  
 رسول الله ﷺ .

### علي عليه السلام وطلاقة الوجه مع المهابة

قال ابن أبي الحديد في مقدمته على شرح النهج :

وأما سجاحة الأخلاق وبشر الوجه وطلاقة المحيا والتبسم فهو  
 مضروب به المثل فيه ، حتى عابه بذلك أعداؤه ، قال عمرو بن العاص

لأهل الشام : إنه ذو دعابة شديدة ، وقال علي عليه السلام في ذلك : عجياً لابن النابغة ! يزعم لأهل الشام أن في دعابة وإني امرؤ تلعبه ، أمارس وأمارس .

وعمر بن العاص إنما أخذها عن عمر لقلوبه - لما عزم على استخلافه - : لله أبوك ! لولا دعابة فيك . إلا أن عمر اقتصر عليها وعمره زاد فيها ونسجها .

قال صحصعة بن صوحان وغيره من شيعته وأصحابه : كان فينا كأحدنا ، لين جانب ، وشدة تواضع ، وسهولة قياد .

وكنا نهابه مهابة الأسير المربوط للسياق الواقف على رأسه .

وقال معاوية لقيس بن سعد : رحم الله أبا حسن فلقد كان هشاً بشاً ، ذا فكاهة ، قال قيس : نعم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح ويتسم إلى أصحابه ، وأراك حسواً في ارتغابٍ وتعيبه ، أما والله لقد كان مع تلك الفكاهة والطلاقة أهيب من ذي لبدتين قد منه الطوى ، تلك هيبة التقوى ليس كما يهابك أهل الشام !!

## عليّ (ع) والخصائص

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما يحب ويرضى والصلاة على محمد المصطفى وأخيه المرتضى وآله الأصفياء .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾<sup>(١)</sup> كلامنا - الليلة - حول شيء يسير من خصائص أمير المؤمنين عليه السلام وفضائله المختصة به ، ولا شك أن في الناس من تشمله العناية الإلهية ويساعده التوفيق أو الحظ فتتوفر فيه النعم والمواهب والفضائل فيمتاز عن غيره وتتكون له شخصية بارزة في النفوس يُذكر ويُشكر عليها .

وفي الوقت نفسه نجد أفراداً حُرِمُوا من تلك المواهب لعدم استعدادهم أو عدم توفر الظروف المساعدة لهم ، فلا تكون لهم في المجتمع أي وزن وقيمة وكرامة ، وهذه الطبقة المسكينة تتكون عندهم عقدة الحقارة النفسية فيحسبون أنفسهم منبوذين لفقدانها المزايا والفضائل ، ويشتد شعورهم بالحقارة النفسية فتهمون عليهم أنفسهم ، وإرضاء لغرائزهم المتكونة من تلك العقلة ، يحاولون سلب الخصائص الموجودة عن المنعمين بها ، أو انتقاصهم والمس بكرامتهم والتشنيع عليهم إجابةً للحسد

(١) سورة النساء ، الآية : ٥٤ .

الذي يحز في صدورهم ولا شك أن عدد الفاقدين للفضائل أكثر من الواجدين لها ، وعلى هذا نرى أصحاب النعم والمواهب محسودين وكلمنا ازدادوا فضيلةً ازداد حسادهم !!

ولا يقف أمام الحسد شيء إلا الإيمان بالله والرضى بالتقدير أو السعي والاهتمام في تحصيل تلك المزايا والفضائل الموجودة في المحسود فتحصل المشاركة معه ويزول الاختصاص عنه .

وكان رسول الله ﷺ وأهل بيته منتهمهم المحسودون في كل زمان ومكان للسبب المتقدم ذكره ، وقد وردت أحاديث في تفسير الآية التي افتتحنا بها الكلام أن المقصود من (الناس) في قوله تعالى : ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (١) هم عترة رسول الله ﷺ .

ونذكر في هذه الليلة بعض خصائص الإمام عليه السلام وقد مر عليكم - فيما سبق - شيء من ذلك ، ويمكن لنا أن نقول : أن فضائل الإمام عليه السلام كلها خصائص منحصرة به لا يشاركه فيها أحد من الناس .  
ومن جملة ذلك : حديث رد الشمس لعلي عليه السلام .

أما الشيعة فلا يشكُّون في قدرة الله تعالى ، ويعتقدون أن الله تعالى هو خالق الشمس ، وخالق الشمس قادر على ردِّها بعد الغروب ، وليس ذلك محالاً عقلاً ولا قدرة وليس من قبيل اجتماع الضدين أو التقيضين ، وكذلك لا يشكُّون في استجابة دعاء النبي ﷺ ومسأله من الله تعالى أن يرد الشمس لعلي عليه السلام ليصلي صلاة العصر .

والشيعة يعتقدون أن علياً عليه السلام مستجاب الدعوة بالإضافة إلى منزلته الرفيعة ودرجاته العالية عند الله تعالى ، وبناءً على هذا يعتقدون صحة هذا الخبر .

أما لفظ الحديث فعن أسماء بنت عميس : أن رسول الله ﷺ صلى

(١) سورة النساء ، الآية : ٥٤ .

الظهر بالصهباء من أرض خيبر ، ثم أرسل علياً في حاجة ، فجاء وقد صلى رسول الله العصر ، فوضع رأسه في حجر علي ولم يحركه حتى غربت الشمس فقال رسول الله ﷺ : اللهم إن عبدك علياً احتبس نفسه على نبيه فرد عليه شرقها .

قالت أسماء : فطلعت الشمس حتى رفعت علي الجبال فقام فتوضأ وصلى العصر ثم غابت الشمس .

أما المحدثون من الشيعة فكلهم متفقون على هذه الفضيلة وذكروها في كتبهم وموسوعاتهم ، ولقد ذكروا أن هذه الفضيلة وقعت مرتين : مرة على عهد رسول الله ﷺ ومرة أخرى أيام خلافة الإمام علي عليه السلام ومروره على أرض بابل بالقرب من مدينة الحلة ، كما روى ذلك نصر بن مزاحم بإسناده عن عمر قال : حدثني عمر بن عبد الله بن يعلى بن مرة الثقفي عن أبيه عن عبد خيبر قال : كنت مع علي أسير في أرض بابل وحضرت الصلاة صلاة العصر ، قال : فجعلنا لا نأتي مكاناً إلا رأيناه أبيض من الآخر حتى أتينا علي مكان أحسن ما رأينا ، وقد كادت الشمس أن تغيب فنزل علي ونزلت معه ، فدعا الله فرجعت الشمس كمقدارها من صلاة العصر ، فصلينا العصر ثم غابت الشمس . . . الخ .

وفي علل الشرائع : عن جويرية بن مسهر قال : قطعنا مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام جسر الصراة في وقت العصر ، فقال : إن هذه أرض معدية ، لا ينبغي لنبى ولا وصي نبي أن يصلي فيها ، فمن أراد منكم أن يصلي فيها فليصل . فتفرق الناس يمنة ويسرة يصلون ، فقلت أنا : والله لأقلدن هذا الرجل صلاتي اليوم ، ولا أصلي حتى يصلي .

فسرنا وجعلت الشمس تسفل وجعل يدخلني من ذلك أمر عظيم حتى وجبت (غابت) الشمس ، وقطعنا الأرض ، فقال : يا جويرية أذن . فقلت : تقول أذن وقد غابت الشمس ، فقال : يا جويرية أذن . فأذنت ثم قال لي : أقم . فأقم فلما قلت : وقد قامت الصلاة رأيت شفتيه

يتحركان ، وسمعت كلاماً كأنه كلام العبرانية ، فارتفعت الشمس حتى صارت في مثل وقتها في العصر فصلى ، فلما انصرفنا هوت إلى مكانها واشتبكت النجوم ، فقلت : أنا أشهد أنك وصي رسول الله . فقال يا جويرية أما سمعت الله عز وجل يقول : ﴿فَجِجْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (١) .

فقلت : بلى . قال : فإني سألت الله باسمه العظيم فردها علي\* .

وهنا حديث يجمع بين المرتين اللتين رُدَّت الشمس لعلي\* فيها .

في البحار ج ٩ عن إرشاد المفيد :

«مما أظهره الله تعالى من الأعلام الباهرة على يد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب\* ما استفاضت به الأخبار ورواه علماء السير والآثار ونظمت فيه الشعراء الأشعار ، رجوع الشمس له\* مرتين : في حياة النبي\* مرة وبعد وفاته\* أخرى ، وكان من حديث رجوعها عليه في المرة الأولى ما روتهُ أسماء بنت عميس وأم سلمة زوجة النبي\* وجابر بن عبد الله الأنصاري وأبو سعيد الخدري في جماعة من الصحابة أن النبي\* كان ذات يوم في منزله وعلي\* بين يديه إذ جاءه جبرئيل\* يناجيه عن الله سبحانه ، فلما تغشاه الوحي توسد فخذ أمير المؤمنين\* قلم يرفع رأسه عنه حتى غربت العصر ، فصلى أمير المؤمنين\* جالساً يومئذ بركوعه وسجوده إيماءً ، فلما أفانق من غشيت\* قال لأمير المؤمنين\* : أفانتك صلاة العصر؟ قال : لم أستطع أن أصليها قائماً لمكانك يا رسول الله والحال التي كنت عليها في استماع الوحي ، فقال له أدع الله حتى يرد عليك الشمس لتصلبها قائماً في وقتها كما فانتك فإن الله تعالى يجيبك بطاعتك لله ورسوله ، فسأل أمير المؤمنين\* الله في رد الشمس ، فردت حتى صارت في موضعها من السماء وقت صلاة العصر ، فصلى أمير المؤمنين\* صلاة العصر في وقتها ثم غربت .

(١) سورة الأعلى ، الآية : ١ .

وكان رجوعها بعد النبي ﷺ أنه لما أراد أن يعبر الفرات ببابل اشتغل كثير من أصحابه بتعبير دوابهم ورحالهم ، فصلى ﷺ بنفسه في طائفة معه العصر فلم يفرغ الناس من عبورهم حتى غربت الشمس وفانت الصلاة كثيراً منهم ، وفات الجمهور فضل الاجتماع معه ، فتكلموا في ذلك ، فلما سمع كلامهم فيه سأل الله تعالى أن يرد الشمس عليه ليجمع كافة أصحابه على صلاة العصر في وقتها ، فأجاب الله تعالى في ردّها عليه وكانت في الأفق على الحال التي تكون عليه وقت العصر ، فلما سلم القوم غابت الشمس فأكثروا من التسبيح والتهليل والاستغفار والحمد لله على النعمة التي ظهرت فيهم ، وسار خبر ذلك في الأفاق وانتشر ذكره في الناس .

رواة حديث رد الشمس لعلي ﷺ من علماء العامة هم :

- ١ - أبو بكر الوراق ، له كتاب : (من روى رد الشمس) .
- ٢ - أبو الحسن شاذان الغضيلي ، له رسالة .
- ٣ - المحافظ أبو الفتح محمد بن الحسين الأزدي الموصلي ، له كتاب مفرد فيه .
- ٤ - أبو القاسم الحاكم ابن الحداد الحسكاني النيسابوري الحنفي له رسالة (مسألة في تصحيح رد الشمس) .
- ٥ - أبو عبد الله الجعل الحسين بن علي البصري ثم البغدادي له كتاب : (جواز رد الشمس) .
- ٦ - أخطب خوارزم أبو المؤيد موفق بن أحمد له كتاب : (رد الشمس لأمر المؤمنين) .
- ٧ - أبو علي الشريف محمد بن أسعد بن المعمر الحسني القتيبي النسابة له جزء في جمع (طرق حديث رد الشمس) لعلي ﷺ .

- ٨ - أبو عبد الله محمد بن يوسف الدمشقي الصالحى له جزء (مزيل اللبس عن حديث رد الشمس) .
- ٩ - الحافظ جلال الدين السيوطي له رسالة في الحديث أسماها (كشف اللبس عن حديث رد الشمس) .
- ١٠ - الحافظ أبو الحسن عثمان بن أبي شيبة العيسى الكوفي رواه في سننه .
- ١١ - الحافظ أبو جعفر أحمد بن صالح المصري .
- ١٢ - محمد بن الحسين الأزدي ذكره في كتابه في (مناقب علي) .
- ١٣ - الحافظ أبو بشر محمد بن أحمد الدولابي أخرجه في كتابه (الذرية الطاهرة) .
- ١٤ - الحافظ أبو جعفر أحمد بن محمد الطحطاوي في (مشكل الآثار) .
- ١٥ - الحافظ أبو جعفر محمد بن عمرو العقيلي .
- ١٦ - الحافظ أبو القاسم الطبراني رواه في (معجمه الكبير) .
- ١٧ - الحاكم أبو حفص عمر بن أحمد الشهير بابن شاهين ذكره في (مسند الكبير) .
- ١٨ - الحاكم أبو عبد الله النيسابوري رواه في تاريخ (نيسابور) .
- ١٩ - الحافظ ابن مردويه الأصبهاني أخرجه في (المناقب) .
- ٢٠ - أبو إسحاق الثعلبي رواه في (تفسيره) .
- ٢١ - الفقيه أبو الحسن علي بن حبيب البصري البغدادي الشافعي عده من أعلام النبوة في كتابه (أعلام النبوة) .
- ٢٢ - الحافظ أبو بكر البيهقي رواه في (الدلائل) .

- ٢٣ - الحافظ الخطيب البغدادي ذكره في (تلخيص المشابه) .
- ٢٤ - الحافظ أبوزكريا الأصبهاني الشهير بإبن مندة أخرجه في كتابه (المعرفة) .
- ٢٥ - الحافظ القاضي عياض أبو الفضل المالكي الأندلسي رواه في كتابه (الشفاء) .
- ٢٦ - أخطب الخطباء الخوارزمي رواه (في المناقب) .
- ٢٧ - الحافظ أبو الفتح النطنزي رواه في (الخصائص العلوية) .
- ٢٨ - أبو المظفر يوسف قزأوغلي الحنفي رواه في (التذكرة) .
- ٢٩ - الحافظ أبو عبد الله محمد بن يوسف الكنجي الشافعي ، جعل في كتابه (كفاية الطالب) فصلاً في حديث رد الشمس لعلي عليه السلام .
- ٣٠ - أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الأنصاري الأندلسي ذكره في كتابه (التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة) .
- ٣١ - شيخ الإسلام الحموني رواه في (فرائد السمطين) .
- ٣٢ - الحافظ ولي الدين أبوزرعة العراقي أخرجه في (طرح التثريب) .
- ٣٣ - الإمام أبو الربيع سليمان السبتي الشهير بإبن سبع ذكره في كتابه (شفاء الصدور) .
- ٣٤ - الحافظ ابن حجر العسقلاني ذكره في (فتح الباري) .
- ٣٥ - الإمام العيني الحنفي ذكره في (عمدة القاري) .
- ٣٦ - الحافظ السيوطي رواه في (جمع الجوامع) .
- ٣٧ - نور الدين السهودي الشافعي ذكره في (وفاء الوفاء) .

- ٣٨ - الحافظ أبو العباس القسطلاني ذكره في (المواهب اللدنية) .
- ٣٩ - الحافظ ابن الربيع رواه في (تميز العليب من الخبيث) .
- ٤٠ - السيد عبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسي ذكره في (معاهد التصيص) .
- ٤١ - الحافظ شهاب الدين ابن حجر الهيتمي عدّه في (الصواعق) .
- ٤٢ - الملا علي القاري ذكره في (المرفأة) .
- ٤٣ - نور الدين الحلبي الشافعي رواه في (السيرة النبوية) .
- ٤٤ - شهاب الدين الخفاجي الحنفي ذكره في (شرح الشفا) .
- ٤٥ - أبو العرفان الشيخ برهان الدين إبراهيم بن حسن شهاب الدين الكردي الكوراني ذكره في كتابه (الأمم لإيقاظ الهمم) .
- ٤٦ - أبو عبد الله الزرقاني المالكي صححه في (شرح المواهب) .
- ٤٧ - شمس الدين الحنفي الشافعي ذكره في تعليقه على (الجامع الصغير للسبوطي) .
- ٤٨ - ميرزا محمد البدخشي ذكره في (نزل الأبرار) .
- ٤٩ - الشيخ محمد الصبان عدّه في (إسعاف الراغبين) .
- ٥٠ - الشيخ محمد أمين بن عمر الشهير بابن عابدين الدمشقي إمام الحنفية في عصره ذكره في (حاشيته) .
- ٥١ - السيد أحمد زيني دحلان الشافعي ذكره في (السيرة النبوية) هامش (السيرة الحلبية) .
- ٥٢ - السيد محمد مؤمن الشبلنجي علمه (في نور الأبصار) .
- اقتطفنا هذه المصادر من كتاب (الغدير ج ٣) لشيخنا الأمين رحمه الله .

هذا وللشعراء دور هام في الإشادة بهذه الفضيلة أعرضنا عن سرد قصائدهم رعاية للاختصار .

### خبر الطائر المشوي :

في احتجاج الطبرسي : عن الإمام الصادق عن آبائه عن علي بن الحسين قال : كنت أنا ورسول الله ﷺ في المسجد بعد أن صلى الفجر ، ثم نهض ونهضت معه ، وكان إذا أراد أن يتجه إلى موضع أعلمني بذلك فكان إذا أبطأ في الموضع صرت إليه لأعرف خبره ، لأنه لا يتقار (لا يسكن) قلبي على فراقه ساعة واحدة ، فقال لي : إنه متجه إلى بيت عائشة . فمضيت ومضيت إلى بيت فاطمة بنتك فلم أزل مع الحسن والحسين ، وهي وأنا مسروران بهما ، ثم إنني نهضت وصرت إلى باب عائشة فطرقت الباب فقالت لي عائشة : من هذا ؟ فقلت لها : أنا علي ، فقالت : إن النبي راقدا ، فانصرفت ، ثم قلت : النبي راقدا وعائشة في الدار ؟! فرجعت وطرقت الباب فقالت لي عائشة : من هذا ؟ فقلت أنا علي . فقالت : إن النبي علي حاجة ، فانشيت (انصرفت) مستحيياً من دقي الباب ، ووجدت في صدري ما لا أستطيع عليه صبراً ، فرجعت مسرعاً فدققت الباب دقاً عنيفاً فقالت لي عائشة : من هذا ؟ قلت : أنا علي ، فسمعت رسول الله ﷺ يقول لها : يا عائشة إفتحي له الباب . ففتحت فدخلت فقال لي : أقعد يا أبا الحسن ، أحدثك بما أنا فيه أو تحدثني بإبطائك عني ، فقلت : يا رسول الله حدثني ، فإن حديثك أحسن . فقال : يا أبا الحسن كنت في أمر كتمته من ألم الجوع ، فلما دخلت بيت عائشة وأطلت القعود ليس عندها شيء تأتي به مددت يدي وسألت الله القريب المجيب ، فهبط علي حبيبي جبرئيل ومعه هذا الطير - ووضع إصبعه على طائر بين يديه - فقال جبرئيل : إن الله عز وجل أوحى إلي أن آخذ هذا الطير وهو أطيب طعام في الجنة فأتيك به يا محمد .

فحمدت الله كثيراً ، وعرج جبرئيل فرفعت يدي إلى السماء فقلت :  
اللهم يسر عبداً يحبك ويحبنى بأكل معي من هذا الطائر ، فمكثت ملياً فلم  
أر أحداً يطرق الباب ، فرفعت يدي ، ثم قلت : اللهم يسر عبداً يحبك  
ويحبنى وتحبه وأحبه يأكل معي من الطائر ، فسمعت طرقتك للباب ،  
وارتفاع صوتك فقلت لعائشة : أدخلني علياً ، فدخلت ، فلم أزل حامداً لله  
حتى بلغت إليّ إذ كنت نحب الله وتحبنى ، ويحبك الله وأحبك فكل يا  
علي .

فلما أكلت أنا والنبي الطائر قال لي : يا علي حدثني ، فقلت : يا  
رسول الله لم أزل منذ فارقتك أنا وفاطمة والحسن والحسين مسرورين  
جميعاً ، ثم نهضت أريدك ، فجئت فطرقت الباب ، فقالت لي عائشة : من  
هذا ؟ فقلت : أنا علي . فقالت : إن النبي راقد . فانصرفت ، فلما أن  
صرت إلى الطريق الذي سلكته رجعت فقلت : إن النبي راقد وعائشة في  
الدار ؟ لا يكون هذا ! فجئت فطرقت الباب فقالت لي : من هذا ؟  
فقلت : أنا علي . فقالت : النبي علي حاجة فانصرفت مستحيياً . فلما  
انتهيت إلى الموضوع الذي رجعت منه أول مرة وجلت في قلبي ما لا  
أستطيع عليه صبراً ، وقلت : النبي علي حاجة وعائشة في الدار ؟ فرجعت  
فدقت الباب الذي سمعته يا رسول الله ، فسمعتك يا رسول الله تقول  
لها : أدخلني علياً .

فقال النبي ﷺ : أباي الله إلا أن يكون الأمر هكذا ، يا حميراء ما  
حملك على هذا ؟ فقالت : يا رسول الله اشتهيت أن يكون أبي يأكل من  
هذا الطير . . . إلخ .

في مناقب ابن شهر آشوب : روى حديث الطير جماعة منهم :  
الترمذي في جامعه ، وأبو نعيم في حلية الأولياء ، والبيلاذري في تاريخه ،  
والخزرجوشي في شرف المصطفى ، والسمعاني في فضائل الصحابة ،  
والطبري في الولاية ، وابن البيع في الصحيح ، وأبو يعلى في المسند ،

وأحمد في الفضائل والنظري في الاختصاص .

وقد رواه محمد بن يحيى الأزدي ، وسعيد والمازني وابن شاهين  
والسدي ، وأبو بكر البيهقي ، ومالك وإسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة  
وعبد الملك بن عمير ، ومسعر بن كدام ، وداورود بن علي بن عبد الله بن  
عباس وأبو حاتم الرازي بأسانيدهم عن أنس وابن عباس وأم أيمن .

ورواه ابن بطة في الإبانة من طريقين ، والخطيب وأبو بكر في تاريخ  
بغداد من سبعة طرق .

وقد صنف أحمد بن محمد بن سعيد كتاب الطير ، وقال القاضي  
أحمد : قد صح عندي حديث الطير .

وقال أبو عبد الله البصري ، إن طريقة أبي عبد الله الجبائي في  
تصحیح الأخبار تقتضي القول بصحة هذا الخبر لإيراده يوم الشورى فلم  
ينكر .

قال الشيخ : قد استدك به أمير المؤمنين عليه السلام على فضله في قصة  
الشورى بمحضر من أهلها ، فما كان فيهم إلا من عرفه وأقر به ، والعلم  
بذلك كالعلم بالشورى نفسها ، فصار متواتراً ، وليس في الأمة - على  
اختلافها - من دفع هذا الخبر .

وحدثني أبو العزيز كادش العكبري عن أبي طالب الحري الحشاري  
عن ابن شاهين الواعظ في كتابه : وما قرب سنده قال : حدثني نصر بن  
أبي القاسم الفرائضي ، قال : قال محمد بن عيسى الجوهري قال : قال  
نعيم بن سالم بن قنبر ، قال : قال أنس بن مالك . . . الخبر .

وقد أخرجه علي بن إبراهيم في كتابه قرب الإسناد ، وقد رواه خمسة  
وثلاثون رجلاً من الصحابة عن أنس ، وعشرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد صح  
أن الله تعالى والنبي يحبانه ، وما صح ذلك لغيره ، فيجب الاقتداء به .  
ومن نسب خبر الطائر إليه قصر الإمامة عليه .

## حديث الطائر بصورة أخرى :

مجمع الحديث : إن أنس بن مالك تعصب بعصابة ، فسئل عنها فقال : هذه دعوة علي ، قيل : وكيف ذلك ؟ قال : أهدني إلى رسول الله ﷺ طائر مشوي فقال : اللهم ائمني بأحب خلقك إليك ، يأكل معي هذا الطير ، فجاء علي فقلت له : رسول الله عنك مشغول ، وأحببت أن يكون رجلاً من قومي . فدعا رسول الله ﷺ ثانياً ، فجاء علي فقلت : رسول الله عنك مشغول ، فرفع علي صوته وقال : وما يشغل رسول الله عني ؟ وسمعه رسول الله ﷺ فقال : يا أنس من هذا ؟ قلت : علي بن أبي طالب . قال : إئذن له ، فلما دخل قال له : يا علي إني قد دعوت الله ثلاث مرات أن يأتيني بأحب خلقه إليه وإلي يأكل معي هذا الطير ، ولو لم تجئني في الثالثة لدعوت الله باسمك أن يأتيني بك .

فقال : يا رسول الله إني قد جئت ثلاث مرات ، كل ذلك يردني أنس ويقول : رسول الله عنك مشغول ، فقال لي رسول الله ﷺ : ما حملك على هذا ؟ قلت : أحببت أن يكون رجلاً من قومي ، وفي رواية : قال : رجوت أن يكون رجلاً من الأنصار ، فقال لي : أو في الأنصار خير من علي ؟ أو في الأنصار أفضل من علي ؟؟

قال أنس : فلما كان يوم الدار استشهدني علي فكتمته ، فقلت إني نسيت ، فرفع علي يده إلى السماء فقال : اللهم إرم أنساً بوضع لا يستره من الناس . وفي رواية : لا تواريه العمامة .

ثم كشف العمامة عن رأسه فقال : هذه دعوة علي !! .

## حديث الصنلة :

كانت غزوة تبوك آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ وخرج معه المسلمون الوضيع منهم والشريف ، ولم يبق في المدينة إلا النساء

والصبيان وعدد من المتخلفين ، فأمر النبي ﷺ أن يبقى علي في المدينة يحرس المدينة ومن فيها من عوائل المسلمين ، واليكم التفصيل كما رواه المفيد في الإرشاد قال :

لما أراد رسول الله ﷺ الخروج استخلف أمير المؤمنين ﷺ في أهله وولده وأزواجه ومهاجره ، وقال له : يا علي إن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك ، وذلك أنه ﷺ علم من حيث نيات الأعراب وكثير من أهل مكة ومن حولها ممن غزاهم وسفك دماءهم ، وأشفق أن يطلبوا المدينة عند نايه (ابتعاده) عنها ، وحصوله ببلاد الروم أو نحوها فمتى لم يكن في المدينة من يقوم مقامه لم يؤمن معرفتهم ، وإيقاع الفساد في دار هجرته والتخطي إلى ما يشين أهله ومخلفيه ، وعلم ﷺ أنه لا يقوم مقامه في إرهاب العدو وحراسة دار الهجرة وحياطة من فيها إلا أمير المؤمنين ﷺ فاستخلفه استخلاقاً ظاهراً ، ونص عليه بالإمامة من بعده نصاً جلياً وذلك فيما تظاهرت به الرواة : أن أهل النفاق لما علموا باستخلاف رسول الله ﷺ علياً على المدينة لذلك ، وعظم عليهم مقامه فيها بعد خروجه ، وعلموا أنها تحرس به وتحصن ، ولا يكون فيها للعدو مطمع ، فساءهم ذلك وكانوا يؤثرون خروجه معه لما يرجونه من وقوع الفساد والاختلاط عند ناي رسول الله عن المدينة وخلوها من مرهوب مخوف يحرسها ويغبطوه على الرقابة والدعة بمقامه في أهله ، وتكلف من خرج منهم المشاق بالسفر والخطر ، فأرجفوا (خاضوا) في الأخبار السيئة قصد أن يهيج الناس) به ، وقالوا : لم يستخلفه رسول الله ﷺ إكراماً له وإجلالاً ومودة ، وإنما خلفه استخلاقاً له ، فهتوا بهذا الإرجاف ، كهت قريش للنبي ﷺ بالجنة (الجنون) تارة وبالشعر أخرى وبالسحر مرة وبالكهانة أخرى ، وهم يعلمون ضد ذلك ونقيضه ، كما علم المنافقون ضد ما أرجفوا به علي أمير المؤمنين ﷺ وخلافه ، وأن النبي كان أخص الناس بأمر المؤمنين ﷺ وكان هو أحب الناس إليه وأسعدهم عنده وأفضلهم لديه ، فلما بلغ أمير المؤمنين ﷺ إرجاف المنافقين به أراد تكذيبهم وإظهار فضيحتهم ، فلحق

بالنبي ﷺ فقال : يا رسول الله إن المنافقين يزعمون أنك إنما خلقتني استثناءً ومقتاً . فقال له النبي ﷺ : إرجع يا أخي إلى مكانك ، فإن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك ، فأنت خليفتي في أهل بيتي ودار هجرتي وقومي ، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي .

فتضمن هذا القول من رسول الله ﷺ نصه عليه بالإمامة وإيادته من الكافة بالمخلافه ، ودل به على فضل لم يشركه فيه أحد سواه ، وأوجب له به جميع منازل هارون من موسى إلا ما خصه العرف من الأخوة (في النسب) واستثناءه هو من النبوة .

الا ترى أنه ﷺ جعل له كافة منازل هارون من موسى إلا المستثنى منه لفظاً وعقلاً .

وقد علم كل من تأمل معاني القرآن وتصفح الروايات والأخبار : أن هارون كان أخا موسى ﷺ لأبيه وأمه ، وشريكه في أمره ، ووزيره على نبوته وتبليغه رسالات ربه ، وأن الله شدَّ به أزره ، وأنه كان خليفته على قومه ، وكان له من الإمامة عليهم وفرض الطاعة كإمامته وفرض طاعته .

وأنه كان أحب قومه إليه ، وأفضلهم لديه ، قال الله عز وجل - حاكياً عن موسى ﷺ - : ﴿رب اشرح لي صدري ، ويسر لي أمري ، واحلل عقدة من لساني ، يفقهوا قولي ، واجعل لي وزيراً من أهلي ، هارون أخي ، أشدد به أزري ، وأشركه في أمري﴾<sup>(١)</sup> فأجاب الله تعالى مسأله ، وأعطاه أمينه ، حيث يقول : ﴿قد أوتيت سؤالك يا موسى﴾<sup>(٢)</sup> .

وقال تعالى - حاكياً عن موسى - : ﴿وقال موسى لأخيه هارون اخلقني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾<sup>(٣)</sup> .

(١) سورة طه ، الآيات : ٢٥ - ٣٢ .

(٢) سورة طه ، الآية : ٣٦ .

(٣) سورة الأعراف ، الآية : ١٤٢ .

فلما جعل رسول الله ﷺ علياً بك منه بمنزلة هارون من موسى  
أوجب له بذلك جميع ما عددناه إلا ما خصه العرف من الأخوة في النسب  
واستثناء من النبوة لفظاً ، وهذه فضيلة لم يشركه فيها أحد من الخلق أمير  
المؤمنين ولا ساواه في معناها ، ولا قاربه فيها على حال . . . الخ .

لا زال ولا يزال بعض المتجاهلين من المسلمين يزعمون أن هذا  
الحديث غير ثابت في الصحاح ولا معترف به عند الحفاظ وأئمة الحديث .

أو يدعون اختصاص الحديث بيوم تبوك ، فيسلبون منه الدلالة على  
الخلافة والإمامة العامة المطلقة ، ونحن نجيب عن الموضوع الأول :

بأن هذا الحديث من الأحاديث الصحيحة المتواترة عند المسلمين لا  
يشك فيه ذو دراية بالأحاديث ، وإمام بالروايات ، ومعرفة وبصيرة بالأخبار ،  
ولا مجال للمناقشة - عند ذي الألباب - حول صحة هذا الحديث .

وأما الرواة لهذا الحديث فكثيرون جداً يصعب استيعاب أسمائهم ،  
ونذكر جملة من مشاهير علماء السنة وحفاظهم ورواتهم :

- ١ - الذهبي في تلخيص المستدرک .
- ٢ - ابن حجر الهيتمي في الصواعق .
- ٣ - صاحب الجمع بين الصحاح الستة .
- ٤ - صاحب الجمع بين الصحيحين .
- ٥ - البخاري في صحيحه .
- ٦ - مسلم في صحيحه .
- ٧ - ابن ماجه في سننه .
- ٨ - أحمد بن حنبل في مسنده .
- ٩ - البيهقي في مسنده .
- ١٠ - الترمذي في صحيحه .
- ١١ - ابن عبد البر في الاستيعاب .

وغيرهم ممن كتب أو ألف كتاباً في فضائل علي عليه السلام.

وأما محدثو الشيعة وحفاظهم فلا يشكُّون في صحة هذا الحديث وشهرته ، وهذه كتبهم مشحونة بذكر هذا الحديث بجميع الطرق والأسانيد والمصادر والمدارك .

أما الجواب عن الموضوع الثاني فنقول : إن الرسول الأعظم عليه السلام قد كرَّر كلمته الذهبية (حديث المنزلة) في مواقف عديدة ومواطن كثيرة ، ذكرها أعلام المسلمين متفقين على صحتها ، وثبوتها واستقامة دلالتها تلك الموارد - كما في بشارة المصطفى - عن ابن عباس ، قال : رأيت حسان بن ثابت واقفاً بمنى ، والنبي عليه السلام وأصحابه مجتمعين ، فقال النبي عليه السلام : هذا علي بن أبي طالب سيد العرب والوصي الأكبر ، منزلته مني منزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي لا تقبل التوبة من نائب إلا بحبه . يا حسان قل فيه شيئاً ، فأنشأ حسان بن ثابت يقول :

لا تقبل التوبة من نائب إلا بحب ابن أبي طالب  
أخي رسول الله بل صهره والصهر لا يعدل بالصاحب  
ومن يكن مثل علي وقد ردت له الشمس من المغرب  
رُدت عليه الشمس في ضونها بيضاً كسأن الشمس لم تغرب

ومن تلك الموارد : حديث رسول الله عليه السلام مع أم سليم (أم أنس بن مالك) وكان النبي يزورها ويحدثها في بيتها : يا أم سليم إن علياً لحمه من لحمي ودمه من دمي ، وهو مني بمنزلة هارون من موسى . . . إلخ .

روي ذلك في كثر العمال ومسنده أحمد .

ومنها : يوم كان أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح عند النبي عليه السلام وهو متكئ على علي (عليه السلام) فضرب بيده على منكبيه ثم قال : يا علي أنت أول المؤمنين إيماناً ، وأولهم إسلاماً ، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى . . . إلخ .

ومنها : يوم البدار وقد سبق في أول ترجمة حياة أمير المؤمنين عليه السلام  
ومنها : يوم المؤاخاة الثانية وقد مضى ذكره ، وكذلك يوم سد الأبواب وقد  
مر كل ذلك فيما سبق .

ولولا خوف الملل لذكرنا المصادر لهذه الأحاديث ويمكن لكم مراجعة  
كتاب (المراجعات) و (الغدس) وغيرهما من الكتب التي كتبت حول هذا  
الموضوع .

### المؤاخاة بين النبي (ص) وعلي (ع) :

كل شيئين إذا جمعتهما جامع يطلق على أحدهما : أنه أخو الآخر  
مثلاً : العربي تجمع العروبة بينه وبين العرب ، فيقال للعربي : يا أخا  
العرب . والفارسي يشارك الفرس في العنصر فيقال له : يا أخا الفرس .  
واليهودية تجمع بين اليهود فيقال لليهودي : يا أخا اليهود ، وأفراد القبيلة  
يجمعهم كونهم من تلك القبيلة فيقال لهم : يا أخا كندة أو يا أخا تميم  
وهكذا بقية الأديان أو القبائل أو الأشياء التي تجمع بين الأفراد كالمماثلة  
والمشابهة . . .

والأخوان الشقيقان أو الأخوان من قبل الأب وحده أو الأم وحدها  
يقال لهما : أخوان لأن الأب أو الأم أو كلاهما يجمعان الإنسانين وعلي  
هذا الأساس يقول الله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾<sup>(١)</sup> أي أن مبدأ الإيمان  
يجمعهما .

هذه نظرة خاطفة ولمحة موجزة عن الأختوة والإخاء في العرف والقرآن  
وقد تجتمع هذه العلة كأختوة النسب وأختوة الدين ، وأختوة العمالة في  
إنسانين فتقوى أو أواصر الأختوة فيما بينهما .

روي البلاذري عن ابن عباس وغيره : لما نزل قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا  
الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾<sup>(٢)</sup> أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الأشكال والأمثال ، فأخى بين

(١) سورة الحجرات : الآية : ١٠ .

أبي بكر وعمر ، وبين عثمان وعبد الرحمن ، وبين سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد ، وبين طلحة والزبير ، وبين أبي عبيدة وسعد بن معاذ ، وبين مصعب بن عمير وأبي أيوب الأنصاري ، وبين أبي ذر وأبي مسعود وبين سلمان وحذيفة ، وبين حمزة وزيد بن حارثة وبين أبي الدرداء والبلال ، وبين جعفر الطيار ومعاذ بن جبل ، وبين المقداد وعمار وبين عائشة وحفصة ، وبين زينب بنت جحش وعيمونة ، وبين أم سلمة وصفية حتى آخى بين أصحابه بأجمعهم على قدر منازلهم ثم قال : «أنت أخي ، وأنا أخوك يا علي» :

وفي لفظ : قال علي عليه السلام : يا رسول الله آخيت بين أصحابك وتركتني ، فقال : أنت أخي ، أما ترضى أن تُدعى إذا دعيت ، وتُكسى إذا كسيت ، وتدخل الجنة إذا دخلت ؟ قال : بلى يا رسول الله .

وفي رواية مناقب آل أبي طالب : فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : إنما أخرتك لنفسي ، أنت أخي وأنا أخوك في الدنيا والآخرة . فبكى علي عند ذلك وقال :

<p>هدانا به الرحمن من عمه الجهل لمن أنتمي منه إلى الفرع والأصل وأنعشني بالبر والعمل والتهل ومن أهله أُمِّي ومن بنته أهلي دعائي وأخائي وبين من فضلي لإتمام ما أوليت يا خاتم الرَّمَل</p>	<p>أقبيك بنفسي أيها المصطفى الذي وأفديك حوبائي<sup>(١)</sup> وما قدر مهجتي ؟ ومن ضمني مذ كنت طفلاً وبافماً ومن جدته جدي ومن عمه عمي ومن حين آخى بين من كان حاضراً لك الفضل إنني ما حيت لشاكر</p> <p>وقال :</p>
---	--

معه ربيت وسبطاه هما ولدي أنا أخو المصطفى لا شك في نسي

(١) الحوباء : روح القلب أو النفس .

وقال :

محمد النبي أخي وصنوي وحمزة سيد الشهداء عمي  
ولا شك أن هذه الأخوة ليست نسبية ، إذ لم يكونا أخوين من النسب  
تحقيقاً وإنما قال ذلك فيه إبانة لعزله وفضله وإمامته على سائر المسلمين ،  
لئلا يتقدمه أحد منهم ، ولا يتأمر عليه بعد ما أخى بينهم أجمعين :  
الأشكال ، وجعله شكلاً لنفسه ، ولهذا كان علي عليه السلام يفتخر بهذه المنقبة  
والفضيلة لما فيها من علو الرتبة وسمو المنزلة ، وشدة الاختصاص بالنبي ،  
وكان علي عليه السلام يقول : أنا عبد الله وأخو رسول الله ، وأنا الصديق الأكبر  
والفاروق الأعظم ، لا يقوله غيري إلا كذاب .

إن كثرة النصوص الواردة حول هذه الفضيلة وتواترها لا تبقي مجالاً  
للسك والريب ، وقد ذكرها طائفة كبيرة من علماء السنة وحفاظهم ، وتطرق  
إلى ذلك الشعراء في نظمهم وقريضهم لم نذكرها رعاية للاختصار .

مصادر حديث المواخاة  
بين رسول الله وعلي عليهما السلام

وهي خمسون مصدراً

- ١ - جامع الترمذي ٢ ص ٢١٣ .
- ٢ - مصابيح البغوي ٢ ص ١٩٩ .
- ٣ - مستترك الحاكم ٣ ص ١٤ .
- ٤ - الإستيعاب ٢ ص ٤٦٠ .
- ٥ - تيسير الوصول ٣ ص ٢٧١ .
- ٦ - مشكاة المصابيح هامش المرقاة ٥ ص ٥٦٩ .
- ٧ - الرياض النضرة ٢ ص ١٦٧ وفي ص ٢١٢ .
- ٨ - الفصول المهمة ص ٢٢ ، ٢٩ .
- ٩ - تذكرة السبط ص ١٣ ، ١٥ .
- ١٠ - كفاية الكنجي ص ٨٢ .
- ١١ - السيرة النبوية لابن سيد الناس ١ ص ٢٠٠ - ٢٠٣ .
- ١٢ - تاريخ ابن كثير ٧ ص ٣٣٥ .
- ١٣ - أسنى المطالب للجزري ص ٩ .
- ١٤ - مطالب السؤول ص ١٨ .
- ١٥ - الصواعق ص ٧٣ ، ٧٥ .
- ١٦ - تاريخ الخلفاء ص ١١٤ .

- ١٧ - الإصابة ٢ ص ٥٠٧ .
- ١٨ - المواقف ٣ ص ٢٧٦ .
- ١٩ - شرح المواهب ١ ص ٣٧٣ .
- ٢٠ - طبقات الشعرا ٢ ص ٥٥ .
- ٢١ - تاريخ القرماني هامش الكامل ١ ص ٢١٦ .
- ٢٢ - السيرة الحلبية ١ ص ٢٣ ، ١١١ .
- ٢٣ - السيرة النبوية لزيني دحلان ١ ص ٣٢٥ .
- ٢٤ - كفاية الشنقيطي ص ٣٤ .
- ٢٥ - الإمام علي بن أبي طالب للأستاذ محمد رضا ص ٢١ .
- ٢٦ - الإمام علي بن أبي طالب للأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود قاله  
في ص ٧٣ .
- ٢٧ - الرياض النضرة ٢ ص ٢٠٩ .
- ٢٨ - تاريخ ابن عساكر ٦ ص ٢٠١ .
- ٢٩ - كنز العمال ٦ ص ٣٩٠ .
- ٣٠ - تاريخ ابن هشام ٢ ص ١٢٣ .
- ٣١ - الفتاوى الحديثية ص ٤٢ .
- ٣٢ - تاريخ الخطيب ١٢ ص ٢٦٨ .
- ٣٣ - مسند أحمد ١ ص ٢٣٠ .
- ٣٤ - الإمتاع للمقرئ ص ٣٤٠ .
- ٣٥ - المحاسن والمساوي ١ ص ٣١ .
- ٣٦ - مجمع الزوائد ٩ ص ١١١ .
- ٣٧ - مناقب الخوارزمي ص ٨٧ .
- ٣٨ - شمس الأختيار ص ٣٥ .
- ٣٩ - فيض القدير ٤ ص ٣٥٥ .
- ٤٠ - مصباح الظلام ٢ ص ٥٦ .
- ٤١ - حلية الأولياء ١ ص ٦٧ .

- ٤٢ - شرح ابن أبي الحديد ٢ ص ٢٤٩ .  
 ٤٣ - فرائد السمطين في الباب الـ ٣٠ و ٥٠ .  
 ٤٤ - نزهة المجالس ٢ ص ٢٤١ .  
 ٤٥ - ذخائر العقبى ص ٩١ .  
 ٤٦ - تايخ بغداد ١١ ص ١١٢ .  
 ٤٧ - خصائص النسائي ص ٣٢ .  
 ٤٨ - سنن ابن ماجه ١ ص ٥٧ .  
 ٤٩ - العقد الفريد ص ٢٧٥ .  
 ٥٠ - تاريخ الطبري ٣١٢ .

### سورة براءة :

لما نزلت هذه السورة على النبي محمد ﷺ أمر رسول الله أبا بكر أن يذهب إلى مكة ويقرأها على الناس ، وفي رواية : يقرأ عشر آيات من أول هذه السورة ، وأن يتخذ إلى كل ذي عهد عهده ، فلما وصل أبو بكر إلى ذي الحليفة نزل جبرئيل على النبي وقال : لا يبلغ عنك إلا علي .

فدعا رسول الله علياً وأمره أن يركب ناقته العضياء ، وأمره أن يلحق أبا بكر ويأخذ منه سورة براءة ويقرأها على الناس بمكة ، فأدرك علي أبا بكر فلما رآه أبو بكر فزع من لحوقه به واستقبله فقال : فيم جئت يا أبا الحسن ؟ أسأثر أنت معي أم لغير ذلك ؟ فقال علي : إن رسول الله أمرني أن أحقق فأقبض منك الآيات من براءة وأتخذ بها عهد المشركين إليهم ، وأمرني أن أختيرك بين أن تسيّر معي أو ترجع إليه ، فقال : بل أرجع إليه وعاد إلى النبي ﷺ فلما دخل عليه قال : يا رسول الله إنك أهلتني لأمر طالت الأعناق إلي فيه ، فلما توجهت إليه رددتني عنه ، ما لي أنزل في قرآن ؟ فقال له النبي ﷺ : لا ، ولكن الأمين جبرئيل ﷺ هبط إلي عن الله عز وجل بأنه لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك ، وأعلي مني ، ولا يؤدي عني إلا علي .

قال المقرئ في الإمتاع : بأن العرب كان إذا تحالف سيدهم أو رئيسهم لم ينقض ذلك إلا الذي يحالف أو أقرب الناس قرابة منه ، وكان علي رضي الله عنه هو الذي عاهد المشركين فلذلك بعثه بنيته ببراءة .

وذكر أبو عبد الله الحافظ بإسناده عن زيد بن نقيح قال : سألتنا علياً بأي شيء بعثت في ذي الحجة ؟ قال بعثت بأربعة : لا تدخل الكعبة إلا نفس مؤمنة ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ولا يجتمع مؤمن وكافر في المسجد الحرام بعد عامه هذا ، ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فعهد إلى مدته ، ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر .

وروي أنه بعثه فام عند جمره العقبة وقال : يا أيها الناس إني رسول رسول الله إليكم بأن لا تدخل البيت كافر ، ولا يحج البيت مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عهد عند رسول الله بنيته فله عهده إلى أربعة أشهر ، ومن لا عهد له فله مدة بقية الأشهر الحرم ، وقرأ عليهم سورة براءة ، وقيل : قرأ عليهم ثلاث عشرة آية من أول براءة ، وروي أنه بعثه لما نادى فيهم : «إن الله بريء من المشركين» . قال المشركون : نحن نترأ من عهدك وعهد ابن عمك .

### وهذه صورة أخرى :

في البحار عن الإمام الباقر عليه السلام : لما سرح رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر بأول سورة براءة إلى أهل مكة أتاه جبرئيل عليه السلام فقال : يا محمد إن الله يأمرك أن لا تبعث هذا وأن تبعث علي بن أبي طالب عليه السلام ، وإنه لا يؤديها عنك غيره ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب فلحقه وأخذ منه الصحيفة وقال : إرجع إلى النبي ، فقال أبو بكر : هل حدث في شيء ؟ فقال : سيخبرك رسول الله ، فرجع أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ما كنت نرى أني مؤد عنك هذه الرسالة ؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أرى الله أن يؤديها إلا علي بن أبي طالب عليه السلام فأكثر أبو بكر عليه من الكلام فقال له

(١) سورة التوبة ٤ الآية : ٣ .

النبي ﷺ: كيف تؤذيها وأنت صاحبي في الغار . قال : فانطلق علي ﷺ حتى قدم مكة ثم وافى عرفات ، ثم رجع إلى جمع ، ثم إلى منى ثم ذبح وحلق ، وصعد على الجبل المشرف المعروف بالشعب فأذن ثلاث مرات : الا نسمعون أيها الناس إني رسول رسول الله إليكم ؟ ثم قال : ﴿بإِذْنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾<sup>(١)</sup> إلى قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup> تسع آيات من أولها ، ثم لمع بسيفه (أي أشار) فأسمع الناس وكررها فقال الناس : من هذا الذي ينادي في الناس ؟ فقالوا : علي بن أبي طالب ، وقال من عرفه من الناس : هذا ابن عم محمد ، وما كان ليجتريء علي هذا غير عشيرة محمد ﷺ ، فأقام أيام التشريق ثلاثة ينادي بذلك ويقرأ على الناس غدوة وعشية ، فناداه الناس من المشركين : أبلغ ابن عمك أن ليس له عندنا إلا ضرباً بالسيف وطعناً بالرمح .

ثم انصرف علي ﷺ إلى النبي ﷺ يقصد في السير ، وأبطأ الوحي عن رسول الله ﷺ في أمر علي وما كان منه ، فاغتم النبي لذلك غمماً شديداً حتى روي في وجهه ، وكف عن النساء من الهم والغم ، فقال بعضهم لبعض : لعله قد نعت إليه نفسه أو عرض له مرض ، فقالوا لأبي ذر : قد نعلم منزلتك من رسول الله ، وقد ترى ما به ، فنحن نحب أن نعلم لنا أمره ، فسأل أبو ذر النبي ﷺ عن ذلك ، فقال النبي : ما نعت إلي نفسي وإني لميت ، وما وجدت في أمتي إلا خيراً ، وما بي من مرض ، ولكن من شدة وجددي بعلي بن أبي طالب ﷺ وإبطاء الوحي عني في أمره ، فإن الله عز وجل قد أعطاني في علي ﷺ تسع لحصال : ثلاثة لديني ، واثنان لأخوتي واثنان أنا منهما آمن ، واثنان أنا منهما خائف ،

(١) سورة التوبة ، الآيات : ١ - ٣ .

(٢) سورة التوبة ، الآية : ٥ .

وقد كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة استقبل القبلة بوجهه إلى طلوع الشمس يذكر الله عز وجل ، وتقدم علي بن أبي طالب عنه خلف النبي ﷺ ويستقبل الناس بوجهه فيستأذنون في حوائجهم ، وبذلك أمرهم رسول الله ﷺ فلما توجه علي بن عبد الله إلى ذلك الوجه لم يجعل رسول الله مكان علي لأحد ، وكان رسول الله ﷺ إذا صلى وسلم استقبل الناس بوجهه فأذن للناس . فقام أبو ذر فقال : يا رسول الله لي حاجة ، قال : انطلق في حاجتك . فخرج أبو ذر من المدينة يستقبل علي بن أبي طالب بنى فلما كان ببعض الطريق إذا هو براكب مقبل على ناقته ، فإذا هو علي فاستقبله والتزمه وقبله وقال : بأبي أنت وأمي أقصد في مسيرك حتى أكون أنا الذي أبشر رسول الله ﷺ فإن رسول الله من أمرك في غم شديد وهم ، فقال له علي بنى : نعم ، فانطلق أبو ذر مسرعاً حتى أتى النبي ﷺ فقال : البشري ، قال : وما بشرك يا أبا ذر ؟ قال : قدم علي بن أبي طالب بنى فقال له : لك بذلك الجنة ، ثم ركب النبي ﷺ وركب معه الناس فلما رآه أناخ ناقته ، ونزل رسول الله ﷺ فتلقاه والتزمه وعانقه ووضع يده على منكب علي وبكى النبي فرحاً بقدومه وبكى علي معه ، ثم قال له رسول الله ﷺ : ما صنعت بأبي أنت وأمي ؟ فإن الرحي أبطأ علي في أمرك ، فأخبره بما صنع ، فقال رسول الله ﷺ كان الله عز وجل أعلم بك مني حين أمرني بإرسالك .

عن الصادق بنى قال : خطب علي فاخترط سيفه وقال : لا يطوفن بالبيت عريان ، ولا يحجن البيت مشرك ، ومن كان له مدة فهو إلى مدته ، ومن لم يكن له مدة فمدته أربعة أشهر - زيادة في سند الموصلي - : ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة وهذا هو الذي أمر الله تعالى به إبراهيم بنى حين قال : ﴿ وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود ﴾ (١) فكان الله تعالى أمر إبراهيم الخليل بالنداء أولاً قوله : ﴿ وأذن في الناس بالحج ﴾ (٢) وأمر

(١) سورة البقرة ١ الآية : ١٢٥ .

(٢) سورة الحج ٤ الآية : ٢٧ .

الولي بالتداء آخراً قوله : ﴿وأذان من الله ورسوله﴾<sup>(١)</sup> قال السدي وأبو مالك وابن عباس وزين العابدين **منته** : الأذان علي بن أبي طالب الذي نادى به .

### علي (ع) يكسر الأصنام :

روى أبو بكر الشيرازي . . . عن أبي هريرة قال : قال لي جابر بن عبد الله : دخلنا مع النبي مكة ، وفي البيت وحوله ثلاثمائة وستون صنماً فأمر بها رسول الله ﷺ فألقيت كلها لوجوهها ، وكان علي البيت صنم طويل يقال له (هبل) فنظر النبي ﷺ إلى علي **منته** وقال له : يا علي تركب (تصعد) أو أركب عليك لألقي هبل عن ظهر الكعبة ؟ قلت : يا رسول الله بل تركبني فلما جلس علي ظهري لم أستطع حمله لثقل الرسالة ، قلت : يا رسول الله بل أركبك ، فضحك ونزل وطأطأ لي ظهره واسنوت عليه ، فوالذي فلق الحبة وبرىء النسمة لو أردت أن أمسك السماء لمسكتها بيدي !! فألقيت هبل عن ظهر الكعبة ، فأنزل الله تعالى : ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل﴾<sup>(٢)</sup> .

وروى أحمد بن حنبل وأبو بكر الخطيب بإسناده عن علي بن أبي طالب **منته** قال : إنطلق بي رسول الله ﷺ إلى الأصنام فقال : اجلس ، فجلست إلى جنب الكعبة ثم صعد رسول الله علي منكبي ثم قال لي : إنهض بي إلى الصنم ، فنهضت به ، فلما رأى ضعفي عنه قال : اجلس فجلست وأنزلته عني ، وجلس لي رسول الله ﷺ ثم قال لي : إصعد يا علي ، فصعدت علي منكبه ثم نهض بي رسول الله ﷺ فلما نهض بي خيل لي أنني لو شئت نلت السماء وصعدت على الكعبة ، وتنحى رسول الله ﷺ فألقيت صنمهم الأكبر صنم قريش ، وكان من نحاس موتداً بأوتاد من حديد إلى الأرض .

(١) سورة التوبة + الآية : ٣ .

(٢) سورة الإسراء + الآية : ٨١ .

الحديث بصورة أخرى : روى إسماعيل بن محمد الكوفي في خير طويل عن ابن عباس أنه كان صنم لخزاعة من فوق الكعبة ، فقال له النبي ﷺ : يا أبا الحسن إنطلق بنا نلقي هذا الصنم عن البيت ، فانطلقا ليلاً فقال له : يا أبا الحسن إرق علي ظهري ، وكان طول الكعبة أربعين ذراعاً ، فحمله رسول الله ﷺ فقال : انتهيت يا علي ؟ قال : والذي بعثك بالحق لو هممت أن أمس السماء بيدي لمستها . واحتمل الصنم وجلد به الأرض فتقطع قطعاً ، ثم تعلق بالميزاب وتخلى بنفسه إلى الأرض ، فلما سقط ضحك ، فقال النبي ﷺ : ما يضحكك يا علي أضحكك الله سنك ؟ قال : ضحكك يا رسول الله تعجباً من أني رميت بنفسي من فوق البيت إلى الأرض فما ألت ولا أصابني وجع ! فقال : كيف تألم يا علي أو يصيبك وجع إنما رفعك محمد وأنزلك جبرئيل . .

وفي علل الشرائع وجامع الأخبار عن محمد بن حرب الهلالي أمير المدينة قال : سألت جعفر بن محمد والصادق عليه السلام فقلت له : يا ابن رسول الله في نفسي مسألة أريد أن أسألك عنها . فقال : إن شئت أخبرتك بمسألتك قبل أن تسألني وإن شئت فاسأل قال قلت له : يا ابن رسول الله وبأي شيء تعرف ما في نفسي قبل سؤالي ؟ فقال بالتوسم والتفرس ، أما سمعت قول الله عز وجل : ﴿ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ (١) وقول رسول الله ﷺ : « انقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » ؟ قال : فقلت له : يا ابن رسول الله فأخبرني بمسألتي قال : أردت أن تسألني عن رسول الله لم يطق حمله علي عليه السلام عند حط الأصنام من سطح الكعبة مع قوته وشدته ومع ما ظهر منه في قلع باب القوم بخيبر والرمي به إلى ورائه أربعين ذراعاً ؟ وكان لا يطيق حمله أربعون رجلاً ؟ وقد كان رسول الله ﷺ يركب الناقة والفرس والحصار وركب البراق ليلة المعراج وكل ذلك دون علي في القوة والشدة ؟ قال : فقلت له : عن هذا والله أردت أن أسألك يا ابن

(١) سورة الحجر ، الآية : ٧٥ .

رسول الله فأخبرني . فقال عليه السلام : إن علياً برسول الله تشرف ، وبه ارتفع وبه وصل إلى أن أطفأ نار الشرك وأبطل كل معبود من دون الله عز وجل ولو علاه النبي صلى الله عليه وسلم لحظ الأصنام لكان بعلي مرتفعاً وشريفاً واصلاً إلى حظ الأصنام ، ولو كان ذلك كذلك لكان أفضل منه ، ألا ترى أن علياً عليه السلام قال : «لما علوت ظهر رسول الله شرفت وارتفعت حتى لو شئت أن أنال السماء لنتهاه ؟ أما علمت أن المصباح هو الذي يهتدى به في الظلمة وانبعث فرعه من أصله وقد قال علي عليه السلام : «أنا من أحمد كالضوء من الضوء !» .

### حديث سد الأبواب :

في البحار ج ٩ عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بنى مسجده بالمدينة وأشرع بابه وأشرع المهاجرون والأنصار أبوابهم أراد الله عز وجل إبانة محمد وآله الأفضلين بالفضيلة ، فنزل جبرئيل عليه السلام عن الله : بأن سدوا الأبواب عن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل بكم العذاب ، فأول من بعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم كان العباس ، وكان الرسول معاذ بن جبل ، ثم مر العباس بضاطمة عليها السلام فرآها قاعدة على بابها وقد أقعدت الحسن والحسين عليهما السلام فقال لها : ما بالك قاعدة ؟ انظروا إليها كأنها لبوءة بين يديها شبلاها ! تظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج عمه ويدخل ابن عمه ! فمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها : ما بالك قاعدة ؟ فقالت : أنتظر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسد الأبواب ، فقال عليه السلام : إن الله تعالى أمرهم بسد الأبواب واستثنى منهم رسوله وأنتم نفس رسول الله ، ثم إن عمر بن الخطاب جاء فقال : إني أحب النظر إليك يا رسول الله إذا مررت إلى مصلاك ، فأذن لي في خوذة (فرجة) أنظر إليك منها !

فقال : قد أبى الله ذلك ، فقال : فمقدار ما أضع عليه وجهي ، قال قد أبى الله ذلك ، قال : فمقدار ما أضع عليه عيني ، فقال : قد أبى الله

ذلك ولو قلت : فدر طرف إبرة لم آذن لك ، والذي نفسي بيده ما أنا  
 أخرجتكم ولا أدخلتكم ولكن الله أدخلهم وأخرجكم . ثم قال : لا ينبغي  
 لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت في هذا المسجد جناً إلا محمد  
 وعلي وفاطمة والحسن والحسين والمتجيبون من آلهم الطيبون من  
 أولادهم . .

### الحديث بلفظ آخر :

حذيفة بن أسيد الغفاري قال : لما قدم أصحاب النبي ﷺ المدينة  
 لم تكن لهم بيوت فكانوا يبيتون في المسجد ، فقال لهم النبي ﷺ : لا  
 تبيتوا في المسجد فتحتلموا ، ثم إن القوم بنوا بيوتاً حول المسجد وجعلوا  
 أبوابها إلى المسجد ، وإن النبي ﷺ بعث إليهم معاذ بن جبل فنأى أبا  
 بكر فقال : إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تخرج من المسجد وتسد بابك ،  
 فقال : سمعاً وطاعة . فسُدَّ بابه وخرج من المسجد ، ثم أرسل إلى عمر  
 فقال : إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تسد بابك الذي في المسجد وتخرج  
 منه ، فقال : سمعاً وطاعة لله ولرسوله غير أنني أرغب إلى الله تعالى في  
 خوخة (فرجة) في المسجد . فأبلغه معاذ ما قاله عمر ، ثم أرسل إلى  
 عثمان وعنده رقية فقال : سمعاً وطاعة . فسُدَّ بابه وخرج من المسجد ، ثم  
 أرسل إلى حمزة رضي الله عنه فسُدَّ بابه وقال : سمعاً وطاعة لله ولرسوله  
 وعلي بك على ذلك متردد لا يدري أهو فيمن يقيم أو فيمن يخرج ؟ وكان  
 النبي ﷺ قد بنى له في المسجد بيتاً بين أبياته ، فقال له النبي ﷺ :  
 اسكن طاهراً مطهراً ، فبلغ حمزة قول النبي ﷺ لعلي بك فقال : يا  
 محمد تخرجنا وتمسك غلمان بني عبد المطلب فقال له نبي الله : لو كان  
 الأمر إلي ما جعلت دونكم من أحد ، والله ما أعطاه إياه إلا الله وإنك لعلي  
 خير من الله ورسوله ، أبشر ، فبشره النبي ﷺ فقتل يوم أحد شهيداً ،  
 ونفس ذلك رجال علي فوجدوا في أنفسهم ، وتبين فضله عليهم وعلي  
 غيرهم من أصحاب رسول الله ﷺ فبلغ ذلك النبي ﷺ فقام خطيباً

فقال : إن رجالاً يجلسون في أنفسهم في أن أسكن علياً في المسجد وأخرجهم والله ما أخرجهم ولا أسكته ، إن الله عز وجل أوحى إلى موسى وأخيه ﴿أَنْ تَبُوءَا لِقَوْمِكَمَا بِمِصْرَ بَيْوتاً وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾<sup>(١)</sup> وأمر موسى أن لا يسكن مسجداً ولا ينكح فيه ولا يدخله إلا هارون وذريته ، وإن علياً بمنزلة هارون من موسى وهو أخي دون أهلي ولا بحل مسجدي لأحد ينكح فيه النساء إلا علي وذريته ، فمن شاء فها هنا - وأوما بيده نحو الشام .

ولابن أبي الحديد كلام جامع يشير إلى بعض الفضائل بصورة موجزة يقول :

وكان أمير المؤمنين عليه السلام ذا أخلاق متضادة ، فمنها أن الغالب على أهل الإقدام والمغامرة والجرأة أن يكونوا ذوي قلوب قاسية وفك وتصر وجبرية ، والغالب على أهل الزهد ورفض الدنيا وهجران ملاذها والاشتغال بمواعظ الناس وتخويفهم المعاد وتذكيرهم الموت أن يكونوا ذوي رقة ولين . وضعف قلب وخور طبع ، وهاتان حالتان متضادتان وقد اجتمعتا له عليه السلام .

ومنها : أن الغالب على ذوي الشجاعة وإراقة الدماء أن يكونوا ذوي أخلاق مبعية وطباع وحشية ، وكذلك الغالب على أهل الزهادة وأرباب الوعظ والتذكير ورفض الدنيا أن يكونوا ذوي إنقباض في الأخلاق وعبوس في الوجوه ونفار من الناس واستيحاش .

وعلي عليه السلام كان أشجع الناس وأعظمهم إراقة للدم ، وأزهد الناس وأبعدهم عن ملاذ الدنيا وأكثرهم وعظاً وتذكيراً بأيام الله ومثلاته وأشدهم اجتهاداً في العبادة ، وأدأباً لنفسه في المعاملة .

وكان مع ذلك اللطف العالم أخلاقاً ، وأسفرهم وجهاً ، وأكثرهم بشراً

(١) سورة يونس ، الآية : ٨٧ .

وأوفاهم هشاشة وبشاشة ، وأبعدهم عن انقباض موحش أو خلق نافر ، أو تجهم مباعد ، أو غلظة وفظاظة ينفر معهما نفس ، أو يتكدر معهما قلب ، حتى عيب بالدعابة .

ولما لم يجدوا فيه مغمزاً ولا مطعنأً تعلقوا بها (الدعابة) ، واعتمدوا في التنفير عنه عليها ، وهذا من عجائبه وغرائبه اللطيفة .

ومنها : أن الغالب على شرفاء الناس ومن هو من أهل السيادة والرئاسة أن يكون ذا كبرٍ وتبٍ وتعظم ، وخصوصاً إذا أضيف إلى شرفه من جهة النسب شرفه من جهات أخرى .

وكان أمير المؤمنين عليه السلام في مصاص الشرف ومعدنه ، لا شك عدو ولا صديق أنه أشرف خلق الله نسباً بعد ابن عمه صلوات الله عليه وقد حصل له الشرف غير شرف النسب جهات كثيرة متعددة ، وقد ذكرنا بعضها ومع ذلك كان أشد الناس تواضعاً لصغير وكبير ، وألينهم عريكة ، وأسمحهم خلقاً ، وأبعدهم عن الكبر ، وأعرفهم بحق .

وكانت حاله هذه حاله في كل زمانيه : زمان خلافته ، والزمان الذي قبله ، ما غيرت سجيته الإمرة ، ولا أحالت خلقه الرئاسة وكيف تحيل الرئاسة خلقه وما زال رئيساً ؟

وكيف تغير الإمرة سجيته وما برح أميراً ؟

لم يستفد بالخلافة شرفاً ، ولا اكتسب بها زينة ، بل هو كما قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : ذكر ذلك الشيخ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي في تاريخه المعروف (بالمستظم) قال : تذاكروا عند أحمد خلافة أبي بكر وعلي وقالوا ، وأكثروا فرغ رأسه إليهم وقال :

قد أكثرتم ، إن علياً لم تزنه الخلافة لكنه زانها . وهذا الكلام دال بفحواه ومفهومه على أن غيره ازداد بالخلافة وتمت نقيصته ، وأن علياً لم يكن فيه نقص يحتاج إلى أن يتم بالخلافة وكانت الخلافة ذات نقص في

نفسها ، فتمّ نقصها بولايته إياها .

ومنها : إن الغالب على ذوي الشجاعة وقتل الأنفس وإراقة الدماء أن يكونوا قليلي الصفح ، بعيدي العفو ، لأن أكبادهم واغرة ، وقلوبهم ملتهبة ، والقوة الغضبية عندهم شديدة ، وقد علمت حال أمير المؤمنين عليه السلام في كثرة إراقة الدماء وما عنده من الحلم والصفح ومقابته هوى النفس ، وقد رأيت فعله يوم الجمل .

ومنها : ما رأينا شجاعاً جواداً قط . . . وقد علمت حال أمير المؤمنين في الشجاعة والسخاء كيف هي ؟

وهي من أعاجيبه عليه السلام . . . إلى آخر كلامه .

## علي (ع) يوم الغدير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما يرضى وسلام على النبي المصطفى وأخيه المرتضى وآله .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ (١) .

أيها الإخوة كلامنا - الليلة - حول واقعة الغدير ، تلك الواقعة التي أكمل الله فيها الدين وأتم فيها النعمة ، يوم تتويج الإمام المرتضى عليه السلام بتاج الخلافة العظمى والإمامة الكبرى .

وهذا البحث من أهم البحوث الإسلامية ، وهنا مفترق الطرق بين المذاهب الإسلامية ، ويمكن لنا أن نقول : إن الكتب والمؤلفات التي كتبت حول هذا الموضوع بالذات وحول الإمامة والخلافة بصورة عامة - قد تجاوزت العد والضبط والإحصاء ، من إثبات أو رد أو مناقشة وما يدور في هذا الفلك .

ولا تسألوا عن الأرواح التي زهقت في سبيل هذه الواقعة ومضاعفاتها

---

(١) سورة العائدة ، الآية : ٦٧ .

في خلال أربعة عشر قرناً ، وما هناك من مآسي وكوارث ومصائب ومجازر وفتن تشعب القارىء وتجهد السامع . وحيث أن الإمامة - عندنا - تالية للنبوة من حيث كونها وظيفة إلهية ومنصب رباني ليس لأحد حق الانتخاب أو الرد فيها ، كما قال تعالى : ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة﴾<sup>(١)</sup> ولهذا لا بأس بذكر هذه الواقعة وما يتعلق بها من أقوال الصحابة وأهل البيت والتابعين وتابعيهم من المحدثين والمفسرين والمؤرخين والشعراء والأئمة والأعلام والمحافظ .

ومن العجب أن عدداً من النصارى ذكروا هذه الحادثة نظماً ونشراً ولعلنا نشير إلى بعض أقوال هؤلاء بصورة موجزة رعاية للاختصار .

ومن أعجب العجب أن بعض المسلمين بعد إقامة الأدلة الكافية والبراهين الشافية والحجج القاطعة على خلافة أمير المؤمنين عليه السلام وبعد المناقشة في سند الحديث ودلالة متنه ومفهومه قال : إن علياً هو الأفضل ولكن غيره أصح !! سبحان الله ، هذه كلمة تُضحك الشكلى ! لأن معناها ؛ إن الله ورسوله ما كانا يعرفان الأصلح ؟ أو كانا يعرفانه ولكنهما قدما غير الأصلح ، نعوذ بالله من الباطل .

والأفضل أن نذكر الواقعة بصورة موجزة ثم ننظر أين ينتهي بنا الكلام ؟ وأقوال المفسرين والمحدثين تختلف من حيث الإيجاز والتفصيل ، ولكن المفاد واحد ، وهذه صورة الواقعة :

لما قضى رسول الله مناسكته وانصرف راجعاً إلى المدينة ومعه من كان من الجموع الغفيرة ووصل إلى غدِير خم من الجحفة التي تشعب فيها طرق المدنيين والمصريين والعراقيين وذلك يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة نزل إليه جبرئيل الأمين عن الله بقوله : ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾<sup>(٢)</sup> الآية . وأمره أن يقيم علياً علماً للناس ويبلغهم ما

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٣٦ .

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٦٧ .

نزل فيه من الولاية وفرض الطاعة على كل أحد ، وكان أوائل القوم قريياً من الجحفة فأمر رسول الله أن يرد من تقدم منهم ، ويحبس من تأخر عنهم في ذلك المكان ونهى عن سمرة خمس متقاربات دوحات عظام أن لا ينزل تحتها أحد ، حتى إذا أخذ القوم منازلهم فقم (كنس) ما تحتها حتى إذا نودي بالصلاة صلاة الظهر عمد إليهن فصلى بالناس تحتها ، وكان يوماً هاجراً يضع الرجل بعض رداءه على رأسه وبعضه تحت قدميه من شدة الرمضاء ، وظلل لرسول الله بثوب على شجرة سمرة من الشمس ، فلما انصرف صلى الله عليه وسلم من صلاته قام خطيباً وسط القوم على أكتاف الإبل وأسمع الجميع ، رافعاً عقيرته فقال :

الحمد لله ونستعينه ونؤمن به ، ونتوكل عليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، الذي لا هادي لمن ضل ، ولا مضل لمن هدى وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله - أما بعد - : أيها الناس قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلا مثل نصف عمر النبي قبله ، وإني أوشك أن أدعى فأجيب ، وإني مسؤول وأنتم مسؤولون ، فماذا أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت ونصحت وجاهدت فجزاك الله خيراً . قال : ألسنتم تشهدون أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن جنته حق وناره حق وأن الموت حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ؟ قالوا : بلى نشهد بذلك ، قال : اللهم أشهد ثم قال : أيها الناس ألا تسمعون ؟ قالوا : نعم . قال : فإني فرط على الحوض ، وأنتم واردون علي الحوض ، وإن عرضة ما بين صنعاء وبصرى فيه أقذاح عدد النجوم من فضة فسانظروا كيف تخلفوني في الثقليين . فنأدى مناد : وما الثقليان يا رسول الله ؟ قال : الثقل الأكبر كتاب الله طرف بيد الله عز وجل وطرف بأيديكم فتمسكوا به لا تضلوا ، والآخر الأصغر عترتي ، وإن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فسألت ذلك لهما ربي ، فلا تقدموهما فتهلكما ، ولا تقصروا

عنهما فتهلكوا - ثم أخذ بيد علي فرفعها حتى رُئي بياض آباطهما وعرفه القوم أجمعون - ، فقال : أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم ؟ فمن كنت مولاه فعلي مولاه ، يقولها ثلاث مرات ، وفي لفظ أحمد إمام الحنابلة : أربع مرات ثم قال : اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وأحب من أحبه ، وأبغض من أبغضه ، وانصر من نصره ، وأخذل من خذله ، وأدر الحق معه حيث دار ، ألا فليبلغ الشاهد الغائب .

وقد ذكروا لرسول الله ﷺ خطبة مفصلة جداً رواها الطبرسي في الاحتجاج ، ورواها غيره في كتبهم بغير تفصيل ، وكيف كان لما فرغ رسول الله ﷺ من خطبته نزل وأمر المسلمين أن يبايعوا علياً بالخلافة ويسلموا عليه بإمرة المؤمنين .

فتهاقت عليه الناس يبايعونه ، وجاء الشيخان : أبو بكر وعمر إلى رسول الله ﷺ وقالوا : هذا أمر منك أم من الله ؟ فقال النبي : وهل يكون هذا عن غير أمر الله ؟ نعم أمر من الله ورسوله فقاما وبايعا ، فقال عمر : السلام عليك يا أمير المؤمنين بخ بخ لك لقد أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة !!



هذه الواقعة من أشهر الحوادث بين المفسرين والمحدثين والمؤرخين ، وتعتبر عندهم من أصح الأحاديث لتواتر الروايات الواردة حول الحديث .

أما الصحابة الذين شهدوا بالغدير فالمشهور منهم مائة ونيف وإليك أسماؤهم حسب الحروف :

- |  |  |
|--|--|
| ٤ - أبو فضالة الأنصاري .<br>٥ - أبو قدامة الأنصاري .<br>٦ - أبو عمرة بن عمر بن محضر الأنصاري . | ١ - أبو هريرة .<br>٢ - أبو ليلى الأنصاري .<br>٣ - أبو زينب بن عوف الأنصاري . |
|--|--|

- ٧ - أبو الهيثم بن التيهان .  
٨ - أبو رافع القبلي .  
٩ - أبو خويب بن خويلد .  
١٠ - أبو بكر بن أبي قحافة .  
١١ - أسامة بن زيد .  
١٢ - أسعد بن زرارة الأنصاري .  
١٣ - أبي بن كعب الأنصاري .  
١٤ - أسماء بنت عميس .  
١٥ - أم كلثم زوجة النبي ﷺ .  
١٦ - أم هاني بنت أبي طالب .  
١٧ - براء بن عازب الأنصاري .  
١٨ - أبو حمزة أنس بن مالك .  
١٩ - بريرة بن الخصيب .  
٢٠ - أبو سعيد ثابت بن وديعة الأنصاري .  
٢١ - جابر بن سمرة .  
٢٢ - جابر بن عبد الله الأنصاري .  
٢٣ - جبلة بن عمرو الأنصاري .  
٢٤ - جبير بن مطعم .  
٢٥ - جرير بن عبد الله .  
٢٦ - أبو ذر جندب بن جنادة .  
٢٧ - أبو جندبة جندع بن عمرو .  
٢٨ - حبة بن جرير العرني .  
٢٩ - حبشي بن جنادة .  
٣٠ - حبيب بن بديل .  
٣١ - حذيفة بن أسيد .  
٣٢ - حذيفة بن اليمان .  
٣٣ - حسان بن ثابت .  
٣٤ - الإمام الحسن بن علي رضي الله عنه .  
٣٥ - الإمام الحسين بن علي رضي الله عنه .  
٣٦ - أبو أيوب الأنصاري .  
٣٧ - خالد بن الوليد .  
٣٨ - خزيمة بن ثابت .  
٣٩ - خويلد بن عمرو الخزاعي .  
٤٠ - رفاعة بن عبد المنذر الأنصاري .  
٤١ - زبير بن العوام .  
٤٢ - زيد بن ثابت .  
٤٤ - زيد بن عبد الله الأنصاري .  
٤٥ - زيد بن يزيد بن شراحيل الأنصاري .  
٤٦ - سعد بن أبي وقاص .  
٤٧ - سعد بن جنادة .  
٤٨ - سعد بن عبادة .  
٤٩ - أبو سعيد الخدري .  
٥١ - سعيد بن سعد بن عبادة الأنصاري .  
٥٢ - سلمان الفارسي .  
٥٣ - سمرة بن جندب .  
٥٤ - سلمة بن عمرو .  
٥٥ - سهل بن ساعد الأنصاري .  
٥٧ - أبو أمامة الصني بن عجلان .  
٥٨ - ضميرة الأسدي .  
٥٩ - طلحة بن عبيد الله .  
٦٠ - عامر بن عمير .  
٦١ - عامر بن ليلى .

- ٦٢ - عامر بن وائلة .  
٦٣ - عامر بن ليلي العقاري .  
٦٤ - هاتشة بنت أبي بكر .  
٦٥ - عباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ .  
٦٦ - عبد الرحمن بن عبد رب الأنصاري .  
٦٧ - عبد الرحمن بن عوف .  
٦٨ - عبد الرحمن بن يعمر .  
٦٩ - عبد الله بن أبي عبد الأسد المخزومي .  
٧٠ - عبد الله بن يديل .  
٧١ - عبد الله بن بشير .  
٧٢ - عبد الله بن ثابت الأنصاري .  
٧٣ - عبد الله بن جعفر بن أبي طالب .  
٧٤ - عبد الله بن حنطب .  
٧٥ - عبد الله بن ربيعة .  
٧٦ - عبد الله بن عباس .  
٧٧ - عبد الله بن أبي أوفى .  
٧٨ - عبد الله بن عمر بن الخطاب .  
٧٩ - عبد الله ياميل .  
٨٠ - عثمان بن عفان .  
٨١ - عدي بن حاتم .  
٨٢ - عبيد بن عازب الأنصاري .  
٨٣ - عطية بن يسر .  
٨٤ - عقبه بن عامر .  
٨٥ - علي بن أبي طالب عليه السلام .
- ٨٦ - عمار بن ياسر .  
٨٧ - عمارة الخزرجي .  
٨٨ - عمر بن أبي سلمة .  
٨٩ - عمر بن الخطاب .  
٩٠ - عمران بن حصين .  
٩١ - عمرو بن الحمق الخزاعي .  
٩٢ - عمرو بن شراحيل .  
٩٣ - عمرو بن العاص .  
٩٤ - عمرو بن مرة .  
٩٥ - فاطمة الزهراء بنت النبي ﷺ .  
٩٦ - فاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب .  
٩٧ - قيس بن ثابت .  
٩٨ - قيس بن سعد بن عبادة .  
٩٩ - كعب بن عجرة .  
١٠٠ - مالك بن الحويرث .  
١٠١ - المقداد بن عمرو الكندي .  
١٠٢ - ناجية بن عمرو الخزاعي .  
١٠٣ - أبو برزة فضلة بن عتبة .  
١٠٤ - نعمان بن عجلان .  
١٠٥ - هاشم المرقال .  
١٠٦ - وهب بن حمزة .  
١٠٧ - وهب بن عبد الله .  
١١٨ - وحشي بن حرب .  
١١٩ - يعلى بن مرة .

## إِكْمَالُ الدِّينِ

ولما انتهت البيعة لأمر المؤمنين منك هبط جبرئيل على النبي ﷺ بهذه الآية : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾<sup>(١)</sup> .

أما المفسرون والمحدثون من الشيعة فقد انفقت كلمتهم على نزول هذه الآية يوم الغدير بعد انتهاء البيعة لعليؑ وأما من حفاظ أهل السنة ومحدثيهم فقد روى :

- ١ - محمد بن جرير الطبري في كتاب : (الولاية) .
- ٢ - الحافظ ابن مردويه روى عنه في تفسير ابن كثير .
- ٣ - الحافظ أبو نعيم الأصبهاني روى في كتابه : (ما نزل من القرآن في علي) .
- ٤ - أبو بكر الخطيب البغدادي في تاريخه ج ٨ .
- ٥ - أبو سعيد السجستاني في كتابه (الولاية) .
- ٦ - الحافظ أبو القاسم الحاكم الحسكاني في كتابه (دعاة الهداة إلى أداء حق الموالاتة) .

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٣ .

- ٧- المحافظ أبو القاسم بن عساكر .
- ٨- أبو الحسن بن المغازل روى في مناقبه .
- ٩- أخطب الخطباء الخوارزمي روى في المناقب .
- ١٠- أبو الفتح النطنزي روى في كتابه الخصائص العلوية .
- ١١- أبو حامد سعد الدين الصالحاني روى عنه شهاب الدين أحمد في توضيح الدلائل على ترجيح الفضائل .
- ١٢- سبط ابن الجوزي ذكر في تذكرته .
- ١٣- شيخ الإسلام الحموي روى في فرائد السمطين .
- ١٤- عماد الدين ابن كثير القرشي روى في تفسيره .
- ١٥- جلال الدين السيوطي الشافعي في الدر المشور وفي الإتقان .
- ١٦- منير محمد البديخي روى في كتاب مفتاح النجاة .

## نُزُولُ الْعَذَابِ

انتشر خبر واقعة الغدير، وشاع وطارفي البلاد فيبلغ ذلك الحارث بن النعمان الفهري ، فأتى رسول الله ﷺ، على ناقه له حتى أتى الأبطح فنزل عن ناقته فأناجها ، فقال : يا محمد أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله ، وأنتك رسول الله فقبلناه ، وأمرتنا أن نصلي خمساً فقبلناه منك وأمرتنا أن نصوم شهراً فقبلنا ، وأمرتنا بالحج فقبلنا ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبع ابن عمك ، ففضلته علينا وقلت : من كنت مولاه فعلي مولاه ، فهذا شيء منك أم من الله عز وجل ؟ فقال : والذي لا إله إلا هو إن هذا من الله . فولى الحارث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول : اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم . فما وصل إليها - راحلته - حتى رماه الله تعالى بحجر فقط على هامته وخرج من دبره وقتله ، وأنزل الله عز وجل : ﴿سأل سائل بعذاب واقع ، للكافرين ليس له دافع ، من الله ذي المعارج﴾ (١) .

الذين روى نزول هذه الآية في شأن الحارث بن النعمان هم :

١ - المحافظ أبو عبيد الهروي في تفسيره غريب القرآن .

(١) سورة المعارج : الآيات : ١ - ٣ .

- ٢ - أبو بكر النقاش الموصلي في تفسيره شفاء الصدور .
- ٣ - أبو إسحاق الثعلبي النيسابوري في تفسيره الكشف والبيان .
- ٤ - الحاكم أبو القاسم الحسكاني في كتاب (دعاة الهداة) .
- ٥ - أبو بكر يحيى القرطبي في تفسيره .
- ٦ - سبط ابن الجوزي الحنفي رواه في تذاكره .
- ٧ - إبراهيم بن عبد الله اليمني الشافعي روى في كتابه الاكتفاء .
- ٨ - الحموي في فرائد السمطين .
- ٩ - الشيخ محمد الزرندي الحنفي روى في كتابه معارج الوصول ودرر السمطين .
- ١٠ - شهاب الدين أحمد في كتابه هداية السعداء .
- ١١ - ابن الصباغ المالكي في كتابه الفصول المهمة .
- ١٢ - نور الدين السمهودي الشافعي رواه في جواهر العقدين .
- ١٣ - أبو السعود العمادي في تفسيره .
- ١٤ - شمس الدين الشربيني الشافعي في تفسيره السراج المنير .
- ١٥ - جمال الدين الشيوازي في كتابه الأربعين .
- ١٦ - شيخ زيد الدين المناوي الشافعي في كتابه فيض القدير .
- ١٧ - السيد ابن العبدروس الحسيني اليمني في كتابه العقيد النبوي والسير المصطفوي .
- ١٨ - الشيخ أحمد ابن باكير الشافعي ذكره في وسيلة المآل في عد مناقب الأمل .
- ١٩ - الشيخ عبد الرحمن الصفوي روى في نزهته .
- ٢٠ - الشيخ برهان الدين علي الحلبي الشافعي في السيرة الحلبية .
- ٢١ - السيد محمود بن محمد القادري المدني قال في تأليفه الصراط السوي في مناقب النبي .
- ٢٢ - شمس الدين الحنفي الشافعي في شرح الجامع الصغير للسيوطي .
- ٢٣ - الشيخ محمد صدر العالم سبط الشيخ أبي الرضا قال في كتابه معارج

العلی فی مناقب المرتضی .

- ٢٤ - الشيخ محمد محبوب العالم رواه في تفسيره المعروف بتفسير شاهي .
- ٢٥ - أبو عبد الله الزرقاني المالكي حكاه في شرح المواهب اللدنية .
- ٢٦ - أحمد بن عبد القادر الشافعي ذكره في كتابه ذخيرة المال .
- ٢٧ - السيد أحمد بن إسماعيل اليماني ذكره في كتابه الروضة الندية .
- ٢٨ - السيد مؤمن الشبلنجي الشافعي ذكره في كتابه نور الأبصار .
- ٢٩ - الأستاذ الشيخ محمد عبده المصري في تفسير المنار .

أما المحدثون والمفسرون من الشيعة فلا يشك منهم أحد في نزول هذه الآية في شأن الحرث أو الحارث .

### معاني المولى :

ذكر اللغويون لكلمة (المولى) عشرين معنى ، وهذا هو سبب المناقشة في مفهوم الحديث ، فيقول أصحاب القلوب المريضة : لم يظهر لنا المقصود من كلمة «مولاه» ، ونجيب عن هذه المناقشة أو التشكيك بهذه الرواية المفسرة لمعنى المولى ، فقد روي أن عماراً سأل رسول الله ﷺ عن معنى قوله : «من كنت مولاه فعلي مولاه» قال ﷺ : الله مولاي : أولى بي من نفسي لا أسر لي معه ، وأنا مولى المؤمنين : أولى بهم من أنفسهم ، لا أمر لهم معي ، ومن كنت مولاه : أولى به من نفسه لا أمر له معي ، فعلي مولاه : أولى به من نفسه لا أمر له معه .

سبحان الله ! ما يصنع رسول الله ﷺ بعد هذا التفصيل والتشريح والبيان الكافي الموضح لكلامه والمبين لمقصوده ؟

وهل أبقى لأحد شكاً ؟ وهل بقيت لأحد حجة على الله ؟ بل أتم الحجة على الجميع ، وأدى رسالة ربه على أحسن ما يرام ، وأفضل ما يمكن .

ولسيدنا الحجة المغفور له السيد عبد الحسين شرف الدين (عليه

الرحمة) بحث لطيف وتحقيق ظريف حول كلمة المولى تذكره تمييزاً  
للفائدة :

«فلو سألكم فلاسفة الأغيار عما كان منه يوم غدِير خم فقال لماذا منع  
تلك الألوْف المؤلِّفة يومئذ عن المسير؟

وعلى مَ حِسهم في تلك الرمضاء بهجير؟

وفيم اهتم بإوجاع من تقدم منهم والحاق من تأخر؟

ولم أنزلهم جميعاً في ذلك العراء على غير كلابٍ ولا ماء؟

ثم خطبهم عن الله عز وجل في ذلك المكان الذي منه يتفرقون ليبلغ  
الشاهد منهم الغائب ، وما المقتضي لنعي نفسه إليهم في مستهل خطابه ؟  
إذ قال : «يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب ، وإني مسؤول وإنكم  
مسؤولون» وأي أمر يُسأل النبي ﷺ ، عن تبليغه ؟ وتُسأل الأمة عن طاعتها  
فيه ؟

ولماذا سألتهم فقال : أستم تشهدون أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً  
عبده ورسوله ، وأن جنته حق ، وأن ناره حق ، وأن الموت حق ، وأن  
البعث حق بعد الموت ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من  
في القبور؟ قالوا : بلى نشهد بذلك ولماذا أخذ حيثد على سبيل الفور بيد  
علي فرفعها إليه حتى بان بياض إبطيه ؟ فقال : يا أيها الناس إن الله  
مولاي ، وأنا مولى المؤمنين ، ولماذا فسر كلمته - وأنا مولى المؤمنين -  
بقوله : وأنا أولى بهم من أنفسهم ؟

ولماذا قال بعد هذا التفسير : فمن كنت مولاه فهذا مولاه ، أو من  
كنت وليه فهذا وليه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من  
نصره ، واخذل من أخذله ، ولم خصه بهذه الدعوات التي لا يليق لها إلا  
أئمة الحق وخلفاء المصدق ؟؟

ولماذا أشهدهم من قبل ، فقال : أأست أولى بكم من أنفسكم ؟

فقالوا : بلى . فقال : من كنت مولاه ، فعلي مولاه ، أو من كنت  
وليّه ، فعلي وليّه ؟

ولماذا قرن العترة بالكتاب ؟ وجعلها قدوة لأولي الألباب إلى يوم  
الحساب ؟

وفيم هذا الإهتمام العظيم من هذا النبي الحكيم ؟

وما المهمة التي احتاجت إلى هذه المقدمات كلها ؟

وما الغاية التي توخاها في هذا الموقف المشهور ؟

وما الشيء الذي أمره الله تعالى بتبليغه إذ قال عز من قائل : ﴿ يَا أَيُّهَا  
الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ  
يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ (١) وأي مهمة استوجبت من الله هذا التأكيد ؟

واقترضت الحض على تبليغها بما يشبه التهديد ؟

وأي أمر يخشى النبي الفتنة بتبليغه ؟

ويحتاج إلى عصمة الله من أذى المنافقين ببيانه ؟

أكتفم - بجدك لو سألكم عن هذا كله - تجيبونه بأن الله عز وجل  
ورسوله ﷺ إنما أرادوا بيان نصرة علي للمسلمين وصداقته لهم ، ليس  
إلا ؟ ما أراكم ترضون هذا الجواب ، ولا أتوهم أنكم ترون مضمونه جائزاً  
على رب الأرياب ، ولا على سيد الحكماء ، وخاتم الرسل والأنبياء وأنتم  
أجل من أن يصرف همه كلها ، وعزائمه بأسرها إلى تبين شيء بين لا  
يحتاج إلى بيان ، وتوضيح أمر واضح بحكم الوجدان والعيان ، ولا شك  
أنكم تنزهون أفعاله وأقواله عن أن تزدرى بها العقلاء ، أو يتقدما الفلاسفة  
والحكماء بل لا ريب في أنكم تعرفون مكانة قوله وفعله من الحكمة  
والعصمة ، وقد قال الله تعالى ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي

(١) سورة المائدة ، الآية : ٦٧ .

العرش مكين مطاع ثم أمين وما صاحبكم بمجنون ﴿١﴾ فيهتم بتوضيح الواضحات وتبيين ما هو بحكم البديهيات ، ويقدم لتوضيح هذا الراضح مقدمات أجنبية ولا ربط له بها ولا دخل لها فيه ، تعالى الله عن ذلك ورسوله علواً كبيراً وأنت - نصر الله بك الحق - تعلم أن الذي يناسب مقامه في ذلك الهجير ويليق بأفعاله وأقواله يوم الغدير ، إنما هو تبليغ عهده ، وتعيين القائم مقامه من بعده ، والقرائن اللفظية ، والأدلة العقلية ، توجب القطع الثابت الجازم بأنه عليه السلام ما أراد يومئذ إلا تعيين علي ولياً لعهده ، وقائماً مقامه من بعده ، فالحديث مع ما قد حُفَّ به من القرائن نص جلي في خلافة علي لا يقبل التأويل ، وليس إلى صرفه عن هذا المعنى من سبيل ، وهذا واضح ﴿لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ (٢) .

أما القرينة التي زعموها فجزاف وتضليل ، ولباقسة في التخليط والتحويل ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم بعث علياً إلى اليمن مرتين ، والأولى كانت سنة ثمان وفيها أرجف المرجفون به وشكوه إلى النبي بعد رجوعهم إلى المدينة ، فأنكر عليهم ذلك حتى أبصروا الغضب في وجهه ، فلم يعودوا لمثلها ، والثانية كانت سنة عشر وفيها عقد النبي له اللواء وعممه عليه السلام بيده ، وقال له : إمض ولا تلتفت . فمضى لوجهه راشداً مهدياً ، حتى أنفذ أمر النبي ، ووافاه عليه السلام في حجة الوداع ، وقد أهل بما أهل به رسول الله فأشركه عليه السلام بهديه ، وفي تلك المرة لم يرجف به مرجف ، ولا تحامل عليه مجحف ، فكيف يمكن أن يكون الحديث مسيياً عما قاله المعترضون ؟ أو مسوقاً للرد على أحد كما يزعمون . على أن مجرد التحامل على علي ، لا يمكن أن يكون مسيياً لثناء النبي عليه ، بالشكل الذي أشاد به عليه السلام على منير الحدائق يوم خم ، إلا أن يكون - والعياذ بالله - مجازفاً في أقواله وأفعاله ، وهممه وعزائمهم ، وحاشا قديسي حكيمته

(١) سورة التكويد ؛ الآيات : ١٩ - ٢٢ .

(٢) سورة ق ؛ الآية : ٣٧ .

البالغة ، فإن الله سبحانه يقول : ﴿إنه لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ وَلَا يَقُولُ كَمَا هُنَّ قَلِيلًا مَا تُذَكَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ولو أراد مجرد بيان فضله ، والرد على المتحاملين عليه ، لقال : هذا ابن عمي ، وصهري وأبو ولدي ، وسيد أهل بيتي ، فلا تؤذوني فيه ، أو نحو ذلك من الأقوال الدالة على مجرد الفضل وجلالة القدر . على أن لفظ الحديث لا يتبادر إلى الأذهان منه إلا ما قلناه ، فليكن سببه مهما كان ، فإن الألفاظ إنما تُحمل على ما يتبادر إلى الإفهام منها ، ولا يلتفت إلى أسبابها كما لا يخفى .

وأما ذكر أهل بيته في حديث الغدير ، فإنه من مؤيدات المعنى الذي قلناه ، حيث قرنهم بمحكم الكتاب وجعلهم قدوة لأولي الألباب ، فقال : إني تارك فيكم ما إن تمسكتكم به لن تضلوا : كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي . وإنما فعل ذلك لتعلم الأمة أن لا مرجع بعد نبينا إلا إليهما ، ولا معول لها من بعده إلا عليهما وحسبك في وجوب إتباع الأئمة من العترة الطاهرة إقترانهم بكتاب الله عز وجل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فكما لا يجوز الرجوع إلى كتاب يخالف في حكمه كتاب الله سبحانه وتعالى ، لا يجوز الرجوع إلى إمام يخالف في حكمه أئمة العترة ، وقوله بإئتيك : إنهما لن ينقضيا أو لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، دليل على أن الأرض لن تخلو بعده من إمام منهم ، هو عدل الكتاب ، ومن تدبر الحديث وجده يرمي إلى حصر الخلافة في أئمة العترة الطاهرة ، ويؤيد ذلك ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن زيد بن ثابت قال : قال رسول الله بإئتيك : إني تارك فيكم خليفتين : كتاب الله حيل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض الخ . . . وهذا نص في خلافة أئمة العترة بإئتيك . وأنت تعلم أن النص على وجوب إتباع العترة نص على وجوب إتباع علي ، وهو سيد العترة لا

(١) سورة الحاقة : الآيت : ٤٠ - ٤٣ .

يدافع ، وإمامها لا ينازع ، فحديث الغدير وأمثاله ، يشتمل على النص على علي تارة ، من حيث أنه إمام العترة ، المنزلة من الله ورسوله منزلة الكتاب ، وأخرى من حيث شخصه العظيم وأنه ولي كل من كان رسول الله وليه ، انتهى كلام السيد (ره) .

أقول : وقد نظم الشعراء من المسلمين وغيرهم على اختلاف لغاتهم قصائد متينة فاخرة اشتهرت على مر القرون ، تعطر بها المحافل والنواتج ، وينشدها الغادي والبادي ، وترنم بها الموالي والمغالي ، وقد ألف علماءنا موسوعات كبيرة تتضمن الكثير من أشعارهم وقصائدهم وتراجمهم ، ومن تلك الموسوعات موسوعة الغدير لشيخنا المفضل الحجة المرحوم الشيخ عبد الحسين الأميني (قدس سره) ، فلقد كانت موسوعته إحدى مصادر حديثنا في هذه الليالي .

ومن جملة الذين نظموا واقعة الغدير هو سيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقد قال :

محمد النبي أخى وصنوي	وحمزة سيد الشهداء عمي
وجعفر الذي يضحى ويمسي	يطير مع الملائكة ابن أمي
وينت محمد سكاني وعرسي	منوط لحمها بلمي ولحمي
وسبطا أحمد ولداي منها	فأيكم له سهم كسهمي
سبقتمكم إلى الإسلام طراً	على ما كان من فهمي وعلمي
فأوجب لي ولايته عليكم	رسول الله يوم غدير خم

(الآيات بصورة أخرى) . أخرج الإمام علي بن أحمد النواحدي عن أبي هريرة قال : اجتمع عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منهم أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، والفضل بن عباس ، وعمار ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو ذر ، والمقداد ، وسلمان ، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم أجمعين ، فجلسوا وأخذوا في مناقبتهم ، فدخل عليهم علي عليه السلام فسألهم فيم أنتم ؟ قالوا : نتذاكر مناقبتنا مما سمعناه من رسول

الله . فقال علي عليه السلام إسمعوا مني ثم أنشأ يقول :

لقد علم الأناس بأن سهمي      من الإسلام يفضل كل سهم  
وأحمد النبي أخي وصهري      عليه الله صلى وابن عمي  
وإني قائد للناس طراً      إلى الإسلام من عرب وعجم  
وقاتل كل منديد رئيس      وجبار من الكفار ضخم  
وفي القرآن ألزمهم ولائي      وأوجب طاعتي فرضاً بعزم  
كما هارون من موسى أخوه      كذلك أنا أخوه وذلك إسمي  
لذلك أقامني لهم إماماً      وأخبرهم به بغدير خم  
فمن منكم يعادلني بسهمي      وإسلامي ومابقتي ورحمي  
فويل ثم ويل ثم ويل      لمن يلقي الإله غداً بظلمي  
وويل ثم ويل ثم ويل      لجاحد طاعتي ومريد هضمي  
وويل للذي يشفي سفاهاً      يريد عداوتي من غير جرم

ومنهم حسان بن ثابت شاعر النبي صلى الله عليه وسلم.

ذكر طائفة كبيرة من أعلام الإمامية والسنة أنه نصب رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً يوم غدير خم بالخلافة قال حسان بن ثابت : يا رسول الله أقول في علي شعراً ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إفعل ، فقال :

يناديهم يوم الغدير نبيهم      يخم وأسمع بالنبي منادياً  
وقد جاءه جبريل عن أمر ربه      بأنك معصوم فلا تك وانياً  
وبلغهم ما أنزل الله ربهم      إليك ولا تخشى هناك الأعاديأ  
فقام به إذ ذاك رافع كفه      يكف علي معلن الصوت عاليأ  
فقال: فمن مولاكم ووليكم؟      فقالوا ولم يبدوا هناك تعامياً  
إلهك مولانا وأنت ولينا      ولن تجدن فينا لك اليوم عاصياً  
فقال له : قسم يا علي فلإني      رضبتك من بعدي إماماً وهادياً  
فمن كنت مولاه فهذا وليه      فكونوا له أنصار صدق موالياً  
هناك دعا: اللهم والي وليه      وكن للذي عادى علياً معادياً

فيا رب أنصرنا صريه لتصرهم إمام هدى كالسدر يجلو الدياتجيا  
فلما فرغ حسان مؤيداً من هذا القول قال له النبي ﷺ: لا تزال يا  
حسان مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك .

كانت واقعة الغدير من أشهر الأمور الثابتة عند الصحابة والتابعين ،  
ولهذا روي عنهم ذلك نظماً ونثراً ، ويمكن لنا أن نقول : إن ثبوت الخلافة  
والولاية لعلي عليه السلام عند الصحابة كان كثبوت نبوة محمد ﷺ عند  
المسلمين .

ومنهم : قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري سيد الخزرج ، قام بين  
يدي أمير المؤمنين عليه السلام بصفين وقال :

قلت لما بغى العدو علينا حسينا ربنا ونعم الوكيل  
حسنا ربنا الذي فتح البصر مرة بالأمس والحديث طويل  
ويقول فيها :

وعلي إمامنا وإمام يوم قال النبي : من كنت مولاً  
لسوانا أتى به التنزيل إن ما قاله النبي على الأمة  
ه فهذا مولاه خطب جليل حتم ما فيه قبال وقيل

ومنهم عمرو بن العاص العدو للامام أمير المؤمنين عليه السلام فلقد  
أشار في قصيدته الجملية إلى واقعة الغدير ، ومهما حاول العدو كتمان  
فضائل خصمه فإن الحق قد يطفح من لسانه ، قال في خطابه لمعاوية :

معاوية الحال لا تجهل وعن سبل الحق لا تعدل  
نسيت إحتيالي في جلق على أهلها يوم ليس الحلي  
إلى أن يقول :

نصرتك من جهلنا يا بن هند على النبي الأعظم الأفضل  
وحيث رفعتك فوق الرؤوس نزلنا إلى أسفل الأسفل

وكم قد سمعنا من المصطفى  
وفي يوم خم رقى منبراً  
وفي كفه كفه معكناً  
الست بكم منكم في النضوم  
فأنسحله إمرة المؤمنين  
وقال: فمن كنت مولى له  
فوال مواليه يا ذا الجلا  
ولا تنقضوا العهد من عنرتي  
فبخبغ شيخك لما رأى  
فقال: وليكم فاحفظوه  
وصايا مخصصة في علي  
يبلى والركب لم يرحل  
ينادي بأمر العزيز العلي  
بأولى؟ فقالوا: بلى فافعل  
من الله مستخلف المنحل  
فهذا له اليوم نعم الولي  
ل، وعاد معادي أخ المرسل  
فقاطعهم بي لم يوصل  
عري عقد حيدر لم تحلل  
فمدخله فيكم مدخلي  
إلى آخر القصيدة وهي ستة وستون بيتاً .

ومن شعراء القرن الثاني الذين تطرقوا إلى واقعة الغدير هو أبو  
المستهل الكميث بن زيد الأسدي قال في عيته :

نفى عن عينك الأرق الهجوعا وهم يمتري منها الدموعا  
إلى أن يقول :

لدى الرحمن يصدع بالثنائي  
وأصفاه النبي على اختيار  
ويوم الدوح دوح غدير خم  
ولكن الرجال تبايعوها  
فلم يبلغ بها لعناً ولكن  
فصار بذاك أقربهم لعبدل  
أضاعوا أمر قائدهم فضلوا  
تناسوا حقه وبغوا عليه  
وكان له أبو حسن قريعا  
بما أعى الرفوض له المذيعا  
أبان له الولاية لو أطيعا  
فسلم أر مثلها خطراً مبيعاً  
أساء بذاك أولهم صنيعاً  
إلى جور وأحفظهم مضيعاً  
وأقومهم لدى الحدشان ريعاً  
بلا نرة وكان لهم قريعا  
إلى آخر القصيدة .

ومنهم السيد إسماعيل بن محمد الحميري فقد ذكر قصة الغدير في  
كثير من قصائده فمنها قوله :

يا بايع الدين بدنياه      ليس بهذا أمر الله  
من ابن ابغضت علي الوصي      وأحمد قد كان يرضاه  
من الذي أحمد في بينهم      يوم غدِير الخُصم ناداه  
أقامه من بين أصحابه      وهم حوَالِيه فسماه:  
هذا علي بن أبي طالب      مولى لمن قِدت كنت مولاه  
فوال من والاه يا ذا العلا      وعاد من قد كان عاداه

ومن قصائده :

هلا وفتت على المكان المعشوب      بين الطويلع فاللوى من كسب  
ويقول فيها :

ويختم إذ قال الإله بعزمه :      قم يا محمد في البرية فاخطب  
وانصب أبا حسن لقبومك إنه      هاد، وما بلغت إن لم تنصب  
فدعاه ثم دعاهم فأقامه      لهم ، فبين مصتقي ومكذب  
جعل الولاية بعده لمهذب      ما كان يجعلها لغير مهذب  
وليه مناقب لا ترام متى يرد      ساع تناول بعضها يتذبذب  
إنا ندين بحب آل محمد      ديناً ومن يحبهم يستوجب  
منا العودة والولاء ومن يرد      بدلاً بآل محمد لا يحب  
ومتى يمت يرد الجحيم ولا يرد      حوض الرمول وإن يرد يضررب

إلى آخر القصيدة .

ومن فرائده القصيدة العينية المعروفة :

لأم عمرو باللوى مربع      طامسة اعلامها بلقع

إلى أن يقول :

عجبت من قوم أتوا أحمددا  
قالوا له : أرشئت أعلمتنا  
إذا توفيت وفارقتنا  
فقال : لو أعلمتكم مفرعاً  
صنيع أهل العجل إذ فارقوا  
وفي النبي قال بيان لمن  
ثم أتته بعد ذا عزمة  
بلغ وإلا لم تكن مبلغاً  
فَعندهما قام النبي الذي  
يخطب ساموراً وفي كفه  
رافعها ، أكرم بكف الذي  
يقول والأملاك من حوله  
من كنت مولاه فهذا له  
فاتهموه وحنث فيهم  
رضل قوم غاظهم فعله  
حتى إذا واروه في لحده  
ما قال بالأمس وأوصى به

بخطبة ليعن لها موضع  
إلى من الغاية والمفزع؟  
وفيهم في الملك من يطمع؟  
كنتم عيتم فيه أن تصنعوا  
هارون فالترك له أوسع  
كان إذا يعقل أو يسمع  
من ربه ليس لها مدفع :  
والله منهم عاصم يمنع  
كان بما يأمر به يصدع  
كف علي ظاهر تلمع  
يرفع والكف الذي ترفع  
والله فيهم شاهد يسمع :  
سولى فلم يرضوا ولم يقنعوا  
على خلاف الصادق الأصلع  
كانما أنافهم تجدع  
وأنصرفوا عن دفته ضيعوا  
واشتروا الضرب بما ينفع

إلى آخر القصيدة وهي أربعة وخمسون بيتاً .

### عيد الغدير :

الأعياد الدينية والوطنية لها أهمية كبرى عند الأمم ، وتهتم لها بمقدار تلك المناسبة من طقوس دينية وعادات وتقاليد محلية وشعبية ، وأصول وقواعد تنسجم مع ذلك العيد .

ومناسبة عيد الغدير كانت ولا تزال ذات أهمية عظيمة عند الله تعالى وعند رسوله وأهل البيت عليهم السلام وبقية المسلمين .

أما الأهمية عند الله تعالى ، فهو يوم تَوَجَّعَ اللهُ فيه علياً بالخلافة والولاية ، ونزل جبرئيل من عند الله مهتماً الرسول الأعظم بالتتويج بقوله عز من قائل : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ (١) .

حتى روى الحافظ أبو سعيد في كتابه (شرف المصطفى) عن أحمد بن حنبل وعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال - يوم الغدير- : هتوني ، إن الله تعالى خصني بالنبوة وخص أهل بيتي بالإمامة .

وعلى هذا كان كل من الشيخين : أبي بكر وعمر يهنيء علياً بقوله : وطوبى لك . أو : بخ بخ . أو : هتياً لك ، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة كما ذكره زيني دحلان في الفسوحات الإسلامية والدارقطني كما في شرح المواهب .

وقد روى فرات بن إبراهيم الكوفي عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه قال : قال رسول الله ﷺ : يوم غدير خم أفضل أعياد أمتي ، وهو اليوم الذي أمرني الله (تعالى ذكره) بنصب أخي علي بن أبي طالب علماً لأمتي يهتدون به من بعدي ، وهو اليوم الذي أكمل فيه الدين ، وأتم على أمتي فيه النعمة ، ورضي لهم الإسلام ديناً .

واقضى الأئمة الطاهرون نهج جدتهم الرسول الأعظم في تعظيم هذا اليوم وكثرة الاهتمام به ، كما روى عن فرات بن أحنف عن الإمام الصادق عليه السلام قال : قلت : جعلت فداك ، للمسلمين عيد أفضل من الفطر والأضحى ويوم الجمعة ويوم عرفة ؟ قال : فقال لي : نعم ، أفضلها وأعظمها وأشرفها عند الله منزلة هو اليوم الذي أكمل الله فيه الدين ، وأنزل على نبيه محمد : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ قال : قلت : وأي يوم هو ؟ قال : إن أنبياء

(١) سورة المائدة : الآية : ٣ .

بني إسرائيل كانوا إذا أراد أحدهم أن يعقد الوصية والإمامة من بعده ففعل ذلك جعلوا ذلك اليوم عيداً ، وإنه اليوم علماً ، وأنزل فيه ما أنزل . وكمل فيه الدين ، وتمت فيه النعمة على المؤمنين .

قال : قلت : وأي يوم هو في السنة ؟ فقال لي : إن الأيام تتقدم وتتأخر ، وربما كان يوم السبت والأحد والاثنين إلى آخر الأيام السبعة قال قلت : فما ينبغي لنا أن نعمل في ذلك اليوم ؟ قال : هو يوم عبادة وصلابة وشكر لله وحمد له ، وسرور لما من الله به عليكم من ولايتنا ، فإني أحب لكم أن تصوموا .

والروايات في هذا الباب كثيرة جداً ، وكانت ولا تزال الشيعة تجعل هذا اليوم عيداً في العراق وإيران والهند وباكستان وسوريا ولبنان وغيرها من البلاد التي يقطن فيها عدد من الشيعة .

وكانت البلاد المغربية في عهد الأدارسة والفاطميين وغيرهم تحتفل في هذا اليوم سروراً وبهجة وتشترك الحكومة والشعب في ذلك . ولكن بمرور الزمان وتطور الأحوال أصبح هذا العيد نسبياً منسياً في بعض البلاد العربية الأفريقية .

وإني أعتقد أن الإهتمام بهذا العيد أولى من بقية الأعياد ، وإقامة الحفلات في هذه المناسبة السعيدة أخرى من أية مناسبة أخرى . لأن المناسبة مهمة جداً ، وتسترعي الإنتباه والعناية والرعاية أكثر وأكثر .

## عَلِيٌّ (ع) عِنْدَ وِفَاةِ الرَّسُولِ (ص)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة على سيد الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطاهرين .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين﴾ (١) .

لقد ذكرنا من أول الشهر إلى الليلة الماضية شيئاً من اختصاص الإمام أمير المؤمنين عليه السلام برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حيث الانضمام والتربية والتأديب والتوجيه والأخوة والنفس وسائر الخصائص التي اختص بها كحديث الطائر المشوي وسد الأبواب وغير ذلك .

والليلة حديثنا حول وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وموقف الإمام من تلك المفاجعة العظيمة والمصيبة الكبرى التي لم يشهد التاريخ مثلها ، فقد مرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن بلغ من العمر ثلاثاً وستين سنة ، وكان النبي ينعم نفسه إلى أصحابه وأهل بيته وزوجاته ، ويخبرهم أن تلك السنة آخر سنوات حياته الشريفة المباركة ، وأن شمس وجوده قد اقتربت من الغروب ، ولهذا

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٤٤ .

قام بتعيين الخليفة والإمام القائم مقامه ، وقد تقدم الكلام في اللبلة الماضية حول واقعة الغدير .

من جملة الأحكام الشرعية والتعاليم الإسلامية هو الوصية عند الإحساس بخطر الوفاة ، قال تعالى : ﴿ كَتَبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتَ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ ﴾ (١) .

فهل من المعقول أن يموت صاحب الشريعة الإسلامية والمقتدى لقوافل المسلمين على مر القرون والأجيال - بلا وصية ؟؟

هل يمكن أن يأمر النبي أمته بالوصية ويتركها هو ؟ وعمله حجة ومنة يأخذ بها المسلمون ؟ وهو القائل : « من مات بلا وصية مات ميتة جاهلية » .

إن الأخبار والأحاديث والنصوص الواردة حول وصية النبي ﷺ مستفيضة متواترة ، وقد زعم بعض الناس أن رسول الله مات بلا وصية وهم يتفنون من وراء هذا الاقتراء تبرير مواقف بعض الأفراد ، ولا يهمهم تشويه سمعة النبي والمس بكرامته والخط من مقامه .

وللمرحوم السيد عبد الحسين شرف الدين كلام قيم حول هذا الموضوع نقتطف منه محل الحاجة ، قال - تغمده الله برحمته - :

ونصوص الوصية متواترة ، عن أئمة العترة الطاهرة ، وحسبك مما جاء من طريق غيرهم في قول النبي ﷺ وقد أخذ برقبة علي : « هذا أخي ووصي ، وخليفتي فيكم ، فاسمعوا له وأطيعوا » .

رواه محمد بن حميد الرازي عن رسول الله ﷺ :

« لكل نبي وصي ووارث ، وإن وصيي ووارثي علي بن أبي طالب » .

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٨٠ .

وروى الطبراني في الكبير بالإسناد إلى سلمان الفارسي قال : قال رسول الله ﷺ : إن وصي وموضع سري ، وخير من أترك بعدي ، ينجز عدني ، ويقضي ديني ، علي بن أبي طالب رضيه ، وهذا نص في كونه الوصي ، وصريح في أنه أفضل الناس بعد النبي ، وفيه من الدلالة الإلزامية على خلافته ، ووجوب طاعته ، ما لا يخفى على أولي الأبواب . وأخرج أبو نعيم الحافظ في حلية الأولياء عن أنس ، قال : قال لي رسول الله ﷺ : يا أنس أول من يدخل عليك هذا الباب : إمام المتقين ، وسيد المسلمين . قال أنس : فجاء علي فقام إليه رسول الله ﷺ ، مستبشراً فاعتنقه وقال له : أنت تؤذي عني ، وتسمعهم صوتي ، وتبين لهم ما اختلفوا فيه من بعدي .

وأخرج الطبراني في الكبير بالإسناد إلى أبي أيوب الأنصاري ، عن رسول الله ﷺ ، قال : يا فاطمة ، أما علمت أن الله عز وجل إطلع على أهل الأرض ، فاختار منهم أباك فيعنه نبياً ، ثم اطلع الثانية فاختار بعلك ، فأوحى إلي فأنكحته واتخذته وصياً .

أنظر كيف اختار الله علياً من أهل الأرض كافة بعد أن اختار منهم خاتم أنبيائه ، وانظر إلى اختيار الوصي وكونه علي نسق اختيار النبي ، وانظر كيف أوحى الله إلى نبيه أن يزوجه ويتخذته وصياً ، وانظر هل كانت خلفاء الأنبياء من قبل إلا أوصياؤهم ، وهل يجوز تأخير خيرة الله من عباده ، ووصي سيد أنبيائه ، وتقديم غيره عليه ، وهل يمكن عقلاً أن يكون طاعة ذلك المتولي الحكيم عليه ، فيجعله من سوقته ورعاياه ؟ وهل يمكن عقلاً أن تكون طاعة ذلك المتولي واجبة على هذا الذي اختاره الله كما اختار نبيه ؟ وكيف يختاره الله ورسوله ثم نحن نختار غيره ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً﴾ (١) .

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٣٦ .

وقد تصافرت الروايات أن أهل النفاق والحسد والتنافس لما علموا أن رسول الله ﷺ سيزوج علياً من بضعة الزهراء - وهي عديلة مريم وسيدة نساء أهل الجنة - حسدوه لذلك وعظم عليهم الأمر ، ولا سيما بعد أن خطبها من خطبها فلم يفلح ، وقالوا : إن هذه ميزة يظهر بها فضل علي ، فلا يلحقه بعدها لاحق ولا يطمع في إدراكه طامع ، فأجلبوا بما لديهم من إرجاف وعملوا لذلك أعمالاً ، فبعثوا نساءهم إلى سيدة نساء العالمين ينفرنها ، فكان مما قلن لها : إنه فقير ليس له شيء ، لكنها ﷺ لم يخف عليها مكرهن ، وسوء مقاصد رجالهن ، ومع ذلك لم تبسب لهن شيئاً يكرهه ، ثم ما أراه الله عز وجل ورسوله لها ، وحينئذ أرادت أن تظهر من فضل أمير المؤمنين ما يخزي الله به أعداءه ، فقالت : يا رسول الله زوجتني من فقير لا مال له ؟ فأجابها ﷺ بما سمعت .

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود وأخرج الخطيب في المتفق بسنده المعتبر إلى ابن عباس ، قال : لما زوج النبي ﷺ فاطمة من علي ، قالت فاطمة : يا رسول الله زوجتني من رجل فقير ليس له شيء ، فقال النبي ﷺ : أما ترضين أن الله اختار من أهل الأرض رجلين ، أحدهما أبوك والآخر بعلك . اهـ .

وأخرج الحاكم في مناقب علي ص ١٢٩ الجزء الثالث من المستدرک عن طريق سريج بن يونس ، عن أبي حفص الأبار ، عن الأعمش ، عن أبي صالح عن أبي هريرة ، قال : قالت فاطمة : يا رسول الله زوجتني من علي وهو فقير لا مال له ؟

قال ﷺ : يا فاطمة أما ترضين أن الله عز وجل إطلع إلى أهل الأرض فاختار رجلين ، أحدهما أبوك والآخر بعلك ، اهـ .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : أما ترضين أني زوجتك أول المسلمين إسلاماً ، وأعلمهم علماً ، وأنت سيدة نساء أمتي ، كما سادت مريم نساء قومها ، أما ترضين يا فاطمة أن الله إطلع على أهل

الأرض فاختار منهم رجلين ، فجعل أحدهما أباك ، والآخر بعلك ، اهـ .  
 وكان رسول الله ﷺ بعد هذا إذا ألمّ بسيدة النساء من الدهر لممّ  
 يذكّرها بنعمة الله ورسوله عليها ، إذ زوجها أفضل أمتة ، ليكون ذلك عزاءً  
 لها ، وسلوة عما يصيبها من طوارق الدهر ، وحسبك شاهداً لهذا ما أخرجه  
 الإمام أحمد في ص ٢٦ من الجزء الخامس من مسنده من حديث معقل بن  
 يسار ، أن النبي ﷺ عاد فاطمة في مرض أصابها على عهده فقال لها :  
 كيف تجدينك ؟ قالت : والله لقد اشتد حزني واشتغلت فإقتني وطال  
 سقمي ، قال ﷺ أما ترضين أني زوجتك أقدم أمتي سلماً وأكثرهم علماً ،  
 وأعظمهم حليماً ، اهـ .

### الوصية بصورة أخرى :

وصية النبي ﷺ إلى علي لا يمكن جحودها ، إذ لا ريب في أنه  
 عهد إليه - بعد أن أورثه العلم والحكمة - بأن يفلسه ، ويجهزه ويدفنه ،  
 ويضي دينه ، وينجز وعده ، ويؤدي دينه ويواريه في حفرة ، أخرجه الديلمي  
 وهو الحديث ٢٥٨٣ ج ٦ من الكتر ، وعن عمر من حديث قال فيه رسول  
 الله لعلي : وأنت غاسلي ودافني الحديث ، في ص ٣٩٣ ج ٦ في الكنز ،  
 وفي هامش ص ٤٥ ج ٥ من مسند أحمد ، وعن علي : سمعت رسول  
 الله ، يقول : أعطيت في علي خمساً لم يعطها نبي في أحد قبلي ، أما  
 الأولى فإنه يقضي ديني ، ويواريني . . . الحديث في أول ص ٤٠٣ ج ٦  
 من الكتر ، ولما وضع علي السرير وأرادوا الصلاة عليه ﷺ ، قال علي :  
 لا يؤم علي رسول الله أحد ، هو إمامكم حياً وميتاً ، فكان الناس يدخلون  
 رسلاً رسلاً ، فيصلون صفواً صفواً ، ليس لهم إمام ويكبرون ، وعلي قائم  
 حيال رسول الله يقول : سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، اللهم  
 إنا نشهد أن قد بلغ ما أنزلت إليه ، ونصح لأمته وجاهد في سبيل الله حتى  
 أعز الله عز وجل دينه ، وتمت كلمته ، اللهم فاجعلنا ممن يتبع ما أنزل الله  
 إليه ، وثبتنا بعلمه واجمع بيننا وبينه ، فيقول الناس : آمين آمين ، حتى

صلى عليه الرجال ثم النساء ثم الصبيان ، روى هذا كله باللفظ الذي  
أوردناه ابن سعد عند ذكره غسل النبي من طبقاته ، وأول من دخل على  
رسول الله يومئذ بنو هاشم ، ثم المهاجرون ، ثم الأنصار ثم الناس ، وأول  
من صلى عليه علي والعباس وقفاً صفّاً وكبراً عليه خمساً .  
إلى هنا انتهى كلام سيدنا شرف الدين رحمه الله .

## هذه بعض النصوص الواردة حول الوصية

وأما ما ذكره الشعراء في القرن الأول من المهاجرين والأنصار والتابعين حول وصاية أمير المؤمنين عليه السلام فلا مجال لبيان تلك الأبيات الشعرية والأراجيز التي تتضمن هذا الأمر .

والآن نتقل إلى حديث وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيام الإمام بإنجاز وصاياه ، وقد ذكرنا فيما سبق أن علياً كان أول الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم وسيظهر اليوم أنه كان آخر الناس عهداً به . وفي كتاب أبي إسحاق قال : دخل أبو بكر على النبي صلى الله عليه وسلم وقد ثقل (اشتد مرضه) ، فقال : يا رسول الله متى الأجل ؟ قال : قد حضر قال أبو بكر : الله المستعان على ذلك فإلى ما المنقلب ؟ قال : إلى السدرة المنتهى وجنة المأوى وإلى الرفيق الأعلى والكأس الأوفى والعيش المهنى ، قال أبو بكر : فمن يلي غسلك ؟ قال رجال أهل بيتي ، الأذننى فالأذننى قال : فقيم نكفئك ؟ قال : في ثيابي هذه التي عليّ أو في حلة يمانية أو في بياض مصر قال : كيف الصلاة عليك ؟ فارتجت الأرض بالكاء فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم مهلاً ، عفا الله عنكم ، إذا غسلت فكفنت فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري ثم أخرجوا عني فإن الله تبارك وتعالى أول من يصلي علي ثم يأذن الملائكة في الصلاة علي فأول من ينزل

جبرئيل عليه السلام ثم إسرافيل ثم ميكائيل ثم ملك الموت عليه السلام في جنود كثير من الملائكة بأجمعها ثم أدخلوا علي زمرة زمرة ، فصلوا علي وسلموا تسليماً ولا تؤذوني وليبدأ بالصلاة علي الأدي فالأدي من أهل بيتي ثم النساء ثم الصبيان زمراً .

قال أبو بكر : فمن يدخل قبرك ؟ قال : الأدي فالأدي من أهل بيتي مع ملائكة لا ترونهم ، قوموا فأدوا عني إلى من ورائكم ؟ فقلت للحرث بن مرة : من حدثك هذا الحديث ؟ قال : عبد الله بن مسعود . عن علي عليه السلام قال : كان جبرئيل ينزل علي النبي عليه السلام في مرضه الذي قبض فيه كل يوم وفي كل ليلة ، فيقول : السلام عليك إن ربك يقرؤك السلام فيقول : كيف تجدك ؟ وهو أعلم بك ولكنه أراد أن يزيدك كرامة وشفراً إلى ما أعطاك علي الخلق ، وأراد أن يكون عيادة المريض سنة في أمته ، فيقول النبي عليه السلام - إن كان وجعاً - : يا جبرئيل أجديني وجعاً فقال له جبرئيل : أعلم يا محمد إن الله لم يشد عليك وما من أحد من خلقه أكرم عليه منك ، ولكنه أحب أن يسمع صوتك ودعائك حتى تلفاه مستوجباً للدرجة والثواب الذي أعد لك ، والكرامة والفضيلة علي الخلق ، وإن قال له النبي عليه السلام أجديني مريحاً في عافية . قال له : فاحمد الله علي ذلك فإنه يحب أن تحمد وتشكره ليزيدك إلى ما أعطاك خيراً فإنه يحب أن يحمد ويزيد من شكر .

قال : وإنه نزل عليه في الوقت الذي كان ينزل فيه فعرفنا حسد فقال علي عليه السلام : فيخرج من كان في البيت غيري ؟ فقال له جبرئيل : يا محمد إن ربك يقرؤك السلام ويسألك وهو أعلم بك كيف تجدك ؟ فقال له النبي عليه السلام : أجديني ميتاً . قال له جبرئيل : يا محمد أبشر فإن الله إنما أراد أن يبلغك بما تجد ما أعد لك من الكرامة . قال له النبي عليه السلام : إن ملك الموت استأذن علي فأذنت له ، فدخل واستنظوته معجيتك فقال له : يا محمد إن ربك إليك مشتاق فما استأذن ملك الموت علي أحد قبلك ولا

يستأذن علي أحد بعدك . فقال النبي ﷺ : لا تبرح يا جبرئيل حتى يعود ، ثم أذن للنساء فدخلن فقال لإبنته : أدني مني يا فاطمة فأكبت عليه فناجها ، فرفعت رأسها وعيناها تهملان دموعاً فقال لها : أدني مني فدننت منه فأكبت عليه فناجها فرفعت رأسها وهي تضحك ، فتعجبنا لما رأينا فسألناها فأخبرتنا أنه نعم نفسه فبكت فقال : يا بنية لا تجزعي فإني سألت ربي أن يجعلك أول أهل بيتي لحاقاً بي فأخبرني أنه قد استجاب لي فضحكت ، قال : ثم دعا النبي ﷺ الحسن والحسين ﷺ فقبلهما وشمهما وجعل يترشفهما وعيناه تهملان .

في علل الشرائع : عن الإمام الصادق عن أبيه عن جده ﷺ قال لما حضرت رسول الله ﷺ الوفاة دعا العباس بن عبد المطلب وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ فقال للعباس : يا عم محمد تأخذ تراث محمد وتقضي دينه وتنجز عداته ؟ فرد عليه وقال : يا رسول الله : أنا شيخ كبير كثير العيال ، قليل المال ، من يطيقك وأنت تباري المريح ؟ قال : فأطرق هيئة ثم قال : يا عباس أتأخذ تراث رسول الله وتنجز عداته وتؤدي دينه . فقال : بأبي أنت وأمي أنا شيخ كبير كثير العيال قليل المال ، من يطيقك وأنت تباري المريح ؟ فقال رسول الله ﷺ : أما إنني سأعطيها من يأخذ بحقها . ثم قال : يا علي يا أبا محمد أتنجز عداة محمد وتقضي دينه وتأخذ تراثه ؟ قال : نعم بأبي أنت وأمي . فنزع خاتمه من إصبه فقال : تختم بهذا في حياتي فوضعه علي ﷺ في إصبه اليمنى فصاح رسول الله ﷺ : يا بلال علي بالمغفر والدرع والرابة وسيفي : ذي الفقار وعمامتي : السحاب والبرد والأبرقة والفضيب .

فقال : يا علي إن جبرئيل أتاني بها . فقال : يا محمد إجعلها في حلقة الدرع واستوفر بها مكان المنطقة ثم دعا بزوجي نعال عربيين إحداهما مخصوفة والأخرى غير مخصوفة ، والقميمص الذي أسري به فيه ، والقميمص الذي خرج فيه يوم أحد والقلائس الثلاث قلنسوة السفر وقلنسوة العيدين وقلنسوة كان يلبسها .

ثم قال رسول الله ﷺ: يا بلال عليّ بالبغلتين : الصهباء والذئذيل والناقتين : العضباء والصهباء والفرسين الجناح الذي كان يوقف بباب مسجد رسول الله لحوائج الناس ، يبعث رسول الله ﷺ الرجل في حاجته فيركبه وحيزوم وهو الذي يقول أقدم حيزوم . والحمار اليعفور . ثم قال : يا علي إقبضها في حياتي حتى لا ينازعك فيها أحد بعدي .

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي قبض فيه لفاطمة بنتك بأبي وأمي أنت !! أرسلني إلى بعلك فادعيه لي . فقالت فاطمة للحسين بنتك : إنطلق إلى أبيك فقل : يدعوك جدي . فانطلق إليه الحسين فدعاه فأقبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بنتك حتى دخل على رسول الله ﷺ وفاطمة بنتك عنده وهي تقول : واكرهه لكربك يا أبتاه . فقال لها رسول الله ﷺ : لا كرب على أبيك بعد اليوم يا فاطمة ، إن النبي لا يشق عليه العجيب ، ولا يخمش عليه السوجه ، ولا يدعى عليه بالويل ولكن قل كما قال أبوك على إبراهيم : تدمع العينان وقد يوجع القلب ولا تقول ما يسخط الرب وأنا بك يا إبراهيم لمحزونون . ولو عاش إبراهيم لكان نبياً . ثم قال : يا علي أدن مني . فدنا منه فقال أدخل أذنك في في . ففعل . فقال : يا أخي ألم تسمع قول الله في كتابه ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾<sup>(١)</sup> قال : بلى يا رسول الله . قال : هم أنت وشيعتك يجيشون غرماً محجلين ، شاعراً مرويين ، أولم تسمع قول الله في كتابه ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي تَارِجِهِمْ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾<sup>(٢)</sup> قال : بلى يا رسول الله . قال : هم أعداؤك وشيعتهم ، يجوزون يوم القيامة ظمأ مظمئين ، أشقياء معذبين ، كفار منافقين ، ذلك لك ولشيعتك ، وهذا لعدوك ولشيعتهم .

ولما حضره الموت كان أمير المؤمنين بنتك حاضراً عنده فلما قرب

(٢) سورة البينة : الآية : ٦ .

(١) سورة البينة : الآية : ٧ .

خروج نفسه ﷺ قال له : ضع يا علي راسي في حجرك فقد جاء أمر الله تعالى فإذا فاضت نفسي فتناولها بيدك وامسح بها وجهك ، ثم وجهني إلى القبلة وتوّل أمري وصل عليّ أول الناس ، ولا تفارقني حتى تواريني في رمسي ، واستعن بالله تعالى . فأخذ عليّ راسه فوضعه في حجره فأغمي عليه فأكبت فاطمة بنتك تنظر في وجهه وتتدبه وتبكي وتقول :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه شمال اليتامى عصمة الأرامل  
ففتح رسول الله ﷺ عينه ، وقال بصوت خليل : يا بنية هذا قول عمك أبي طالب لا تقوليّه ولكن قولني ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾<sup>(١)</sup> فبكت طويلاً وأوماً إليها بالدنو منه فدنت منه فأسرّ إليها شيئاً تهلل وجهها له .

ثم قبض ﷺ ويسد أمير المؤمنين بك تحت حنكته ففاضت نفسه ﷺ فيها فرفعها إلى وجهه فمسحها بها ، ثم وجهه وغمضه ومدّ عليه إزاره واشتغل بالنظر في أمره .

وقال جعفر بن محمد الصادق بك : إن رسول الله ﷺ أوصى إلى علي بك أن لا يغسلني غيرك فقال علي بك : يا رسول الله من يناولني الماء ؟ إنك رجل ثقيل لا أستطيع أن أقلبك ؟ فقال : جبرئيل معك يعاونك ، ويناولك الفضل الماء ، وقل له فليغمض عينيه ، فإنه لا أحد يرى عورتني غيرك إلا انفقات عيناه .

كان الفضل بن العباس يناوله الماء وجبرئيل يعاونه ، وعلي يغسله ، فلما أن فرغ من غسله وكفنه أتاه العباس فقال : يا علي إن الناس قد اجتمعوا على أن يدفن النبي ﷺ في بقيع المصلى ، وأن يؤمهم رجل منهم ، فخرج علي إلى الناس فقال : يا أيها الناس : أما تعلمون أن رسول الله ﷺ إمامنا حياً وميتاً ؟ وهل تعلمون أنه ﷺ لمن من جعل القبور مصلى ؟ ولعن من

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٤٤ .

بجعل مع الله إلهاً؟ ولعن من كسر رباعيته وشق لثته؟ فقالوا: الأمر إليك فاصنع ما رأيت. فقال: إني أدفن رسول الله ﷺ في البقعة التي قبض فيها. ثم قام على الباب فصلى عليه ثم أمر الناس عشرة عشرة يصلون عليه ثم يخرجون.

لما أراد أمير المؤمنين عليه السلام غسل الرسول ﷺ استدعى الفضل بن العباس فأمره أن يتاوله الماء لغسله فغسله بعد أن عصب عينيه، ثم شق قميصه من قبل جيبيه حتى بلغ به إلى سرتيه وتولى عليه غسله وتحنيطه وتكفينه والفضل يعطيه الماء ويعينه عليه فلما فرغ من غسله وتجهيزه تقدم فصلى عليه وحده، ولم يشترك معه أحد في الصلاة عليه، وكان المسلمون في المسجد يخوضون فيمن يؤمهم بالصلاة عليه، وأبى يدفن، فخرج إليهم أمير المؤمنين عليه السلام وقال لهم: إن رسول الله ﷺ إمامنا حياً وميتاً فيدخل عليه فسوح بعد فسوح منكم فيصلون عليه بغير إمام، وينصرفون، وإن الله تعالى لم يقبض نبياً في مكان إلا وقد ارتضاه لرسمه فيه، وإني لدفننه في حجرتي التي قبض فيها. فسلم القوم لذلك ورضوا به، ولما صلى المسلمون عليه أنفذ العباس بن عبد المطلب برجل إلى أبي عبيدة بن الجراح وكان يحفر لأهل مكة ويضرح، وكان ذلك عادة أهل مكة، وأنفذ (أرسل) إلى زيد بن سهل وكان يحفر لأهل المدينة ويلحد، فاستدعاهما وقال: اللهم خر لنبيك. فوجد أبو طلحة فقيل له: إحفر لرسول الله. فحفر له لحداً، ودخل أمير المؤمنين والعباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس وأسامة بن زيد ليتولوا دفن رسول الله ﷺ فنادت الأنصار من وراء البيت: يا علي إنا نذكرك الله وحققنا اليوم من رسول الله ﷺ أن يذهب، أدخل منا رجلاً يكون لنا به حظ من موازية رسول الله ﷺ فقال: ليدخل أنس بن خولي وكان بدرياً فاضلاً من بني عوف من الخزرج، فلما دخل قال له علي عليه السلام إنزل القبر. فنزل ووضع أمير المؤمنين رسول الله ﷺ على يديه ودلاه في حفرته، فلما حصل في الأرض قال له أخرج. فخرج ونزل علي عليه السلام إلى القبر، فكشف عن وجهه

رسول الله ﷺ ووضع خدته على الأرض موجهاً إلى القبلة على يمينه ثم وضع عليه اللبن وأهال عليه التراب .

وكان علي بنك يرثي رسول الله ﷺ ويقول :

الموت لا والداً يُبقي ولا ولداً هذا السبيل إلى أن لا تسرى أحداً  
هذا النبي ولم يخلد لأمته لو خلّد الله خلقاً قبله خلداً  
للموت فبنا سهام غير خاطئة من فاته اليوم سهم لم يفته غداً

وكان بنك يصلح قبر رسول الله بمسحاته ، وكانت وفاة النبي ﷺ في اليوم الثامن والعشرين من شهر صفر في السنة العاشرة من الهجرة كما هو مشهور عند أهل بيته عليهم وعليه السلام .

## عَلِيّ (ع) فِي مَصِيبَةِ الزَّهْرَاءِ

كانت مصيبة وفاة رسول الله ﷺ من أوجع الفجائع على قلب علي بنك ولولا إيمان علي وعبره على المصيبة لمات حزناً في تلك الأماسة ، إذ ما فارق الحزن قلب علي بنك حتى فارق الحياة ، فسرعان ما ابيضت لحيته الكريمة فقيل له : لو غيرت شبيك يا أمير المؤمنين . فقال بنك : الخضاب زينة ونحن قوم في مصيبة . يريد بها وفاة رسول الله ﷺ .

ولم يختضب الإمام طيلة أيام حياته لهذا السبب ولأن رسول الله ﷺ أخبره بخضاب خاص ، فقد روى ابن نيسانة قال : قلت لأمر المؤمنين بنك : ما منعك من الخضاب وقد اختضب رسول الله ﷺ؟ قال : أنتظر أشقاها أن يخضب لحيتي من دم رأسي ، بعهد معهود أخبرني به حبيبي رسول الله .

ولما فارق النبي الحياة وهو بعد لم يدفن اجتمع الناس في موضع يقال له (السقيفة) وقد رشح سعد بن عبادة نفسه للإمامة وهو سيد الخزرج ،

وأسيد بن حصين أو بشير بن سعد قد رشح نفسه أيضاً لأنه سيد الأوس ،  
وبين الأوس والخزرج عداً وتنافس قديماً .

ودخل أبو بكر وعمر وأبو عبيدة في ذلك المجتمع واستمعوا إلى كلام  
المرشحين للإمارة والرئاسة ، وتكلم أبو بكر ودعا الناس إلى عمر أو أبي  
عبيدة ، وامتنع الرجلان أن يتقدما أبا بكر لأنه صاحب الغار ، وجرى كلام  
ونزاع طويل واصطدام عنيف فيما بين المهاجرين والأنصار وبين أبي بكر  
وأهل السقيفة ، حتى آل الأمر إلى التهديد والشتم .

وهنا انتهز رئيس الأوس الفرصة ، وتضعيفاً لجانب سعد بن عبيدة  
(منافسه) وافق على تأمير أبي بكر ، وضم صوته إلى صوت عمر وأبي عبيدة  
وقال : أنا فاككما . ولما رأى الأوس سيدهم انحاز إلى تلك الناحية اتبعوا  
رئيسهم ، وأقبلوا إلى أبي بكر وبايعوه ، وكاد سعد بن عبيدة يموت تحت  
الأقدام ، فصاح : قتلتموني . فصاح عمر : أقتلوا سعداً قتله الله .

وهكذا وقع الانتخاب ، ويومع لأبي بكر بالخلافة ، وذهبت مساعي  
النبي (حول تعيين الخليفة) أدراج الرياح ، وصارت تلك الجهود هباءً  
مشوراً .

وحدثت حوادث مؤلمة مشجبة لا نذكرها تحفظاً على العواطف أن  
تخدش ، وإن كانت تلك الحوادث مذكورة في الآلاف المؤلفات من كتب  
الحديث والتاريخ ، ومشهورة عند المسلمين .

ونذكر جملة عن موقف الإمام في ذلك العهد : فلقد أخذوا البيعة من  
الناس لأبي بكر ، وجازوا إلى علي ليخرجوه من البيت ليبايع لأبي بكر فلم  
تأذن لهم فاطمة بالدخول في بيتها ، فصدر الأمر بالهجوم فهجموا وأخذوا  
علياً بعد أن خلعوا عنه سلاحه وأخرجوه من البيت يريدون به المسجد ،  
وخرجت فاطمة خلفهم وهي بأشد الأحوال ، إذ أنها أجهضت جنينها فكأنها  
نسيت آلامها فجعلت تعدو وتصيح : خلوا عن ابن عمي ؟ خلوا عن

بعلي ! والله لأكشفن عن رأسي ولأضعن قميص أبي علي رأسي وأدعو  
عليكم !!

ووصلت إلى باب المسجد فرأت منظراً مؤلماً لا نستطيع أن نصفه إلا  
أنها استطاعت أن تخلّص زوجها من أيدي الناس وتحول بينهم وبين أخذ  
البيعة منه ، ورافقت زوجها إلى البيت سالماً .

اظلمت الدنيا في عين علي عليه السلام وضاق قلبه عليه الأرض بما رحبت ،  
لأنه فقد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ومصيبة النبي أعظم مصيبة على قلب كل  
أحد ، ولم تنته الكارثة ، فقد خيمت الأحزان على بيت علي ، وانقلب  
البيت إلى مجلس عزاء وحزن وبكاء ، فلقد كانت الصديقة الطاهرة لا  
تفارق البكاء على وفاة أبيها وعلي مصائبها ونوائبها التي استولت على قلبها  
المجروح ، ولم تجد من الناس أي تعزية وتسلية .

ومما زاد في حزنها إخراج أراضيها (فدك) من يدها وهناك قضايا  
وقضايا ساعدت على انحراف صحة فاطمة ، واشتداد علتها واستيلاء  
الهزال عليها ، فكانت تبكي ليلاً ونهارها ، ومنعوها عن البكاء ، فكانت  
تخرج إلى قبر حمزة سيد الشهداء أو إلى البقيع أو إلى بيت بناه لها أمير  
المؤمنين خارج المدينة وسماه (بيت الأحزان) وعاشت بعد أبيها مظلومة  
مهضومة ساكية العين محترقة القلب منهدة الركن معصبة الرأس حليفة  
الفراس غليظة مريضة .

ودخل عليها علي عليه السلام قبل وفاتها فوجدتها تغسل ثياب أولادها وتغسل  
رؤوسهم فسألها عما دعاها إلى العمل المجهد ؟

فقالت : يا ابن عم إنه قد نعت إلي نفسي ، وإنني لا أرى ما بي  
إلا أنني لاحقة بأبي ، ساعة بعد ساعة ، وأنا أوصيك بأشياء في قلبي .

قال لها علي عليه السلام : أوصيني بما أحببت يا بنت رسول الله . فجلس  
عند راسها ، وأخرج من كان في البيت ، ثم قالت : يا ابن عم ما عهدتني

كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتني !!

قال علي عليه السلام : معاذ الله ! أنت أعلم بالله ، وأبر وأتقى وأكرم وأشد خوفاً من الله من أن أُوْبِخَكَ بمخالفتي ، وقد عزَّ عليّ مفارقتك وفقدك ، إلا أنه أمر لا بدُّ منه ، والله لقد جدّدت عليّ مصيبة رسول الله ﷺ ولقد عظمت وفاتك وفقدك ، فلنا لله وإنا إليه راجعون ، من مصيبة ما أفجعها وآلمها وأمضها وأحزنها !! هذه والله مصيبة لا عزاء عنها ، ورزية لا خلف لها .

ثم بكيا جميعاً ، وأخذ علي رأسها وضَمَّها إلى صدره ثم قال : أوصيني بما شئت ، فإنك تجديني وفيّاً ، أمضي كل ما أمرتني به واختار أمرك عليّ أمري .

فقالت : جزاك الله عني خير الجزاء ، يا ابن عم أوصيك أولاً : أن تتزوج بعدي إبنة أختي أمامة ، فإنها تكون لولدي مثلي ، فإن الرجال لا بدُّ لهم من النساء .

أوصيك يا ابن عم : أن تتخذ لي نعشاً فقد رأيت الملائكة صوروا لي صورته ، فقال لها : صِفِيه لي . فوصفته ، فاتخذها لها .

ثم قالت : أوصيك أن لا يشهد أحد جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني فإنهم عدوي وعدو رسول الله ، ولا تترك أن يصلي عليّ أحد منهم ، ولا من أتباعهم ، وادفني في الليل إذا هدأت العيون ونامت الأبصار . إلى آخر وصاياها . . . . .

ثم فارقت روحها الحياة ، وانتشر الخبر ، فصاح أهل البيت صيحة واحدة ، واجتمعت نساء بني هاشم في دارها فصرخن صرخة واحدة كادت المدينة تتزعزع من صراخهن .

وازدحم الناس على باب بيت الإمام ينتظرون خروج الجنازة ، فخرج أبو ذر ونادى : انصرفوا فإن إبنة رسول الله قد أخرجها هذه العشيّة .

فتسرق الناس ، وجنَّ الليل ، ومضى شطر منه ، فقام علي عليه السلام وغسل إينة رسول الله من على ثيابها وحنطها بغاضل حنوط أبيها رسول الله وكفنها في أكفانها ، ثم أرسل إلى عمار والمقداد وسلمان وأبي ذر وعقيل والزبير وبريدة ونفر من بني هاشم فلما حضروا صلَّى عليها علي ودفنوها ، ولم يعلم أحد حتى اليوم أين دفنوها ؟ ولا يعرف أحد موضع قبرها ، ففي البقيع قبر ينسب إليها ، وبين منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وقبره قول عند المحذنين ، والله العالم بموضع قبرها ، وسيبقى قبرها مجهولاً عند الناس إلى يوم القيامة .

ولعل في هذا الكتمان أسراراً تستدعي إنتباه المسلمين للتحري عن السبب المبرر لتلك الوصية ، ولعل هذا الإخفاء رمز يرمز إلى معاني وأمور يعرفها الفطن الذكي .

وقد اختلف المسلمون في المدة التي عاشت فيها فاطمة بنت محمد بعد وفاة أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقيل : عاشت بعد أبيها أربعين يوماً ، أو خمساً وسبعين ، أو خمساً وتسعين يوماً ، أو ستة أشهر ، وفارقت الحياة وكانت أول أهل البيت لحوقاً بالنبي صلى الله عليه وآله .

انهد ركنا الإمام بفقد الزهراء سيدة النساء وازدادت مصيبتة بأطفاله الأربعة : (الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم) المذنين فقدوا أهمهم في غضوان شبابها بعد أن فجعوا بجدهم البار العطوف الذي كان يمطر عليهم حنانه الأبوي ويشملهم عطفه النبوي .

ومما زاد في أحزان الإمام وبلغ به الإضطهاد أقصى درجة هو تنفيذ وصايا فاطمة بصورة سرية ، كمباشرة تغسيلها وتحنيطها وتكفينها والصلاة عليها ودفنها سرأ لا جهاراً وليلاً لا نهاراً ، وإخفاء موضع قبرها ، وغير ذلك من الأمور التي كان من الصعب المستصعب على قلب الإمام تنفيذها وإنجازها .

فقد ماتت فاطمة ودفنت كأنها امرأة غريبة لا يعرفها أحد ، وكأنها

ليست بيضعة رسول الله وحبيبته ، وإبنته الوحيدة !!

وكان الإمام عليه السلام يتجلد في تلك المصيبة رعاية لتمامي فاطمة ، إلى أن دفنها في تلك الساعة من تلك الليلة وهو يحاول أن لا يطلع عليه أحد ، فيكون سبباً للحيلولة دون تطبيق وصايا فاطمة وتنفيذها ، إلى أن أدى جميع الوصايا كما ينبغي ، فلما نفض يده من تراب القبر هاج به الحزن فأرسل دموعه على خديه وحول وجهه إلى قبر رسول الله ﷺ فقال : السلام عليك يا رسول الله السلام عليك من إبتك وحبيبك وقررة عينك وزائرتك والبائنة في الشرى بيمعتك ، النازلة بجوارك ، المختار لها الله سرعة اللحاق بك قل يا رسول الله عن صفتك صبري وضعف عن سيده النساء تجلدي ، إلا أن لي في التأسي بستك والحزن الذي حل بي لفراقك موضع التعزي ولقد وسدتك في ملحود قبرك بعد أن فاضت نفسك على صبري ، وغمضتك بيدي ، وتوليت أمرك بنفسي .

نعم ، وفي كتاب الله أنعم القبول ، وأنا لله وأنا إليه راجعون ، قد استرجعت الوديعة ، وأخذت الرهينة ، واخترت الزهراء ، فما أقبح الخضراء والخبراء !! يا رسول الله : أما حزني فسرمد ، وأما ليلي فمسهد ، لا يبرح الحزن من قلبي ، أو يخسار الله لي دارك التي فيها أنت مقيم ، كمد مقبح وهم مهيج ، سرعان ما فرق الله بيننا ، إلى الله أشكو ، ومستبك إبتك بتظاهر أمتك علي ، وعلى هضمها حقها ، فاستخبرها الحال فكم من غليل معتلج بصدرها ، لم تجد إلى به سبيلاً ، وستقول ، ويحكم الله وهو خير الحاكمين .

سلام عليك يا رسول الله ، سلام مودع لا نسيم ولا قال ، فإن أنصرف فلا عن ملالة ، وإن أقم فلا عن سوء ظني بما وعد الله الصابرين ، والصبر أيمن وأجمل ، ولولا غلبة المستولين علينا ، لجعلت المقام عند قبرك لزاماً ، والتلبث عنده عكوفاً ، ولأعولت إعوال الشكلى على جليل الرزية ، فبعين الله تدفن إبتك سرأ ، ويهضم حقها قهراً ، ويمنع إرثها

جهرأ ، ولم يطل العهد ولم يخلق منك الذكر ، وإلى الله - يا رسول الله -  
المشككى ، وفيك أجمل العزاء ، فصلوات الله عليها وعليك ورحمة الله  
وبركاته .

ثم جعل يقول :

أرى عيال الدنيا عليّ كثيرة      وصاحبها حتى الممات عليل  
لكل اجتماع من خليلين فرقة      وكل الذي دون الفراق قليل  
وإن افتقادي فاطماً بعد أحمد      دليل علي أن لا يدوم خليل  
وينسب إليه بنته هذان البيتان :

نفسى على زفرتها محبوسة      يسأليتها خرجت مع الزفرات  
لا خير بعدك في الحياة وإنما      أبكي مخافة أن تطول حياتي

### زواج علي بعد فاطمة عليهما السلام

إضطر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعد وفاة سيدة نساء العالمين أن يبادر  
إلى اختيار زوجة تقوم بشؤون أبنام الإمام الذين فقدوا أمهم في عنفوان  
شبابها فقدوها وهم براعم صغار لم تفتح بعد ، إذ كان الإمام الحسن وهو  
أكبر أولاد الإمام عمره يومذاك سبع سنوات وشهوراً وكان الإمام الحسين  
أصغر منه بستة أشهر وأيام وكذلك السيدة زينب وأختها أم كلثوم هذا من  
ناحية ومن ناحية أخرى كانت الزهراء قد أوصت يوم وفاتها أن يتزوج علي  
بالسيدة أمامة وهي حفيذة رسول الله ﷺ إذ أنها كانت بنت زينب بنت  
رسول الله ، وتنفيذاً لهذه الوصية يادر الإمام إلى الزواج بأمامة بعد تسعة  
أيام من وفاة الزهراء كما ذكر ذلك الشيخ المفيد وروى عنه المجلسي في  
التاسع من البحار .

### كلام حول أزواج الامام وأولاده

وبالمناسبة لا بأس أن نذكر شيئاً مما يتعلق بعدد زوجات الإمام  
وأولاده فنقول : كان له عليه السلام سبعة وعشرون من الأولاد ذكوراً وإناثاً :

١ - ٤ الإمام الحسن والإمام الحسين وزينب الكبرى وزينب الصغرى  
المكناة بأُم كلثوم ، وأمهم فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ .

٥ - محمد بن الحنفية وأمه خولة بنت جعفر .

٦ - ٧ عمر ورقية ، وكانا توأمين ، وأمهما الصهباء ، ويقال أم حبيب  
التغلبية .

٨ - ١٢ أبو الفضل العباس وجعفر وعثمان وعبد الله ، وأمهم فاطمة أم  
البنين بنت حزام بن خالد الكلابية ، استشهدوا يوم الطف في نصرة  
الحسين ﷺ .

١٣ - ١٤ يحيى وعون وأمهما أسماء بنت عميس الخثعمية .

١٥ - ١٦ محمد الأصغر المكنى أبا بكر ، وعبيد الله وأمهما : ليلى  
بنت مسعود الدارمية وقتلا يوم الطف .

١٧ - ٢٠ خديجة وأم هاني وميمونة وفاطمة وأمهن : أم ولد جارية .

٢١ - ٢٢ أم الحسن ورملة وأمهما : أم شعيب الدارمية وقيل : أم  
سعيد وقيل : أم مسعود المخزومية .

٢٣ - ٢٧ نفيسة وزينب الصغرى وأم سلمة وأم الكرام وجماعة لأمهات  
شقي .

وأما أولاده الذين أعقبوا فهم خمسة : الحسن والحسين ﷺ  
ومحمد بن الحنفية والعباس وعمر ، ومات عدد من الأولاد والبنات في أيام  
حياة الإمام ﷺ .

ولم يتزوج علي ﷺ ما دامت الزهراء كانت علي قيد الحياة كرامة  
لها ، كما أن رسول الله لم يتزوج ما دامت خديجة علي قيد الحياة ، ولعل  
السبب في عدم تزويج علي في حياة فاطمة الزهراء هو قول الرسول ﷺ :  
من آذاها فقد آذاني .

هذا والمعروف : أن علياً تزوج بعد وفاة فاطمة الزهراء بنتك بأربع  
حرائر وملك عشر إماء وقد روي في المناقب عن الشيخ المفيد (عليه  
الرحمة) أن أولاده خمسة وعشرون وربما يزيدون على ذلك إلى خمسة  
وثلاثين .

## عليّ (ع) جليس البيت

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله على سيد أنبياء الله محمد وآله آل الله .

حديثنا - الليلة - حول الفترة التي انقضت على أمير المؤمنين عليه السلام وهو جليس البيت ، مسلوب الإمكانات ، وقد ابتدأت تلك الفترة من يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واستيلاء أبي بكر على مسند الحكم ، ولما انقضت أيام أبي بكر أوصى من بعده إلى عمر بن الخطاب فكانت أيام حكمه عشر سنوات وشهوراً ، ولما طعن عمر وأحسّ بالوفاة جعل الخلافة شورى ، ورشع سنة من الصحابة وأمرهم أن يتخبوا واحداً من أنفسهم واليكم التفصيل :

لما علم عمر بن الخطاب بأنه ميت استشار الناس حول تعيين الخليفة ، فأشير عليه بيته : عبد الله بن عمر ، فقال عمر : لاها الله ! لا يليها رجلان من ولد الخطاب ! حسب عمر ما احتجب ، لاها الله ! لا أتحملها حياً وميتاً .

ثم قال : إن رسول الله مات وهو راض عن هؤلاء الستة من قريش : علي ، عثمان ، طلحة ، الزبير ، سعد بن أبي وقاص ، عبد الرحمن بن عوف ، وقد رأيت أن أجعلها شورى بينهم ليختاروا لأنفسهم إماماً .

ثم التفت عمر إلى هؤلاء الستة وقال : أكلكم يطمع في الخلافة ؟ فسكتوا ، فقال لهم ثانية فقالوا : وما الذي يبعدنا منها ؟ وليتها أنت فقتت بها ولنا دونك في قريش ، ولا في السابقة ولا في القرابة .

فقال عمر : أفلا أخبركم عن أنفسكم ؟ قالوا : قل ، فإننا لو استعفيناك لم تعفنا ، فالتفت عمر إلى الزبير وذكر عيوبه ثم التفت إلى طلحة وذكر سوابقه السيئة ثم التفت إلى سعد بن أبي وقاص وذكره بنقائصه ، وحاطب عبد الرحمن بن عوف قائلاً : إنك رجل عاجز تحب قومك !!

ثم التفت إلى علي وقال : وأما أنت يا علي فلو وزن إيمانك بإيمان أهل الأرض لرجحهم ، فقام علي وخرج فقال عمر : والله إنني لأعلم مكان الرجل ، لو وليتموه أمركم لحملكم على المحجة البيضاء . قالوا : من هو ؟ قال : هذا المولى من بينكم . قالوا : فما يمنعك من ذلك ؟ قال : ليس إلى ذلك من سبيل .

وفي رواية ابن أبي الحديد : ثم أقبل على علي بن أبي طالب فقال : الله أنت !! لولا دعاية فيك أما والله لئن وليتهم لتحملتهم على الحق الواضح والمحجة البيضاء .

ثم أقبل عمر على عثمان وقال : أما أنت يا عثمان - فوالله - لروثة خير منك !!

هؤلاء الذين مات رسول الله وهو راض عنهم !! وقد ذكرنا ما يتعلق بهذا الموضوع في الجزء الأول من شرح نهج البلاغة .

التفت عمر وقال : ادعوا لي أبا طلحة الأنصاري . فدعوه فقال له : أنظر يا أبا طلحة إذا حدثتم من حفرتي (دفني) فكن في خمسين رجلاً من الأنصار حاملي سيوفكم ، فخذ هؤلاء النفر - الستة - بإمضاء هذا الأمر وتعجيله ، واجمعهم في بيت واحد ، فإن اتفق خمسة وأبى واحد فاضرب

عنقه ! وإن اتفق أربعة وأبى إثنان فاضرب أعناقهما ! وإن اتفق ثلاثة وخالف ثلاثة فانظر الثلاثة التي فيها عبد الرحمن بن عوف فارجع إلى ما اتفقت عليه !! فإن أصرت الثلاثة الأخرى على خلافها فاضرب أعناقها ، وإن مضت ثلاثة أيام ولم يتفقوا فاضرب أعناق الستة ودع المسلمين يختاروا لأنفسهم !!!

كان هذا هو القرار الصادر بحق الستة الذين مات رسول الله ﷺ وهو راض عنهم !! .

ومات عمر ، ولما دفن ، جمع أبو طلحة المرشحين للخلافة في بيت عائشة ، ووقف هو على باب البيت في خمسين رجلاً حاملي سيوفهم ولما استقر المجلس بهؤلاء الستة وقبل الشروع في الكلام نادى عمار بن ياسر - من وراء الباب - : إن وليتموها علينا سمعنا وأطعنا ، وإن وليتموها عثمان سمعنا وعصينا ، فقام الوليد بن عقبة وقال : يا معشر الناس : أهل الشورى إن وليتموها عثمان سمعنا وأطعنا ، وإن وليتموها علينا سمعنا وعصينا .

فانتهره عمار وقال له : متى كان مثلك يا فاسق يعترض أمور المسلمين وشتات جمعها ؟؟ .

وتسأبا جميعاً وتناوشا حتى حيل بينهما .

فقال المقداد - من وراء الباب - : يا معشر المسلمين إن وليتموها أحداً من القوم فلا تولوها من لم يحضر بداراً ، وانهزم يوم أحد ولم يحضر بيعة الرضوان ، وولى الدبر يوم التقى الجمعان فقال عثمان !! أما والله لئن وليتها لأردنك إلى ربك الأول !!!

أما طلحة فإنه كان يعلم أن الخلافة لا تصل إليه مع وجود علي أمير المؤمنين عليه السلام وعثمان ، فلماذا أشهد القوم على نفسه : أنه قد وهب حقه من الشورى لعثمان ، وإنما فعل ذلك تقوية لجانب عثمان .

وأما الزبير فكان ابن عمه أمير المؤمنين ولما رأى ما صنعه طلحة

لعثمان وهب هو حقه من الشورى إلى أمير المؤمنين فقال : أنا أشهدكم  
أني قد وهبت حقي من الشورى لعلي .

فتساوى الجانبان ولكل منهما صوت واحد ، فبقي عبد الرحمن بن  
عوف وسعد بن أبي وقاص ، فوهب سعد حقه لعبد الرحمن بن عوف لأن  
سعداً كان يعلم أن الخلافة لا تتم له . فقال عبد الرحمن لأمير المؤمنين  
وعثمان : أيكما يخرج نفسه من الخلافة ويكون إليه الاختيار في الإثنين  
الباقيين ؟؟ فلم يتكلم منهما أحد ، فقال عبد الرحمن : أشهدكم أنني قد  
أخرجت نفسي من الخلافة على أن اختار أحدهما .

فبدأ بعلي عليه السلام وقال له : وأبايعك على كتاب الله وسنة النبي وسيرة  
الشيخين : أبي بكر وعمره فقال علي : بل على كتاب الله وسنة النبي  
واجتهاد رأيي .

فعدل عبد الرحمن عنه ، فعرض ذلك على عثمان فقال : نعم . فعاد  
عبد الرحمن إلى علي ، فأعاد عليّ قوله ، فعلم ذلك عبد الرحمن ثلاث  
مرات فلما رأى أن علياً غير راجع عما قاله وأن عثمان ينعم له بالإجابة  
صفق على يد عثمان وقال له : السلام عليك يا أمير المؤمنين .

فقال علي عليه السلام لعبد الرحمن : والله ما فعلتها إلا لأنك رجوت منه ما  
رجى صاحبكما من صاحبه . ثم دعى عليه وقال : دق الله بينكما عطر  
منشم . أشار عليه السلام إلى سبب تقديم عبد الرحمن لعثمان على علي عليه السلام  
وذكر أن السبب في بيعة عبد الرحمن لعثمان كالسبب في بيعة عمر لأبي  
بكر أي كما أن عمر بايع أبا بكر يوم السقيفة ليرد أبو بكر الخلافة إلى عمر  
وقد فعل ، كذلك كان يرجو عبد الرحمن من عثمان أن يرد الخلافة إليه  
عند موته فدعى عليهما أن يفسد ما بينهما ، لأن منشم - بكسر الميم - إسم  
إمراة عطارة بمكة وكانت خزاعة وجرهم إذا أرادوا القتال تطيبوا من طيبها ،  
وكانوا إذا فعلوا ذلك كثرت القتلى فيما بينهم حتى صار يضرب به العشل  
فيقال أشام من عطر منشم .

واستجاب الله دعاء الإمام عليه السلام ففسد بعد ذلك بين عبد الرحمن  
وعثمان فلم يكلم أحدهما صاحبه حتى مات عبد الرحمن .

لأن عثمان بنى قصره (طمار) والزوراء ، وصنع طعاماً كثيراً ودعا  
الناس إليه فكان فيهم عبد الرحمن ، فلما نظر إلى البناء والطعام قال : يا  
ابن عفان لقد صدقتنا عليك ما كنا نكذب فيك ، وإني أستعيز بالله من  
بيعتك فغضب عثمان وقال : أخرجني يا غلام ، فأخرجوه ، فأمر عثمان  
الناس أن لا يجالسوه . . .

وللإمام أمير المؤمنين عليه السلام احتجاج مفصل في يوم الشورى المذكور في  
(كتاب الاحتجاج للطبرسي) يذكر فيه فضائله وفواضله ومناقبه وخصائصه  
وينشد الناس ذلك فيحلف له الناس على صدق كلامه وقد اشتهر بحديث  
المناشدة ورعاية للاختصار لم نذكره .

هذه خلاصة يوم الشورى وقد ذكرناها كما هي بدون أي تعليق ولما  
انتقلت الخلافة إلى عثمان بن عفان واشتروطوا عليه العمل بكتاب الله وسنة  
النبي عليه السلام وسيرة الشيخين فما مضت مدة وإذا به يخالف الكتاب والسنة  
والشيخين فكان من أعماله أنه ضرب عمار بن ياسر ضرباً شديداً ، وضربه  
برجليه وهما في الخف على بطنه حتى أفتق عمار وأغمي عليه وما زال  
مغمى عليه حتى فاتته صلاة الظهر والعصر والمغرب ، وأمر بتسيير أبي ذر  
إلى الشام ثم أمر بإرجاعه إلى المدينة فساروا به سيراً حثيثاً بلا نزول ولا  
راحة ولا نوم فلما وصل إلى المدينة ، تناثر لحم فخذه ورجليه ، وبعد  
ذلك أمر بتسفيره إلى الرينة وهي منطقة ردية الماء والهواء لا زرع فيها ولا  
كلاء فمات أبو ذر هناك جوعاً ولم يحضره أحد سوى إبنته الصغيرة .

ومنها إحراقه المصاحف (القرائين) ومنها ضربه عبد الله بن مسعود  
الصحابي الجليل وقطعه عطاءه مدة سنتين .

ومنها تسليطه أقاربه وأرحامه على رقاب المسلمين يلعبون بدمائهم

وأموالهم ، ويصلون بالمسلمين في حالة السكر ، ويتقيشون الخمر في المحراب .

ومنها أنه بذل من بيت مال المسلمين أربع ملايين وثلاثمائة وعشرة آلاف دينار (٤,٣١٠,٠٠٠) ومائة وستة وعشرين مليون وسبع مائة وسبعين ألف درهم (١٢٦,٧٧٠,٠٠٠) كل ذلك من بيت مال المسلمين وهبها لابن الزرقاء الزانية مروان بن الحكم ونظرائه من أقارب عثمان وبناته ، إلى غير ذلك من المآسي التي يطول الكلام بذكرها .

فأحدثت أعماله في قلوب المسلمين ثورة ونقمة وفي طبعة الناقلين عليه عائشة وطلحة والزبير وغيرهم من المسلمين .

ولهذا كانت عائشة تحرض الناس على عثمان وتخرج قميص رسول الله ﷺ على قصبه وتقول : أيها المسلمون إن عثمان غير سنة رسول الله وهذا ثوبه لم يبيل بعد !

واجتمع المسلمون من مصر والبصرة والكوفة وقصدوا نحو المدينة يريدون مقابلة عثمان ، فجاء إليهم مروان وقابلهم بالكلام الخشن وأجابوه بالسب والشتم . واستمر الثوار يحاصرون دار عثمان ، وفي تلك الأيام خرجت عائشة إلى الحج وهي تقول : أقتلوا نعتلاً قتله الله ، أقتلوا نعتلاً فقد كفر .

لم يستطع الثوار أن يقابلوا عثمان إلا بعد أن تدخل علي بن أبي طالب في القضية وبذل ما في وسعه للإصلاح بين عثمان والثوار . فذهبت المساعي أدراج الرياح وكتب عثمان إلى والي مصر يأمره بقطع الأيدي والأرجل من بعض الثائرين بعد أن وعدهم أن ينزل عند رغبتهم ويلبي طلباتهم القانونية وحقوقهم المشروعة ، فرجع الثوار وتفرقوا راضين عن عثمان وفي أثناء الطريق وجدوا غلام عثمان ففتشوه فوجدوا عنده ذلك الكتاب فرجعوا وقد أخذ الغضب منهم مأخذاً عظيماً ، ولما علم علي بن أبي طالب بذلك انسحب عن الفتنة ، واقترب الثوار من دار عثمان ومنعوا أحداً يدخل عليه أو يخرج من

بيته ، فصعد عثمان على السطح وقال : من يبلغ علياً ليرسل إلينا الماء . فوصل الخبير إلى علي فأرسل ولديه الحسن والحسين وغلّامه قنبر يحمل كل واحد منهم قربة من الماء . وأراد الثوار أن يمتنعوهم من الدخول ، ولكن كرامة لرسول الله أذنوا لهم بإيصال الماء إلى عثمان ، وأمر علي عليه السلام ولديه أن يقفا على باب دار عثمان يحرسانه من هجوم الثوار عليه .

وأخيراً وجد المحاصرون طريقاً إلى دار عثمان من الدار المجاورة له وهجموا عليه يقدمهم محمد بن أبي بكر وقتلوا عثمان فينا لله وإنا إليه راجعون .

كان موقف علي عليه السلام مقابل أعمال عثمان موقف المصلح الناصح الشفيق ، وكثيراً ما كان الإمام يحول بينه وبين تصرفاته غير المرضية ، وخاصة في تلك الأيام الأخيرة استطاع الإمام - بعد شق الأنف - أن يرفع سوء التفاهم بين عثمان والثوار المصريين والبصريين والكوفيين ، ويلطف العجز ، ووجد لهم حلاً صحيحاً يحسم نزاعهم ويعيد المياه إلى مجاريها .

ورجع الثوار إلى بلادهم راضين شاكرين لعلي عليه السلام موقفه الإصلاحية في قضيتهم ومشكلتهم ، ولما وجدوا كتاب عثمان بيد غلامه رجعوا إلى المدينة فأرسل عثمان إلى علي يطلب منه التدخل في القضية فخرج علي والتقى بالثوار وسألهم عن سبب رجوعهم فأبرزوا كتاب عثمان وفيه يأمر عثمان بقطع أيدي المصريين وأرجلهم وقتل جماعة آخرين فجاء بهم علي وأدخلهم على عثمان وأبرز له ذلك الكتاب ، فلما نظر إليه عثمان قال : الخاتم خاتمي ، والغلام غلامي ، والخط خط كاتي ، ولا علم لي بالكتاب ! فقال له الإمام عليه السلام : فمن تنهم ؟ قال عثمان - لعلي عليه السلام : أنتهم وأنهم كاتي ! فقام علي مغضباً وقال : بل هو فعلك .

واعنزل الإمام تلك الفتنة ، ولما استسقاء عثمان أرسل علي عليه السلام سيدي شباب أهل الجنة إني رسول الله الحسن والحسين يحملان الماء إلى دار عثمان ويحرسانه من تلك الفتنة .

وقد تقدم كل هذا ، ومع هذا كله وغير هذا مما لم تذكره هنا كان  
أعداء علي يتهمونه يقتل عثمان ويطلبون منه الثأر ، فأقاموا المجازر  
والمذابح التي أمطرت السماء فيها دماً ، وكاد نسل العرب أن ينقرض ،  
ولقد بلغ عدد القتلى والضحايا في هذه الحروب أكثر من مائة وستين ألف  
رجل ولا تسأل عن عوائل هؤلاء وأيتامهم وما هناك من ويلات ومصائب  
والتفصيل في الليلة القادمة إن شاء الله تعالى .

## علي (ع) يوم الجمل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على كل حال وصلى الله على محمد وآله الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

إنتهى بنا الكلام في الليلة الماضية حول وفاة عثمان ، وكانت مدة خلافته إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً وثمانية عشر يوماً .

اجتمعت الصحابة ... بعد قتل عثمان - في مسجد رسول الله ﷺ وتشاوروا في أمر الإمامة ، فأشار بعضهم بعلي بن أبي طالب وهم : عمار بن ياسر وأبو أيوب الأنصاري ، وأبو الهيثم بن التيهان وغيرهم ، فذكروا سابقة علي بن أبي طالب وفضله وجهاده ، فأجابهم الناس إليه ، فقام كل واحد منهم خطيباً يذكر فضل علي ، فمنهم من فضله على أهل عصره ، ومنهم من فضله على جميع المسلمين عامة ، فأتى الناس علياً ليبايعوه ، فقال علي بن أبي طالب : دعوني والتمسوا غيري ، فإننا مستقبلون أمراً له وجوه ، وله ألوان لا تقوم له القلوب .

فقالوا : ننتدك الله : ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى الفتنة ؟ ألا

تخاف الله ؟

وقال الشعبي : أقبل الناس إلى علي بن أبي طالب ليبايعوه ، ومالوا إليه ، فمدوا يده فكفها ، وبسطوها فقبضها حتى بايعوه .

قال بنو هاشم : لا حاجة لي في إمرتكم ، فمن اخترتم رضيت به .

فقالوا : ما نختار غيرك . وترددوا إليه مراراً ، وقالوا : والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك . فقال بنو هاشم : ففي المسجد فإن بيعتي لا تكون خفية ، ولا تكون إلا في المسجد - وكان في بيته - فخرج إلى المسجد ، وعليه قميص وعمامة خز ، ونعلاه في يده ، متوكئاً على قوسه ، فبايعه الناس ، وكان أول من بايعه من الناس : طلحة ، ثم الزبير ثم بايعه المهاجرون والأنصار وسائر المسلمين .

ولما أراد طلحة والزبير أن يبايعا قال لهما أمير المؤمنين : إن أحببنا أن تبايعاني وإن أحببنا بايعتكما ؟ فقالا : بل نبايعك .

وجاؤوا بسعد بن أبي وقاص فقال له علي : بايع . قال : لا حتى يبايع الناس ، والله ما عليك مني بأس . فقال الإمام : خلوا سبيله .

وجاؤوا بعبد الله بن عمر فقالوا : بايع . فقال : لا ، حتى يبايع الناس فقال بنو هاشم : إئتني بكفيل . قال : لا أرى كفيلاً . فقال الأشر : دعني أضرب عنقه . فقال الإمام : دعوه أنا كفيله ۱۱۱ .

كان الإزدحام على الإمام بصورة مدهشة ، وكساد الناس أن يقتل بعضهم بعضاً من شدة الإزدحام .

فبيع له بالخلافة يوم الجمعة لثمانية عشر من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة .

ومن ذلك اليوم نهض علي بن أبي طالب بأعباء الخلافة ، وأول خطوة تقدم بها الإمام إلى العدالة هو تقسيم بيت المال بين المسلمين بالسوية وذلك في اليوم الثاني من بيعته ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وكان مما قال :

أما بعد ، لما قبض رسول الله ﷺ استخلف الناس أبا بكر ، ثم استخلف أبو بكر عمر ، فعمل بطريقه ، ثم جعلها شورى بين ستة ، فأفضى الأمر إلى عثمان ، فعمل ما أنكرتم وعرفتم ، ثم حصر ، ثم قتل ، ثم جثموني فطلبتم إلي ، وإنما أنا رجل منكم ، لي ما لكم وعلي ما عليكم . . . إلخ . . .

ثم التفت يميناً وشمالاً فقال : ألا لا يقولن رجال منكم قد غمستهم الدنيا فاتخذوا العقار وفجروا الأنهار وركبوا الخيول الفارحة ، واتخذوا الوصائف الروقة فصار ذلك عليهم عاراً وشناراً إذا منعتم ما كانوا يخوضون فيه ، وأصبرتهم إلى حقوقهم التي يحملون ، فينقمون ذلك ويستنكرون ويقولون : حرمانا ابن أبي طالب حقوقنا !!

ألا وأيما رجل استجاب لله وللرسول ، فصنق ملتنا ، ودخل في ديننا واستقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده ، فأنتم عباد الله والمال مال الله ، يقسم بينكم بالسوية ، لا فضل لأحد على أحد ، وللمتقين غداً أحسن الجزاء وفضل الثواب .

وإذا كان غد - إن شاء الله - فأغدوا علينا ، فإن عندنا مالاً نضمه فيكم ، ولا يتخلفن أحد منكم ، عربي ولا عجمي ، كان من أهل المعطاء أو لم يكن ، إذا كان مسلماً حراً إلا حضر ، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم .

وعن عمار وابن عباس قالا : إنه ﷺ لما صعد المنبر قال لنا : قوموا فتخللوا الصفوف ، ونادوا هل من كاره ؟ فتصارع الناس من كل جانب : اللهم قد رضينا وسلمنا وأطعنا رسولك وابن عمه ، فقال ﷺ : قم يا عمار إلى بيت المال ، فاعط الناس ، ثلاثة دنانير لكل إنسان وادفع لي ثلاثة دنانير !!

فمضى عمار وأبو الهيثم وجماعة من المسلمين إلى بيت المال ، ومضى أمير المؤمنين إلى مسجد قباء يصلي فيه ، فوجدوا ثلاثمائة ألف

دينار ، ووجدوا الناس مائة ألف فقال عمار : جاء والله الحق من ربكم ،  
والله ما علم بالمال ولا بالناس وإن هذه الآية وجبت عليكم بها طاعة  
الرجل .

أول شيء كرهه الناس من أمير المؤمنين تقسيمه العطاء بالسوية فقد  
قال سهل بن حنيف : يا أمير المؤمنين هذا غلامي بالأمس وقد أعتقته اليوم  
فقال : نعطيته كما نعطيك !

وأمر الإمام أن يبدأوا في العطاء بالمهاجرين ثم يثون بالأنصار ثم من  
حضر من الناس كلهم الأحمر والأسود .

تخلف من هذه القسمة يومئذ طلحة والزبير وعبد الله بن عمر  
وسعيد بن العاص ومروان بن الحكم ورجال من قريش ، ومن هنا بدأت  
الفرقة ونشب الخلاف ، وتولدت الفتنة .

وأقبل هؤلاء وجلسوا في ناحية من المسجد ، ولم يجلسوا عند  
علي بن أبي طالب ثم قام الوليد بن عقبة فجاء إلى الإمام فقال : يا أبا الحسن إنك  
قد وترتنا جميعاً ، أما أنا : فقتلت أبي يوم بدر صبراً ، وخذلت أخي يوم  
الدار بالأمس ، وأما سعيد فقتلت أباه يوم بدر في الحرب وكان ثور قريش ،  
وأما مروان فسخطت أباه عند عثمان إذ ضمه إليه ، ونحن إخوانك ونظراؤك  
من بني عبد مناف ، ونحن نبايعك اليوم على أن تضع عنا ما أصبناه من  
المال في يوم عثمان وأن تقتل قتلة عثمان ، وإنا إن خفناك تركناك والتحقنا  
بالشام .

فقال بنو أمية : أما ما ذكرتم من وتري إياكم فالحق وتركم ، وأما وضعي  
عنكم ما أصبتم فليس لي أن أخضع حق الله عنكم ولا عن غيركم ، وأما  
قتلي عثمان فلو لزمني قتلهم اليوم لقتلتهم أمس ، ولكن لكم علي إن  
خفتعوني أن أؤمنكم ، وإن خفتكم أن أسيركم . فقام الوليد إلى أصحابه  
فحدثهم ، فافترقوا على إظهار العداوة وإشاعة الخلاف ، لأن عماراً  
وعبد الله بن رافع وغيرهما لما قسموا المال بين الناس بالسوية أخذ

علي عليه السلام مكنه ومسحاته ثم انطلق إلى بئر الملك فعمل فيها فأخذ الناس ذلك القسم حتى بلغوا الزبير وطلحة وعبد الله بن عمر فأمسكوا بأيديهم ، وامتنعوا عن القبول وقالوا : هذا منكم أو من صاحبيكم ؟ فقالوا : هذا أمره ، لا نعمل إلا بأمره ، قالوا إستأذنوا لنا عليه . قالوا : ما عليه إذن ، هو بئر الملك يعمل ، فركبوا دوابهم حتى جاؤوا إليه فوجدوه في الشمس ومعه أجير له ، فقالوا : إن الشمس حارة ، فارتفع معنا إلى الظل . فارتفع معهم إلى الظل ، فقالوا له : لنا قرابة من نبي الله ، وسابقة وجهاد ، وإنك أعطيتنا بالسوية ، ولم يكن عمر ولا عثمان يعطوننا بالسوية ، كانوا يفضلوننا على غيرنا .

فقال عليه السلام : فهذا قسم أبي بكر ، وإلا تدعوا أبا بكر وغيره ، وهذا كتاب الله فانظروا ما لكم من حق فخذوه .

قالوا : فسابقتنا .

قال : أنتم أسبق مني ؟

قالا : لا ، فقرابتنا من النبي .

قال : أقرب من قرابتي ؟

قالا : لا ، فجهادنا .

قال : أعظم من جهادي ؟

قالا : لا ، قال : فوالله ما أنا في هذا المال وأجيري إلا بمنزلة

سواء .

وفي اليوم الثاني جاء طلحة والزبير وجلسا في ناحية المسجد ، وجاء مروان بن الحكم وسعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير وجلسوا عندهما ، وكان هؤلاء قد امتنعوا عن أخذ قسمتهم من بيت المال وجعلوا يطعمون في أمير المؤمنين عليه السلام والتفت عمار بن ياسر إلى أصحابه وهم جلوس عنده

في ناحية أخرى من المسجد قائلًا : هلموا إلي هؤلاء نفر من إخوانكم فإنه قد بلغنا عنهم ورأينا ما نكره من الخلاف والظعن لإمامهم ، وقد دخل أهل الجفاء بينهم وبين الزبير والأعسر العاق (طلحة) .

قام عمار ومن معه حتى جلسوا عندهم فنكلم أبو الهيثم وقال : إن لكم لقدماً في الإسلام ، وسابقة وقراية من أمير المؤمنين ، وقد بلغنا عنكم ظعن وسخط لأمير المؤمنين ، فإن يكن أمر لكما خاصة ، فعاتبا ابن عمكما ، وإمامكما ؟ وإن تكن النصيحة للمسلمين فلا تؤخروه عنه ونحن عون لكما فقد علمنا أن بني أمية لن تنصحكما أبداً ، وقد عرفتما . . فقال أحمد : قد عرفتما عداوتهم لكما ، وقد شركتما في دم عثمان . وملاتما .

فسكت الزبير ، وصاح طلحة - بصوت عالٍ - : إفزعوا جميعاً مما تقولون ، فإنني قد عرفت إن في كل واحد منكم خطبة .

فتدخل عمار وأبدي النصيحة ، وتقدم ابن الزبير ونكلم بكلام خشن فأمر عمار بإخراج ابن الزبير من المسجد ، فقام الزبير منزعجاً من هذا العمل وخرج من المسجد ، فقال عمار : لو لم يبق أحد إلا خالف علي بن أبي طالب لما خالفته ، ولا زالت يدي مع يده ، وذلك أن علياً لم يزل مع الحق منذ بعث الله نبيه محمد ﷺ فإنني أشهد أن لا ينبغي لأحد أن يفضل عليه أحداً .

فتام عمار وجماعة وجاؤوا إلى أمير المؤمنين ، وأخبروه بانشقاق القوم وأنهم كرهوا الأسوة والقسمة بالسوية إلى آخر كلامهم .

فخرج الإمام ودخل المسجد وصعد المنبر وقال - بعد الحمد والثناء على الله - : يا معشر المهاجرين والأنصار : أتحنون على الله ورسوله بإسلامكم ؟ بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين ، أنا أبو الحسن - وكان يقولها إذا غضب - .

ألا إن هذه الدنيا التي أصبحت تمنونها ، وترغبون فيها ، وأصبحت

تغضبكم وترضيكم ليست بداركم ولا منزلكم الذي خلقتم له ، فلا تغرنكم . وأما هذا النبي ، (المال) فليس لأحد إثرة . فقد فرغ الله من قسمته فهو مال الله ، وأنتم عباد الله المسلمون وهذا كتاب الله ، به أقررنا وله أسلمنا ، وعهد نبينا بين أظهرنا فمن لم يرض فليتول كيف شاء ، فإن العامل بطاعة الله الحاكم بحكم الله لا وحشة عليه !!!

نزل الإمام عن المنبر وصلى ركعتين ثم بعث بعمار بن ياسر إلى طلحة والزبير وهما في ناحية المسجد ، فدعاهما ، فجاء طلحة والزبير ، وجلسا عند أمير المؤمنين عليه السلام فقال الإمام : نشدتكما الله ؟ هل جئتماني طائعين للبيعة ودعواتي إليها وأنا كاره لها ؟ فقال الرجلان : نعم . فقال الإمام : غير مجبورين ولا معسورين ، فأسلمتما لي ببيعتكما أعطيتماني عهدكما ؟؟ فقال الرجلان : نعم .

فقال الإمام : فما دعاكما إلى ما أرى ؟ فقال الرجلان : أعطيناك بيعتنا على أن لا تقضي في الأمور ، ولا تقطعها دوننا ، وأن تستشيرنا في كل أمر ، ولا تستبد بذلك علينا ، ولنا من الفضل على غيرنا ما قد علمت فأنت تقسم القسم وتقطع الأمور وتقضي الحكم بغير مشاورتنا ولا علمنا !!! فقال الإمام - غاضباً : لقد نعمتما يسيراً ، وأرجأتما كثيراً ، فاستخفرا الله يغفر لكما ، ألا تخبراني أدفعتكما عن حق واجب لكما فظلمتكما إياه ؟ فقال الرجلان : معاذ الله . فقال الإمام : فهل استأثرت من هذا المال بشيء ؟ فقال الرجلان : معاذ الله ، فقال الإمام : أفوقع حكم أوحد من المسلمين فجهلته أو ضعفت فيه ؟ فقال الرجلان : معاذ الله . فقال الإمام : فما الذي كرهتما من أمري حتى رأيتما خلافي ؟

فقال الرجلان : خلافتك عمر بن الخطاب في القسم ، إنك جعلت حقنا في القسم ، كحق غيرنا ، وسويت بيتنا وبين من لا يماثلنا فيها ما أفاء الله تعالى بأسواقنا ورماحنا ، وأوجفنا عليه بخيلنا ورجلنا ، وظهرت عليه دعوتنا ، وأخذناه قسراً وقهراً ممن لا يرى الإسلام إلا كرهاً .

فقال الإمام : أما ما ذكرتماه من الاستشارة بكما فوالله ما كانت لي في الولاية رغبة ولكم دعوة تمنيوني إليها وجعلتموني عليها ، فخفت أن أردكم فتختلف الأمة فلما أفضت إلي نظرت في كتاب الله وسنة رسوله فأمضيت ما دلاني عليه واتبعته ، ولم أحتج إلى رأيكما فيه ولا رأي غيركما ، ولو وقع حكم ليس في كتاب الله بيانه ولا في السنة برهانه واحتجج إلى المشاورة لشاورتكما فيه .

وأما القسم والأسوة : فإن ذلك أمر لم أحكم فيه بادئ بدء ، قد وجدت أنا وأنتما رسول الله ﷺ يحكم بذلك ، وكتاب الله ناطق به ، وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

وأما قولكما : «جعلت فينا وما أفاءته سيوفنا ورماحنا سواء بيننا وبين غيرنا» فقد سبق إلى الإسلام قوم ، ونصروه بسيوفهم ورماحهم فلا فضلهم رسول الله بالقسم ، ولا أثر بالسيف ، والله سبحانه صوف السابق والمجاهد يوم القيامة بأعمالهم وليس لكما والله عندي ولا لغيركما إلا هذا ، أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق وألهمنا وإياكم الصبر ، رحم الله امرء رأى حقاً فاعان عليه ، ورأى جوراً فردّه ، وكان عوناً للحق على من خالفه .

قام طلحة والزبير وانصرفا من عند أمير المؤمنين عليه السلام وهما مغضبان ساخطان ، وقد عرفا ما كان غلب في ظنهما من رأيه وبعد يومين جاء واستأذنا عليه فأذن لهما ، فقالا :

يا أمير المؤمنين : قد عرفت حال هذه الأزمنة وما نحن فيه من الشدة ، وقد جئناك لتدفع إلينا شيئاً نصلح به أحوالنا ونقضي به حقوقاً علينا . فقال أمير المؤمنين : قد عرفتما مالي بـ (ينبع) فإن شئما كتبت لكما منه ما تيسر . فقالا : لا حاجة لنا في مالك بـ (ينبع) فقال أمير المؤمنين : ما أصنع؟ فقالا : إعطنا من بيت المال شيئاً لنا فيه كفاية . فقال أمير

المؤمنين : سبحان الله وأي يد لي في بيت مال المسلمين ؟ وأنا خازنهم وأمين لهم ، فإن شئتما رقيتما الحنير وسألتما ذلك من الناس ما شئتما فإن أذنوا فيه فعلت ، وأنى لي بذلك وهو لكافة المسلمين شاهدتهم وغائبهم ؟ ولكني أبدي لكما عذراً ، فقالا : ما كنا بالذي نكلفك ذلك ، ولو كلفناك لما أجابك المسلمون . فقال أمير المؤمنين : فما أصنع ؟ فقالا : سمعنا ما عندك .

ثم خرج الرجلان من دار أمير المؤمنين ، وقد يشا من بيت المال ، فجعلا يفكران في كيفية الخروج إلى مكة ، والإلتحاق بعائشة ، إلى أن صار رأيهما على هذا وجاءا إلى أمير المؤمنين سئله وقت خلوته وقالا : قد جئناك نستأذنك للخروج في العمرة ، لأننا بعيدا العهد بهما . فأذن لنا فيها . . . فنظر أمير المؤمنين في وجهيهما ، وقرأ الغدر من فلتات لسانهما ودوران عيونهما ، وقد احمر وجهه ولاح الغضب فيه فقال : والله ما تريدان العمرة ، ولكنكما تريدان الغدرة ، وإنما تريدان البصرة . فقال الرجلان : اللهم غفراً ، ما نريد إلا العمرة . فقال أمير المؤمنين : إحتلنا لي بالله العظيم أنكما لا تفسدان علي أمر المسلمين ، ولا تنكثان لي ببيعة ولا تسميان في فتنه . فحلفا بالإيمان المؤكدة فيما استحلّفهما عليه من ذلك فخرج الرجلان من عنده ، فلقيهما ابن عباس سائلاً : أذن لكما أمير المؤمنين ؟ فقالا : نعم . ودخل ابن عباس على الإمام فابتدأ الإمام سئله قائلاً : يا ابن عباس : أعينك الخبر ؟ فقال ابن عباس : قد رأيت طلحة والزبير . فقال أمير المؤمنين : إنهما استأذنا في العمرة ، فأذنت لهما بعد أن أوثقت منهما بالإيمان أن لا يغدرا ولا ينكثا ولا يحدثا فساداً - وبعد هنيئة قال - والله يا ابن عباس : إني لأعلم أنهما ما قصدا إلا الفتنة ، فكأنني بهما وقد صارا إلى مكة ليعيا إلى حربي ، فإن يعلى بن منه الخائن الفاجر قد حمل أموال العراق وفارس لينفق ذلك ، ويبفسد هذان الرجلان علي أمري ، ويسفكان دماء شيعتي وأنصاري ، فقال ابن عباس : إذا كان ذلك عندك يا أمير المؤمنين معلوماً ، فليَم أذنت لهما ؟ هلا حبستهما ، وأوثقتهما

بالحديد ، وكفيت المؤمنين شرهما ؟ فقال أمير المؤمنين متعجباً : يا ابن عباس أتأمرنني بالظلم أبداً ؟ وبالسبب قبل الحسنة ؟ وأعاقب على الظنة والتهمة ؟ وأؤخذ بالفعل قبل كونه ؟ كلا والله ، لا عدلت عما أخذ الله علي من الحكم والعدل ، ولا ابتداً بالفصل ، يا ابن عباس : إنني أذنت لهما وأعرف ما يكون منهما ، ولكنني استظهرت بالله عليهما والله لأقتلنهما ولأخيين ظنهما ، ولا يلتزمان من الأمر مناهما ، وإن الله يأخذنهما بظلمهما لي ، ونكثهما بيعتي وبغيهما علي .

خرج الرجلان من المدينة متوجهين إلى مكة ، فوجدا بني أمية قد أحاطوا بعائشة ، ولحق بها جماعة من منافقي قريش ، ولحق بها عبد الله بن عمر بن الخطاب وأخوه عبيد الله ومروان بن الحكم وأولاد عثمان وعبيده وخاصته من بني أمية ، وجعلوا عائشة ملجأ لهم فيما دبروه من كيد أمير المؤمنين <sup>عليه السلام</sup> ، وصار كل من يبغض علياً أو يكرهه أو يحسده أو يخاف منه استيفاء الحقوق منه ، يلتحق بهذه الجماعة ، وعائشة تنعى عثمان وتبرأ من قاتله وتحرض الناس على عداوة أمير المؤمنين ، وتظهر بأن علياً قتل عثمان ظلماً .

وكانت عائشة لما وصلت إلى مكة ، وأدت مناسك الحج ، ولما فرغت بلغها خبر قتل عثمان استبشرت وقالت للناعي : قتلته أعماله ، إنه أحرق كتاب الله ، وأمات سنة رسول الله فقتله الله ، ومن بايع الناس ؟ .

فقال الناعي : لم أبرح من المدينة حتى أخذ طلحة بن عبيد الله نجاجاً لعثمان ، وعمل مناتيح لأبواب بيت المال ولا شك أن الناس بايعوه . فقالت عائشة - وهي فرحانة - : بعداً لنعل وسحقاً ! إيه ذا الأصبع ! إيه أبا شبل ! إيه ابن عم ! الله أبوك يا طلحة ، أما إنهم وجدوا طلحة لها كفواً ، لكمانني أنظر إلي إصبعه وهو يبائع أحسوها لا بل دغدغوها ! وجدوك لها محصناً ولها كافياً ، شدوا رحلي فقد قضيت عمري ، لأتوجه إلى منزلي .

سارت عائشة حتى إذا وصلت إلى موضع يقال له : (شرفاء) لقيها

رجل يقال له : عبيد بن أم كلاب ، فسألته عائشة :

ما الخبر ؟

فقال الرجل : قتل عثمان .

فقالت عائشة قتل نعمثل !!! أخبرني عن قصته وكيف كان أمره ؟ فقال الرجل : لما أحاط الناس بالدار ، رأيت طلحة بن عبيد الله قد غلب علي الأمر ، واتخذ مفاتيح علي بيوت الأموال والخزائن ، وتهياً لبياع له ، فلما قتل عثمان مال الناس إلى علي بن أبي طالب ، ولم يعدلوا به طلحة ولا غيره ، وخرجوا في طلب علي يقدمهم الأشتر ومحمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر حتى إذا أتوا علياً وهو في بيت سكن فيه فقالوا له : بايعنا علي الطاعة لك ، وكان علي ~~سنة~~ يتفكر ساعة .

فقال الأشتر : يا علي إن الناس لا يعدلون بك غيرك فبايع قبل أن تختلف الناس .

وكان في الجماعة طلحة والزبير ، فظننت أن سيكون بين طلحة والزبير وعلي بن أبي طالب كلام قبل ذلك ، فقام طلحة والزبير فبايعا ، وأنا أرى أيديهما على يد علي يصفقانهما بيحته .

ثم صعد علي بن أبي طالب المنبر ، فتكلم بكلام لا أحفظ إلا أن الناس بايعوه يومئذ علي الحنبر وبايعوه من الغد ، فكلما كان اليوم الثالث خرجت ولا أعلم . فقالت عائشة : لوددت أن السماء انطبقت علي الأرض إن نم هذا !! أنظر ماذا تقول ؟ فقال الرجل : هو ما قلت لك يا أم المؤمنين . فقالت عائشة : إنا لله ، أكره والله الرجل ، وغضب علي بن أبي طالب أمرهم ، وقتل خليفة الله مظلوماً ! ردوا بغالي ردوا بغالي !! فقال الرجل : ما شأنك يا أم المؤمنين ؟ والله ما أعرف بين لابيتها أحداً أولى بها من علي ، ولا أحق ، ولا أرى له نظيراً فلماذا تكرهين ؟ . عائشة لا ترد جواباً ، وعزمت علي الرجوع إلى مكة ، وفي طريقها رآها قيس بن حازم

فقال عائشة تخاطب نفسها : قتلوا ابن عفان مظلوماً . فقال قيس : يا أم المؤمنين ألم أسمعك آنفاً تقولين : أبعده الله ؟ وقد رأيتك قبل أشد الناس عليه ، وأقبحهم فيه قولاً . فقالت عائشة : لقد كان ذلك ، ولكن نظرت في أمره فرأيتهم استتابوه حتى إذا تركوه كالفضة البيضاء أتوه صائماً محرماً في شهر حرام فقتلوه . فقال عبيد بن أم كلاب :

ومنك الريح ومنك المطر	ومنك السداه ومنك الغير
وقلت لنا: إنه قد كفر	وأنت أمرت بقتل الإمام
وقاتله عندنا من أمر	فهبنا أظعنناك في قتله
ولم ينكسف شمسنا والقمر	ولم يسقط السقف من فوقنا
يزيل الشبا ويقيم الصعر	وقد بايع الناس ذا ارتداء
ومامن وفي مثل من قد غدر	وتليس للحرب أوزارها

وصلت عائشة إلى مكة ، وجاءها رجل يقال له : يعلى بن منه ، وكان من بني أمية وشيعة عثمان وقال لها : قد قتل خليفتك الذي كنت تحرضين على قتله .

فقال عائشة : برأت إلى الله ممن قتله .

فقال الرجل : الآن أظهري البراءة ثانياً من قتله ، فخرجت إلى المسجد ، فجعلت تبترا ممن قتل عثمان ، وهنا وصل خبر عائشة إلى طلحة والزبير وهما في المدينة ، فكتبوا إليها كتباً مع ابن أختها عبد الله بن الزبير وكان مضمون الكتاب «خذ لي الناس عن بيعة علي ، وأظهري العطب بدم عثمان» .

قرأت عائشة ذلك الكتاب وكشفت عما في ضميرها وجعلت تطلب بدم عثمان وجاءت ووقفت عند الحجر الأسود وقالت :

أيها الناس : إن الخوغاء (السفلة) من أهل الأمصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل فقتلوه ظلماً بالأمس ونقموا

عليه استعمال الأحداث ، وقد استعمل أمثالهم من قبله ، ومواضع الحصى حماها لهم ، فتابعهم ونزل عنها ، فلما لم يجدوا حجة ولا عدراً يادروا بالعدوان ، فسفكوا الدم الحرام ، واستحلوا البلد الحرام والشهر الحرام ، وأخذوا المال الحرام |

والله ، لإصبع من عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم |

والله ، لو أن الذي اعتدوا عليه كان ذنباً لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه ، والثوب من درنه ، إذ ماصوه كما يماص الثوب بالماء .

فتقدم عبد الله بن عامر الحضرمي - وكان عامل عثمان على مكة - وقال : أنا أول طالب بدمه . فكان أول مجيب .

فتبعه بنو أمية ، وكانوا قد هربوا من المدينة بعد قتل عثمان إلى مكة فرفعوا رؤوسهم ، فكان أول ما تكلموا في الحجاز .

ولما وصل طلحة والزبير إلى مكة أرسلوا عبد الله بن الزبير إلى عائشة يطلبان منها الخروج إلى البصرة للطلب بدم عثمان !!

امتنعت عائشة من الإجابة لكنها ذهبت إلى أم سلمة تستشيرها في الخروج ، ولما دخلت على أم سلمة ونعت إليها عثمان وأنه قُتل مظلوماً ، صرخت أم سلمة صرخة وهي متعجبة من كلام عائشة وقالت : يا عائشة بالأمس كنت تشهدين عليه بالكفر وهو اليوم أمير المؤمنين قتل مظلوماً؟؟

ثم إن عائشة ذكرت لأم سلمة عزمها على الخروج إلى البصرة للطلب بدم عثمان وطلبت من أم سلمة أن ترافقها وتشاركها في تلك النهضة !!

فجعلت أم سلمة تعاتب عائشة على تحريضها الناس بقتل عثمان ثم الطلب بدمه مع العلم أن عثمان من بني عبد مناف وعائشة امرأة من تميم بن مرة ، وليس بينهما قرابة ، ثم ذكرت أم سلمة شيئاً من فضائل علي وأنه لا ينبغي لأحد أن يحارب علياً ، ووعظتها وذكرتها بما سمعت من رسول الله (ص) في فضل علي (ع) وذكرتها بحديث النبي (ص) يسوم قال : أبتكن

صاحبة الجمل الأديب فتبجحها كلاب الحوآب فتذكرت عائشة كل ذلك وقنمت بكلام أم سلمة ولكن التأثير كان مؤقتاً ، ثم عزمتم على السفر إلى البصرة .

وأما يعلى بن منبه فقد اشترى أربعمائة بعير ونادى : أيها الناس من خرج لطلب دم عثمان فعلي جهازه .

ووصل الخبر إلى أم سلمة فقالت لعائشة : لقد وعظمتك فلم تعظي . . . ثم حذرتها عن تلك الفكرة وذكرت لها بأنها تهتك حرمة رسول الله ﷺ لأنها زوجته وعرضه إلى آخر كلامها .

وخرجت عائشة بالجيش نحو البصرة وفي أثناء الطريق وصلوا إلى ماء الحوآب فتبجت الكلاب وقال قائل : ما أكثر كلاب الحوآب وما أشد نباحها فأمسكت عائشة زمام بعيرها وصرخت : إنا لله وإنا إليه راجعون إني لهيه !! سمعت رسول الله - وعنده نساؤه - يقول : ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأديب ، تخرج فتبجحها كلاب الحوآب ، يقتل عن يمينها ويسارها قتلى كثيرة ، تنجو بعد ما كادت تقتل ؟؟ . ردوني ، ردوني .

فأقبل جماعة وشهدوا وحلفوا أن هذا ليس بماء الحوآب فسارت عائشة لوجهها نحو البصرة .

فوصل الخبر إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، فأمر المناذي فنادى : الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس في مسجد رسول الله في المدينة وصعد الإمام المنبر وخطب فيهم خطبة ذكر فيها الخلافة وأطوارها وأدوارها . . . إلى أن قال : وبإيعني هذان الرجلان - طلحة والزبير - في أول من بايع ، وتعلمون ذلك ، وقد نكنا غدرأ ، ونهضنا إلى البصرة بعائشة ليضرقا جماعتكم ويلقيا بأسكم بينكم .

اللهم : فخذ بما عملا أخذت واحدة رابية ، ولا تمنش لهما ضرعة ، ولا تقلهما عشرة ، ولا تمهلهما فواقا ، فإنهما يطلبان حقاً تركاه ، ودماً سفكاه ، اللهم إني أقتضيك وعندك فإنك قلت - وقولك الحق - : هثم بني

عليه لينصرنه الله . . . اللهم أنجز لي موعدي ولا تكنني إلى نفسي إنك على كل شيء قدير .

ثم استشار الإمام أصحابه ، فقال عمار بن ياسر : الرأي عندي : أن تسير إلى الكوفة ، فإن أهلها شيعة ، وقد انطلق هؤلاء القوم إلى البصرة وأشار عليه ابن عباس أن يأمر أم سلمة لتخرج معه تقوية لجانبه فقال الإمام : أما أم سلمة فإني لا أرى إخراجها من بيتها كما رأى الرجلان إخراج عائشة !

وأشار عليه جماعة أن يعتزل الفتنة ويذهب إلى ماله بـ (بيع) فلم يقبل منه وأخيراً نادى الإمام : تجهزوا للمسير ، فإن طلحة والزبير نكثا البيعة ونقضوا العهد ، وأخرجوا عائشة من بيتها يريدان البصرة لإثارة الفتنة ، وسفك دماء أهل القبلة ورفع يديه للدعاء قاتلاً :

اللهم : إن هذين الرجلين قد بغيا علي ، ونكثا عهدي ، ونقضوا عهدي ، وشقياني بغير حق سومهما ذلك ، اللهم خذهما بظلمهما وأظفري بهما ، وانصري عليهما .

وجعل الإمام عليه السلام تمام بن العباس والياً على المدينة وخرج بمن معه إلى الربذة ، وإذا بطلحة والزبير قد ارتحلوا منها .

فأرسل الإمام محمد بن أبي بكر ومحمد بن الحنفية إلى الكوفة ليستنفرا أهل الكوفة ، وكان والي الكوفة - يومذاك - أبا موسى الأشعري وكان أبو موسى عثمانى الهوى ، منحرفاً عن علي عليه السلام .

وكانت عائشة قد كتبت كتاباً إلى أبي موسى تأمره أن يخذل الناس عن نصره الإمام ، وقام أبو موسى بتلبية طلبها ، فخطب فيهم وأمرهم أن يجتنبوا الفتنة ويتعدوا عن سفك دماء المسلمين .

لم يستطع محمد بن الحنفية ومحمد بن أبي بكر مقاومة الأشعري فرجعا إلى الإمام ، وكان الإمام قد كتب - قبل ذلك - كتاباً إلى الأشعري

يأمره أن يخرج بالناس لمؤازرة الإمام ، ولكن الأشعري استمر على رأيه وامتنع عن البيعة ، وأظهر العداء الكامن في صدره ، فأخبروا الإمام بذلك .

فكتب الإمام كتاباً إلى الأشعري فيه خير عزله عن الحكم والتهديد إن لم يعتزل ، وكتاباً آخر إلى أهل الكوفة يذكر لهم فيه عما جرى على عثمان ، ثم ذكر بيعة الناس له ومن جملتهم طلحة والزبير ، ثم نكثهما البيعة وخروجهما ضد الإمام عليه السلام .

وقبل وصول هذين الكتابين كان الإمام الحسن بن علي عليه السلام وعمار بن ياسر وزيد بن صوحان وقيس بن سعد جاؤوا إلى الكوفة وخطبوا في الناس الخطب المفصلة المطولة ، يحثون الناس على نصرته الإمام .

فكان الأشعري يقوم ويخطب وينقض كلامهم ويخذل الناس ويأسرهم باعتزال الفتنة وعدم الخوض في المعركة . وانقضت أيام وأيام والأمر هكذا في الكوفة وأمير المؤمنين ينتظر المدد وهو في أرض يقال لها : (نوقار) واليوم يقال لها : (المقيرة) وهي قريب الناصرية في طريق البصرة .

وأخيراً خرج البطل الضرغام مالك الأشر وأقبل إلى الكوفة ودخلها وهجم على دار الإمارة واستولى عليها ، وأخرج غلمان أبي موسى منها .

كانت الحرب الباردة قائمة في المسجد بين الأشعري وبين أصحاب الإمام وإذا بغلمان الأشعري دخلوا المسجد ، وهم ينادون يا أبا موسى هذا الأشر . ودخل أصحاب الأشر وصاحوا : أخرج من المسجد ، يا ويلك أخرج الله روحك ، إنك والله من المنافقين .

خرج أبو موسى معزولاً خائباً مخذولاً ، وأراد الناس أن ينهبوا أمواله فمنعهم الأشر .

وأقبل الأشر فصعد المنبر وقال : وقد جاءكم الله بأعظم الناس مكاناً ، وأعظمهم في الإسلام سهماً ، إني عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأفته

الناس في الدين ، وأقرأهم كتاب الله ، وأشجعهم عند اللقاء يوم البأس وقد استغفركم ، فما تنتظرون ؟ أسعيدياً ؟ أم الوليد ؟ الذي شرب الخمر وصلى بكم على سكر ؟ واستباح ما حرّمه الله فيكم .

أي هذين الرجلين تريدون ؟؟ قبح الله من له هذا الرأي !! فانفروا مع الحسن ابن بنت نبيكم ، ولا يختلف رجل له قوة ، فوالله ما يدري رجل منكم ما يضره وما ينفعه ، وإني لكم ناصح شفيق عليكم إن كنتم تعقلون ، أو تبصرون .

أصبحوا إن شاء الله غداً غادين مستعدين ، وهذا وجهي إلى ما هناك بالوفاء .

ثم قام إبن عباس وعزل الأشعري عن الولاية وخلعه عنها ، وجعل مكانه قرضة بن كعب ، فلم يبرحوا من الكوفة حتى سيروا سبعة آلاف رجل والتحقوا بأمير المؤمنين في ذي قار .

والتحق به قبل ذلك الغان من قبيلة طي ، وخرج الإمام عليه السلام نحو البصرة .

وكانت عائشة وطلحة والزبير ومن معهم قد وصلوا إلى البصرة قبل ذلك ، وتمعجب الناس من قدومهم إلى البصرة للمطلب بدم عثمان المقتول في المدينة .

وسمع عثمان بن حنيف (والي البصرة) بوصول القوم ، فأرسل إليهم أبا الأسود الدؤلي وعمران بن حصين للتحقيق ، فدخلا على عائشة وقالوا لها : يا أم المؤمنين ما حملك على المسير ؟ ما الذي أقدمك هذا البلد ؟ وأنت حبيبة رسول الله وقد أمرك الله أن تقري في بيتك ؟؟

فجرى كلام وجدال طويل بين عائشة والرجلين ، وكلما خوفهاها من إراقة دماء المسلمين وإفساد الأمر قابلتهم بكل صلابة وحدة .

ودخلا على طلحة فلم يسعها منه إلا الكلام الفبيح والطرود ، ثم  
السب لأمير المؤمنين عليه السلام .

استعدت عائشة للحرب ، وخرجت بمن معها إلى محلة في البصرة  
يقال لها (المريد) وخطبت في أهل البصرة خطبة فنعت عثمان وتأسفت على  
قتله ثم ذكرت علياً وبيحته وأفرطت في كلامها ثم طلبت من أهل البصرة  
نقض خلافة الإمام فصداقها ناس وكذبها ناس ، واضطرب الناس بأقوالهم ،  
واشتغلوا بالسب والشتم واللعن ، وتوجهت عائشة إلى دار الإمارة وطلبوا من  
عثمان بن حنيف أن يسلم إليهم دار الإمارة فأبى عليهم ، واشتعلت نار  
الحرب حتى الظهر وقتل في تلك الواقعة خمسمائة شيخ من بني عبد  
القيس من شيعة علي وأنصار عثمان بن حنيف سوى الجرحى ، واستمرت  
الحرب في البصرة وكثر القتلى والجرحى ، ودخل بعض الناس وقرروا  
الهدنة ، فتم الضرار على : أن تكون دار الإمارة والمسجد وبيوت الأموال  
تحت اختيار عثمان بن حنيف ، وتكون البصرة تحت حيازة طلحة والزبير  
وعائشة ، وكتبوا على هذه المصالحة كتاباً وشهد الناس على ذلك ، ولما  
أمن الناس واطمأنوا وألقوا سلاحهم أقبل طلحة والزبير وأصحابهما حتى أتوا  
دار الإمارة على حين غفلة وكان خمسون رجلاً يحرسون بيوت الأموال وهم  
من شيعة علي أحاط الزبير بهؤلاء وقتل منهم أربعين رجلاً صبراً ثم هجموا  
على عثمان بن حنيف فأوثقوه رباطاً ، وعمدوا إلى لحيته فنتفوا لحيته حتى  
لم يبق منها شعرة واحدة وبتفوا شعر حاجبيه وأشفار عينيه وأوثقوه بالحديد .

وأصبح الصباح فجاء طلحة والزبير إلى المسجد الأعظم لأداء صلاة  
الصبح جماعة فأراد طلحة أن يتقدم ويصلي بالناس فدفعه الزبير ، وأراد  
الزبير أن يصلي فعنعه طلحة ، استمر النزاع والتدافع بين الإمامين !! حتى  
كادت الشمس أن تطلع فصاح الناس : الله الله يا أصحاب رسول الله ! في  
الصلاة نخاف فوتها !!

فأمرت عائشة أن يصلي مروان بالناس وأخيراً تقدم ابن الزبير وصلى

بالمسلمين .

انتشر خبر قتل الحرس والقباء القبض على عثمان ، فأقبل حكيم بن جبلة إلى عشيرته فحثهم على النهوض وجاء طلحة والزبير وشبت النار مرة ثانية وقتل حكيم بن جبلة وأخوه وعدد من الناس ، واستولى طلحة والزبير على بيوت الأموال ونصبا الأقفال على أبواب بيوت الأموال ، فأمرت عائشة بختم بيت المال ، وختم كل من طلحة والزبير وعائشة بختم على بيوت الأموال .

انقضت أيام وعائشة وطلحة والزبير يخطبون في الناس ويهيجونهم ويحذرونهم من علي بن أبي طالب وقد كان ينتهي كلامهم إلى ذم الإمام وسبه وأرسلت عائشة كتباً ورسائل إلى البلاد والأمصار كتبت فيها ما أرادت .

ووصل الإمام أمير المؤمنين بن علي بجيشه الجرار إلى البصرة ، وبلغه الخبر عن المجزرة الرهيبة التي أقامها هؤلاء ، فأرسل الإمام صعصعة بن صوحان لتفاهم أو لإتمام الحججة على عائشة والرجلين والتقى بهم صعصعة فلم يسمع منهم إلا التهديد والخشونة في الكلام وأرسل الإمام بن علي عبد الله بن عباس وأمره أن يلتقي بطلحة والزبير ، فلم تنجح مذاكرات ابن عباس معهما . . .

كان وصول الجيش العلوي إلى البصرة على أحسن هيئة وأجمل نظام وفيهم المشايخ من أهل بدر المهاجرين والأنصار ، وقواد الجيش ومعهم الألوية والرايات ، والمواكب يترى بعضها بعضاً .

وفي الأخير : وصل موكب الإمام وهو موكب عظيم وفيه خلق كثير عليهم السلاح والحديد ، ومعهم الإمام وعليه الوقار والكيانة ينظر إلى الأرض أكثر من نظره إلى السماء ، والجنود خلفه كأن على رؤوسهم الطير ، والإمام الحسن عن يمينه والإمام الحسين عن شماله ، وإبنه محمد بن الحنفية بين يديه ومعها الراية .

أمر الإمام عليه السلام ابن عباس أن يرجع ثانياً إلى عائشة ويذكر لها خروجها من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخوفها من الخلاف على الله ، والتبرج الذي نهاها الله عنه . . . الخ .

دخل ابن عباس على عائشة وأدى رسالته وذكر لها فضل علي وسابقته ولكنها لم ترتدع ولم تقتنع ورجع ابن عباس إلى الزبير ووجهه وحده وجعل يلين له في الكلام ويخوفه من عواقب أعماله ، ويلومه على إسراعه في الخلاف فجاء عبد الله بن الزبير ، وكان شاباً شرساً قليل الحياء متهوراً ، وقابل ابن عباس بكل صلافة وكانت المباحثات بلا جدوى ولا فائدة ، واستعد الفريقان للحرب .

كان كعب بن سور سيد الأزدي قد امتنع عن الخوض في المعركة فجاء طلحة والزبير إلى عائشة وطلبا منها أن توجه بنفسها إلى كعب وتطلب منه المؤازرة والتعاون معها ، فأرسلت عائشة إليه تطلب منه الحضور فلم يجبها كعب ، فركبت بغلاً وأحاط بها نفر من أهل البصرة وسارت إلى كعب وسألته عن سبب امتناعه فقال : يا أماء لا حاجة لي في خوض هذه الفتنة . فاستعيرت عائشة باكية وطلبت منه أن ينصرها ، فرق لها كعب وأجابها وعلّق المصحف في عنقه وخرج معها .

اشتركت العشائر والقبائل من المدينة إلى الكوفة إلى طي إلى أهل البصرة في نصره الإمام .

وكان خطباء الفريقين يخطبون في قومهم ويحرضونهم على الحرب .

### ساحة القتال

كانت ساحة القتال في الخريبة ، وهي - اليوم - بين الزبير والبصرة ويقال لها : (الخز) وهناك قبر طلحة .

اصطف الفريقان للقتال ، وكتب كل منهما الكتاب وخرج علي عليه السلام وعليه عمامة سوداء وقميص ورداء وهو راكب على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الشهياء .

وجاءت عائشة وهي في هودج على بعير وعن يمينها وشمالها طلحة والزبير وعبد الله بن الزبير وخلفها الجماهير الذين رافقوها من مكة وانضموا إليها في البصرة .

كان النشاط في أصحاب علي أكثر ، وكانوا يريدون الهجوم على العدو ، لكن الإمام كان يمنعهم ويقول لهم : لا تعجلوا على القوم حتى أعذر فيما بيني وبين الله وبينهم ، فقام إليهم وقال :

يا أهل البصرة هل تجدون عليّ جوراً في حكم ؟ قالوا : لا . قال : فحيفاً في قسم ؟ قالوا : لا . قال : فرغبة في دنيا أصبتها لي ولأهل بيتي دونكم ، فنتقمتم عليّ فنكثتم بيعتي ؟ قالوا : لا . قال : فأقمت فيكم الحدود وعطلتها عن غيركم ؟ قالوا : لا . قال : فما بال بيعتي تنكث وبيعة غيري لا تنكث ؟ إني ضربت الأمر أنفه وعينه ولم أجد إلا الكفر أو السيف ، ثم التفت إلى أصحابه وقال : إن الله تعالى يقول في كتابه : ﴿وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون﴾<sup>(١)</sup> . ثم قال : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة واصطفى محمداً بالنبوة إنهم لأصحاب هذه الآية وما قوتلوا منذ نزلت هذه الآية ، ثم التفت إلى ابن عباس وقال له : إمض بهذا المصحف إلى طلحة والزبير وعائشة وادعهم إلى ما فيه .

جاء ابن عباس فبدأ بالزبير وقال له : إن أمير المؤمنين يقول ألم تبايعني طائعاً ؟ فبم تستحل دمي ؟ وهذا المصحف وما فيه بيني وبينك فإن شئت تحاكمنا إليه ؟ فقال الزبير : إرجع إلى صاحبك ، فإننا بايعنا كارهين وما لي حاجة في محاكمته .

انصرف ابن عباس إلى طلحة ، فوجد فيه الاستعداد للشر والحرب ،

(١) سورة التوبة ، الآية : ١٢ .

فقال له ابن عباس : والله ما أنصفتهم رسول الله إذ حبستهم نساءكم وأخرجتهم  
حبيسة رسول الله !!؟ ونادى طلحة : نأجزوا القوم ، فإنكم لا تقومون  
لحجاج ابن أبي طالب .

رجع ابن عباس وأخبره بالنتيجة السلبية وقال للإمام : ما تنتظر؟ والله  
لا يعطيك القوم إلا السيف ، فأحمل عليهم قبل أن يحملوا عليك . . .

فقال أمير المؤمنين : نستظهر بالله عليهم ، وهناك خرج أمير المؤمنين  
بين الضفين ونادى بأعلى صوته : أين الزبير؟ فليخرج ثم نادى ثانياً ، وكان  
طلحة والزبير واقفين أمام صفيهما ، فخرج الزبير ، وخرج أمير  
المؤمنين عليه السلام إليه ، فصاح به أصحابه يا أمير المؤمنين : أخرج إلى الزبير  
.. الناكث بيعته وأنت حاسر؟ وهو على فرس شاكي السلاح ، مدجج في  
الحديد وأنت بلا سلاح؟؟

فقال أمير المؤمنين : ليس عليّ منه بأس ، إن عليّ منه جنة واقية ،  
لن يستطيع أحد فراراً من أجله ، وإني لا أموت ، ولا أقتل إلا بيد  
أشقائها ، كما عقر ناقة الله أشقى ثمود . فخرج إليه الزبير فقال عليه السلام : أين  
طلحة؟ ليخرج . فخرج طلحة . وقربا منه عليه السلام ، حتى اختلفت أعناق  
دأبتهما ، فقال أمير المؤمنين للزبير : ما حملك على ما صنعت؟ فقال  
الزبير : الطلب بدم عثمان .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أنت وأصحابك قتلتموه ، فيجب عليك أن  
تقيد من نفسك . ولكن أنشدك الله الذي لا إله إلا هو ، الذي أنزل الفرقان  
على نبيه محمد عليه السلام : أما تذكر يوماً قال لك رسول الله عليه السلام يا زبير :  
أتحب علياً؟ فقلت : وما يمنعني عن حبه وهو ابن خالي؟ فقال لك رسول  
الله : أما أنت فستخرج عليه يوماً وأنت له ظالم؟

فقال له الزبير : اللهم بلى قد كان ذلك . فقال أمير المؤمنين :  
فأنشدك الله الذي أنزل الفرقان على نبيه محمد عليه السلام أما تذكر يوماً جاء

رسول الله ﷺ من عند ابن عوف ، وأنت معه ، وهو آخذ بيدك ، فاستقبلته أنا فسلمت عليه فضحك في وجهي ، فضحكت أنا إليه ، فقلت أنت : لا يدع ابن أبي طالب زهوه أبداً .

فقال لك النبي ﷺ : مهلاً يا زبير ، فليس به زهو ، ولتخرجن عليه يوماً وأنت ظالم له ؟ فقال الزبير : ألهم بلى ، ولكن نسيت ، فإنا إذا ذكرتني ذلك فلا تصرفن عنك ولو ذكرت هذا لما خرجت عليك . ثم التفت إليهما معاً وقال : نشدتكما الله أتعلمان وأولوا العلم من أصحاب محمد وعائشة بنت أبي بكر : أن أصحاب الجمل ، وأهل النهروان ملعونون على لسان محمد ﷺ وقد خاب من افتري ؟

فقال الزبير : كيف تكون ملعونين ونحن من أهل الجنة ؟ فقال أمير المؤمنين : لو علمت أنكم من أهل الجنة لما استحللت قتالكم . فقال الزبير : أما سمعت رسول الله يقول يوم أحد : أوجب طلحة الجنة ؟ ومن أراد أن ينظر إلى الشهيد يمشي على الأرض حياً فليُنظر إلى طلحة ؟ أو ما سمعت رسول الله ﷺ يقول : عشرة من قریش في الجنة ؟ فقال أمير المؤمنين : فسّمهم .

فجعل الزبير يعد تسعة منهم ، وفيهم : أبو عبيدة بن الجراح ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل . فقال أمير المؤمنين : عددت تسعة منهم فمن العاشر ؟ فقال الزبير : أنت .

فقال أمير المؤمنين : أما أنت فقد أقررت أني من أهل الجنة ، وأما ما ادعيت لنفسك وأصحابك فإني به لمن الجاحدين ، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لقد عهد النبي الأمي إلي : أن بعض من سميت في تابوت في جيب في أسفل درك من جهنم ، وفي نسخة : إن في جهنم جيباً ، فيه ستة من الأولين وستة من الآخرين ، على رأس ذلك الجيب صخرة ، إذا أراد الله تعالى أن يسعر جهنم على أهلها أمر بتلك الصخرة فرفعت ، وإن في ذلك الجيب من سميت ، وإلا أظفرك الله بي وسفك دمي بيدك ، وإلا

فأظفروني الله بك وبأصحابك .

فقال أمير المؤمنين : دع هذا ، أفلست بايعتني طائعاً ؟ فقال الزبير :

بلى .

فقال أمير المؤمنين : أفوجدت مني حدثاً يوجب مفارقتي ؟ فسكت

الزبير ثم قال : لا جرم والله لأقاتلنك !

ثم التفت <sup>نحو</sup> إلى طلحة وقال : يا طلحة : معكما نساؤكما ؟ فقال

طلحة : لا .

فقال أمير المؤمنين : عمدنما إلى امرأة موضعها في كتاب الله القعود

في بيتها ، فأبرزتماها ! وصتتما حللتكما في الخيام والحجال ؟ ما أنصفتما

رسول الله <sup>صلى الله عليه وسلم</sup> قد أمر الله أن لا يكلمن إلا من وراء حجاب .

أخبرني عن صلاة ابن الزبير بكما ، أما يرضى أحدكما بصاحبه ؟

أخبرني عن دعائكما الأعراب إلى قتالي ؟ ما يحملكما على ذلك ؟

فقال طلحة : يا هذا ، كنا في الشورى ستة ، مات منا واحد ، وقتل

آخر ، فنحن اليوم أربعة ، كلنا لك كاره .

فقال أمير المؤمنين : ليس ذلك علي ، قد كنا في الشورى والأمر في

يد غيرنا ، وهو اليوم في يدي أرأيت لو أردت بعد ما بايعت عثمان أن أرد

هذا الأمر شورى أكان ذلك لي ؟ فقال طلحة : لا . فقال أمير المؤمنين :

ولم ؟

فقال طلحة : لأنك بايعت عثمان طائعاً . فقال أمير المؤمنين : وكيف

ذلك ؟ والأنصار معهم السيوف مخترطة ، يقولون : لئن زغتم وبايعتم واحداً

منكم ، وإلا ضربنا أعناقكم أجمعين ؟؟ فهل قال لك ولأصحابك أحد شيئاً

من هذا وقت ما بايعتmani ؟ وحجتي في الاستكراه في البيعة أوضح من

حجبتك وقد بايعتني أنت وأصحابك طائعين غير مكرهين ، وكنتما أول من

فعل ذلك ولم يقل أحد : لتبايعان أو لتقتلكما ؟

ثم انصرف الرجلان إلى صنفهما ، فأراد الزبير الخروج من الحرب ،  
والانصراف إلى البصرة ، فقال له طلحة : ما لك يا زبير ؟ ما لك تنصرف  
عنا ؟ سحرك ابن أبي طالب ؟

فقال الزبير : لا ، ولكن ذكّرني ما كان أنسانيه الدهر ، واحتج علي  
بيعتي له .

فقال طلحة : لا ، ولكن جئت وانتفخ سحرك !!

فقال الزبير : لم أجبن ، ولكن أذكرت فذكرت .

فقالت عائشة : ما ورائك يا أبا عبد الله ؟ فقال الزبير : والله ورائي ؟  
إني ما وقفت موقفاً في شرك ولا إسلام إلا ولي فيه بصيرة وأنا اليوم على  
شك من أمري ، وما أكاد أبصر موضع قدمي .

فقالت عائشة : لا والله ، بل خفت سيوف ابن أبي طالب ، أما إنها  
طوال حداد ، تحملها سواعد أمجاد ، ولئن خفتها فلقد خافها الرجال من  
قبلك .

فقال عبد الله بن الزبير : جيناً جيناً !!

فقال الزبير : يا بني قد علم الناس أنني لست بجبان ، ولكن ذكّرني  
علي شيئاً سمعته من رسول الله ، فحلفت أن لا أقاتله .

فقال عبد الله بن الزبير : يا أبة أجتت بهذين العسكرين العظيمين  
حتى إذا اصطفا للحرب ، قلت : أتركهما وأنصرف فما تقول قريش غداً  
بالمدينة ؟ الله الله يا أبة : لا تشمت بنا الأعداء ، ولا تشن نفسك بالهزيمة  
قبل القتال .

فقال الزبير : ما أصنع يا بني وقد حلفت أن لا أقاتله ؟

فقال عبد الله بن الزبير : كفر عن يمينك ، ولا تفسد أمرنا !!

فقال الزبير : عبدي مكحول حر لوجه الله ، كفارة ليمينني !! ثم عاد

معهم للقتال .

فعند ذلك أخذ أمير المؤمنين عليه السلام المصحف بيده ، وطلب من يقرأ عليهم هذه الآية :

﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بنت إحدىهما على الأخرى فقاتلوا التي تبقي حتى تفيء إلى أمر الله﴾ (١) .

فقام غلام حدث السن وأخذ المصحف ووقف أمام الصفوف وقال هذا كتاب الله ، وأمير المؤمنين يدعوكم إلى ما فيه ، فأمرت عائشة بإعدامه فقطعوا يديه ثم أحاطوا به وطعنوه بالرماح من جانب وكانت أمه واقفة تنظر فصاحت وطرحت نفسها على ولدها .

كان الإمام عليه السلام ينتظر وقت الظهر لتزول الملائكة وكان يقول : لا تقاتلوا القوم حتى يبدأوكم ، فإنكم بحمد الله على حجة ، وكفكم عنهم حجة أخرى فإذا قاتلتموهم فلا تجهزوا على جريح ، فإذا هزمتموهم فلا تتبعوا مدبراً ، ولا تكشفوا عورة ، ولا تمشوا بقتيل ، وإذا وصلتكم إلى رجال القوم فلا تهتكوا سراً ، ولا تدخلوا داراً ، ولا تأخذوا من أموالهم شيئاً ولا تهيجوا امرأة بأذى ، وإن شتمن أمراضكم وسببن أمراءكم وصلحاءكم فإنهن ضعفاء القوى والأنفس والعقول . . . الخ .

كانت السهام تترى على الإمام وأصحابه كالمطر !! فصاح الناس : حتى متى يا أمير المؤمنين ندلي نحورنا للقوم يقتلون رجلاً رجلاً والله قد أهدرت أن كنت تريد الإعداء !!

هناك دعا الإمام إبنه محمد بن الحنفية فأعطاه الراية وهي راية سوداء كبيرة وهي راية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام له : يا بني هذه راية ما ردت قط ولا ترد قط !!

ثم لبس الإمام درع رسول الله ، وحزم بطنه بعصابة أسفل من سرته ،

(١) سورة الحجرات ، الآية : ٩ .

ثم قال الإمام لولده محمد بن الحنفية : يا أبا القاسم قد حملت الراية وأنا أصغر منك فما استفزني عدوي !! وذلك أنني لم أبارز أحداً إلا حدثتني نفي بقتله ، فحدثت نفسك بعون الله تعالى - بظهورك عليهم ! وأعطاه تعاليم حربية .

وزحف أصحاب الجمل نحو معسكر الإمام فصاح الإمام بلابنه محمد : إمض ، فمضى . وتبعه أصحابه واشتعل القتال .

وأقبل الإمام يهرول ويده السيف يصعد وينزل فتطير الرؤوس وتطيح الأيدي ولا يتلطف السيف بالدم لسرعة اليد وسبق السيف بالدم !! وزحف الجيش خلفه .

وحمل عمار بن ياسر على الميسرة ، ومالك الأشتر على اليمين وحملوا حملة رجل واحد ، ونادى الإمام : عليكم بالسيوف . فجعلوا يضربون بالسيوف على الرؤوس ثم نادى المنادي : عليكم بالأقدام .

كان للفريقين أراجيز كثيرة جداً مذكورة في محلها وقد ذكرنا شيئاً منها في الجزء الأول من شرح نهج البلاغة .

وقُتل طلحة في ذلك اليوم ولم يعرف قاتله ، قيل : إن مروان بن الحكم رماه بهم فقتله يطلب بذلك ثأر عثمان وكان أهل البصرة كل من أراد منهم القتال أخذ بخطام الجمل وارتجز وقاتل حتى قتل .

فخرج كعب بن سور فأخذ بخطام الجمل وهو يرتجز ويقول :

فإنها صلاتكم وصومكم	يا معشر الأزد عليكم أمكم
فاحضروها جديكم وحزمتكم	والنعمة العظيمة التي تمنعكم
إن العدو إن غلاكم رمكم	لا يغلبن سم العدو سمكم
لا تفضحوا اليوم فداكم قومكم	وخصكم بجوره وعمكم

فقاتل حتى قُتل .

فخرج رجل آخر فاخذ بخطام الجممل وقال :

يا أم يسأ أم خلا مني الوطن لا ابتغي القبر ولا ابغي الكفن  
من ميهنا محشر عوف بن قطن إن فاتنا اليوم علي فالغبين  
أو فاتنا أبناء حسين وحسن إذن أمست بطول هم وحزن

وغير ذلك من الأراجيز المذكورة في كتب التاريخ ، واشتعلت النار ،  
واستمر القتال ، فاقتلوا قتلاً شديداً فصاح علي عليه السلام ما أراه بقاتلكم غير  
هذا اليهودج ، اعفروا الجممل أو عرقبوه ، فإنه شيطان ، أو : اعفروه وإلا  
فنيب العرب لا يزال السيف قائماً وراكماً حتى يهوى هذا البعير إلى  
الأرض . فضرب عجز الجممل فوق لجنبه ، وضرب بجرائه الأرض وعج  
عجيباً لم يسمع بأشد منه فما هو إلا أن صرع حتى قوت الرجال كما يطير  
الجراد في الريح الشديدة الهبوب ، وسقط اليهودج ، فصاح الإمام إقطعوا  
البطان .

فقطع محمد بن الحنفية البطان وأخرج اليهودج فقالت عائشة من  
أنت ؟ فقال محمد : أبغض أهلك إليك . فقالت عائشة : إن المخشمية ؟  
فقال محمد : نعم ، ولم تكن دون أمهاتك ! فقالت عائشة : لعمرى بل  
هي شريفة ، دع عنك هذا ، الحمد لله الذي سلمك . فقال محمد : قد  
كان ذلك ما تكرهين . فقالت عائشة : يا أخي لو كرهته ما قلت ما قلت  
فقال محمد : كنت تحبين الظفر وأني قُلت ؟ فقالت عائشة : قد كنت  
أحب ذلك ولكنه لما صرنا إلى ما صرنا إليه أحببت سلامتك لقرابتي منك  
فاكفف ، ولا تعقب الأمور ، وخذ الظاهر ولا تكن لومة ولا عدلة ، فإن أباك  
لم يكن لومة ولا عدلة . وجاء علي فقرع اليهودج برمحه وقال : يا شقيراء  
بهذا أوصاك رسول الله ؟ فقالت عائشة : يا ابن أبي طالب ملكت فاصفح  
وظفرت فاسجح . فقال أمير المؤمنين والله ما أدري متى أشتفي غيظي ؟  
أحين أقدر على الانتقام فيقال لي : لو عصوت أم حين أعجز من الانتقام  
فيقال لي : لو صبرت ! بل أصبر فإن لكل شيء زكاة ، وزكاة القدرة

والمكحه : العفو والصفح .

ثم التفت عليه إلى محمد بن أبي بكر وقال : شأنك بأختك فلا يدنو منها أحد سواك .

فأمر عليه فاحتملت عائشة بهودجها إلى دار عبد الله بن خلف في البصرة ، وأمر بالجمل أن يُحرق ثم يلدى في الريح وقال عليه إشارة إلى الجمل : لعنه الله من دابة ، فما أشبهه بعجل بني إسرائيل ثم تلى : ﴿وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً لنحرقنه ثم لتسفنه في اليم نسفاً﴾ (١) .

ركبت عائشة وهي تقول : فخرتم وغلبتم ، وكان أمر الله قلداً مقدوراً ، ونادى أمير المؤمنين : يا محمد بن أبي بكر سلها هل وصل إليها شيء من الرماح والسهام ؟ فسألها فقالت : نعم وصل إلي منهم ، خدش رأسي وسلمت من غيره ، الله بيني وبينكم .

فقال محمد : والله ليحكمن عليك يوم القيامة ما كان بينك وبين أمير المؤمنين حين تخرجين عليه ؟ وتؤلبيين الناس على قتاله ؟ وتبذين كتاب الله وراء ظهرك ؟ فقالت عائشة : دعنا يا محمد وقل لصاحبك يحرسني .

فأمر الإمام أن يحملها أخرجها إلى دار ابن خلف في البصرة ، فحملها وهي لا تفتّر عن سب الإمام وسب أخيها محمد بن أبي بكر والترحم على أصحاب الجمل .

ومرّ الإمام على القتلى وجعل يخاطبهم ويعاتبهم ، ونحاطب كعباً وطلحة بعد قتلها فقبل له : أتكلم هؤلاء بعد القتل ؟ فقال : والله لقد سمعا كلامي كما سمع أهل القليب كلام رسول الله يوم بدر .

ثم نادى منادي الإمام : من أحب أن يوارى قتيله فليواره .

(١) سورة طه ، الآية : ٩٧ .

وأمر أصحابه وقال لهم : قتلنا في ثيابهم التي قتلوا فيها فلانهم يحشرون على الشهادة وإني لشاهد لهم بالوفاء .

فجاء ابن عباس بطلب الأمان لمروان بن الحكم فأمره الإمام بإحضار مروان فلما حضر قال له الإمام أتبايع ؟ فقال مروان : نعم وفي النفس ما فيها !! فقال الإمام : الله أعلم بما في القلوب . فلما بسط يده ليباعه أخذ كفه من كف مروان وجذبها ، وقال : لا حاجة لي فيها ، إنها كف يهودية ، لو بايعني بيده عشرين مرة لثكت بإسته ، ثم قال : هيه يا ابن الحكم : خفت على رأسك أن تقع في هذه المعمعة ؟ كلا والله حتى يخرج من صلبك فلان وفلان يسومون هذه الأمة خسفاً ويسقونهم كأساً مصبرة .

أما الزبير فإنه خرج من المعركة ووصل إلى منطقة في ضواحي البصرة يقال لها (وادي السباع) فقتله عمر بن جرموز وأخذ رأسه وسيفه وخاتمه وجاء بها إلى معسكر الإمام واستأذن ودخل وإذا به يرى القائد الأعلى للمسلمين جالساً وبين يديه ترس عليه أقراص من الطعام الشعير ، فسلم عليه ، وهناه بالفتح عن الأحنف ، لأن الحرب كانت قد وضعت أوزارها حينئذ ، وقال : أنا رسول الأحنف ، وقد قتلت الزبير ، وهذا رأسه وسيفه ، فألقاهما بين يديه ، فقال عليه السلام كيف قتلته ؟ وما كان من أمره ؟ فحدثنا كيف كان صنعك به ؟ فقص عليه ما جرى فقال : ناولني سيفه . فناوله سيفه ، فاستلّه وهزّه . وقال : سيف أعرفه ، سيف طالما جلي الكرب عن وجه رسول الله ﷺ . ثم التفت علي عليه السلام إلى ابن جرموز قائلاً : والله ما كان ابن صفية جباناً ولا لثيماً ، ولكن الحين ومصارع سوء . ثم تفرس في وجه الزبير وقال : لقد كان لك برسول الله ﷺ صحبة ومنه قرابة ، ولكن دخل الشيطان منخرك فأوردك هذا المورد . فقال ابن جرموز : الجائزة يا أمير المؤمنين . فقال عليه السلام : أما إنني سمعت رسول الله ﷺ يقول : بشر قاتل ابن صفية بالنار .

وقبض أمير المؤمنين عليه السلام ما وجد في عسكر الجمل من سلاح ودابة

ومملوك ومتاع فقسّمه بين أصحابه ، فقال بعض أصحابه : أقسم بيننا أهل  
البصرة ، فاجعلهم رقيقاً . فقال : لا ، فقالوا : كيف تحل لنا دماءهم  
وتحرم علينا سيّهم ؟ فقال : كيف يحل لكم ذرية ضعيفة في دار هجرة  
وإسلام ؟ وأما ما جلب به القوم في معسكرهم عليكم فهو لكم مخم ، وأما  
ما وارت الدور وأغلقت عليه الأبواب فهو لأهله ، ولا نصيب لكم في شيء  
منه .

فلما أكثروا عليه قال : فأقرعوا على عائشة لأدفعها إلى من نصيبه  
القرعة !! فقالوا : نستغفر الله يا أمير المؤمنين ثم انصرفوا .

فلما دخل بيته بيت المال في نهر من المهاجرين والأنصار ، ونظر  
إلى كثرة ما فيه قال : غري غيري : مراراً ، ثم نظر إلى المال ، وصعد  
وصوب بصره ، وقال : أقسموه بين أصحابي خمسمائة خمسمائة ، فقسم  
بينهم ، فلا والذي بعث محمداً بالحق ما نقص درهماً ولا زاد درهماً ،  
كأنه كان يعرف مبلغه ومقداره ، وكان مقدار المال ستة ملايين ، وعدد  
أصحابه إثني عشر ألف رجل .

وأخذ هو خمسمائة درهم كواحد منهم ، فجاءه رجل لم يحضر  
الواقعة فقال : يا أمير المؤمنين : كنت شاهداً بقلبي ، وإن غاب عنك  
جسمي فأعطني من الفية شيئاً . فدفع إليه الذي أخذه لنفسه ، ولم يصب  
من الفية شيئاً .

وفي رواية أخرى : جاء رجل فقال : إن إسعي سقط من كتابك  
فقال بيته : ردها عليه ، ثم قال : الحمد لله الذي لم يصل إلي من هذا  
المال شيء . ولما فرغ من تقسيم بيت المال قام خطيباً في أصحابه ،  
فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال : أيها الناس إنني أحمد الله على نعمة ،  
قتل طلحة والزبير وأيم الله لو كانت عائشة طلبت حقاً ، وهانت باطلاً ،  
لكان لها في بيتها مأوى ، وما فرض الله عليها الجهاد ، وأن أول خطأها في  
نفسها ، وما كانت والله على القوم أشأم من ناقة الصخره ، وما ازداد

عدوكم إلا حقداً وما زادهم الشيطان إلا طغياناً ولقد جاؤوا مبطلين وأدبروا ظالمين إن إخوانكم المؤمنين جاهلوا في سبيل الله وآمنوا يرجون مغفرة الله ، وإنا لعلى الحق وإنهم لعلى الباطل ويجمعنا الله وإياهم يوم الفصل واستغفر الله لي ولكم .

أرسل أمير المؤمنين عليه السلام ابن عباس إلى عائشة بأمرها بتعجيل الرحيل ، وقلة العرجة - الإقامة - فجاءها ابن عباس وهي في قصر بني خلف في جانب البصرة ، فطلب الإذن عليها فلم تأذن له ، فجاء ابن عباس ودخل عليها بغير إذنها فإذا بيت تقار لم يُعد له فيه مجلس ، فإذا هي من وراء ستيرين ، نظر ابن عباس إلى ما في الحجرة ، فوقع بصره على طنفسة على رحل ، فمد الطنفسة وجلس عليها ، فقالت عائشة من وراء الستر يا ابن عباس أنخطأت السنة : دخلت بيتنا بغير إذنا ، وجلست على متاعنا بغير إذنا !!

فقال ابن عباس : نحن أولى بالسنة منك ! ونحن علمناك السنة وإنما بيتك الذي خلفك فيه رسول الله فخرجت منه ظالمة لنفسك ، غاشية لدينك ، عاتية على ربك ، عاصية لرسول الله ، فإذا رجعت إلى بيتك لم ندخله إلا بإذنتك ! ولم تجلس على متاعك إلا بأمرك ! إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بعث إليك يأمرك بالرحيل إلى المدينة وقلة العرجة .

فقالت عائشة : رحم الله أمير المؤمنين ذلك عمر بن الخطاب !!

فقال ابن عباس : هذا والله أمير المؤمنين ، وإن تريدت فيه وجوه ورغمت فيه معاطس ، أما والله لهو أمير المؤمنين ، وأمس برسول الله رحماً ، وأقرب قرابة ، وأقدم سبقاً وأكثر علماً ، وأعلى مناراً ، وأكثر أناراً من أبيك ومن عمر .

فقالت عائشة : أبيت ذلك !

فقال ابن عباس : أما والله إن كان إساؤك - عدم قبولك - فيه لقصير

المدة ، عظيم التبعة ، ظاهر الشؤم ، بين النكر ، وما كان إساؤك فيه إلا  
حلب شاة حتى صرت ما تأمرين ولا تنهين ولا ترغعين ولا ترضعين ، وما  
كان مثلك إلا كمثل ابن الحضرمي ابن يحماني أخي بني أسد حيث يقول :

ما ذاك إهداء القصائد بيننا شتم الصديق وكثرة الألقاب  
حتى تركتهم كأن قلوبهم في كل مجمعة طنين ذباب  
سمعت عائشة فأراقت دمعها ، وبدا عويلها ثم قالت :

أخرج والله عنكم ، فما في الأرض بلد أبغض إلي من بلد تكونون  
فيه .

فقال ابن عباس : قَلِمَ ؟ والله ماذا بلاؤنا عندك ، ولا يضعنا إليك ،  
إنا جعلناك للمؤمنين أمماً ، وأنت بنت أم رومان ، وجعلنا أباك صديقاً وهو  
ابن أبي قحافة : حامل قصاع الودك لابن جذعان إلى أضيافه .

فقالت عائشة : يا ابن عباس تمنون علي برسول الله ؟!!

فقال ابن عباس : ولم لا نمن عليك بمن لو كان منك قلامة منه  
مننتنا به ؟ ونحن لحمه ودمه ومنه ، وما أنت إلا حشية من حشايا تسمع ،  
خلفهن بعده ، لست بأبيضهن لوناً ولا بأحسنهن وجهاً ولا بأرشدهن عرقاً ،  
ولا بأنضرن ورقاً ، ولا بأطهرهن اصلاً ، صرت تأمرين فتنطاعين وتدعين  
فتجابين وما مثلك إلا كما قال أنور بني فهر :

مننت على قومي فابعدوا عداوة فقلت لهم : كفوا العداوة والشكرا  
ففيه رضا من مثلكم لصديقكم وأحجى بكم أن تجمعوا البغي والكفرا

ثم نهض ابن عباس وأتى أمير المؤمنين فأخبره بمقاتلتها ، وما ردَّ  
عليها فقال أمير المؤمنين **عليه السلام** : أما لو كنت أعلم بك حيث بعثتك .

استمرت الحرب من الزوال إلى الغروب ، وقيل استمرت ثلاثة أيام .  
وعلى كل فقد بلغ عدد القتلى خمسة وعشرين ألف قتيل . ستة آلاف من

أصحاب الإمام والباقون من أصحاب الجمل ، وأما الأيدي والأرجل التي  
قطعت فقد بلغ عددها أربعة عشر ألفاً .

هكذا ترؤت الأرض بالدماء ، وهكذا زُهقت الأرواح ولا تسأل عن  
الجرحى ولا تسأل عن أرامل القتلى ويتألمهم .  
هذا والكلام طويل وفي هذا المقدار كفاية .

## عليّ (ع) في صفين

بسم الله الرحمن الرحيم

حديثنا الليلة حول الحرب الثانية التي وقعت في أيام أمير المؤمنين عليه السلام وهي واقعة صفين ، تلك المجزرة الرهيبة ، التي تقشعر الجلود من استماع الحوادث ، والفجائع التي وقعت في تلك المعركة ، وضياح الحق وغلبة الباطل عن طريق الخدعة والغدر والمكر والتزوير ، وتتجلى صحيفة أمير المؤمنين ثقية بيضاء متلألأة ، وتتمثل فيها العدالة والتقوى والورع ، نذكرها في صورة موجزة :

لما انتهت غزوة الجمل في البصرة ووضعت الحرب أوزارها ، ورجع الإمام عليه السلام إلى الكوفة مظفراً منصوراً ، بعث كتاباً إلى معاوية يأمره بأخذ البيعة له عليه السلام ، وبعث الكتاب بيد رجل إلى الشام ، وجمع معاوية بعض مشاهير الشام وأمرهم بإشاعة هذا الخبر وإذاعته فيما بين الناس : وأن علياً قتل عثمان ، ومعاوية وليّ دم عثمان ، فيجب الطلب بشار عثمان ودمه وأعانه علي هذه الفكرة عمرو بن العاص واشترط علي معاوية أنه إذا بايعه وأعانه علي حرب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأخرجوا مصر من تحت سلطة أمير المؤمنين عليه السلام يكون عمرو بن العاص والياً وأميراً على مصر ، فبايعه علي ذلك وبايع أهل الشام معاوية أيضاً .

فنهض معاوية بجيشه الجرار وأقبل إلى (صفين) ، وهو اسم أرض كبيرة واسعة ، مستعداً للقتال ونهض الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعسكره إلى ذلك المكان وبعد أيام من وصوله استعرت نار الحرب فيما بين الفريقين وجرت أنهار من الدماء ، وتكونت أنلال وجبال من الأجساد المضرجة من القتلى من الفريقين . فقد وصل أبو الأعور السلمي وهو على مقدمة جيش معاوية إلى منطقة صفين ، الكائنة بالقرب من مدينة الرقة في سوريا ، ونزلاً منزلاً اختاروه مستويًا واسعاً واستولوا على شريعة الفرات .

فوصل مالك الأشتر ومعه أربعة آلاف رجل وهم مقدمة الجيش العلوي ، فاصطدموا بأبي الأعور وأزالوهم عن الفرات ، فوصل معاوية مع الجيش الجرار ، فانسحب الأشتر عن الفرات ، فاستولى معاوية وأصحابه على شاطئ الفرات وصار الماء لديهم فوصل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ومعه مائة ألف إنسان ويزيدون ، فأمر الإمام الجيش أن ينزلوا ويضعوا أنفالهم وأحمالهم ، وتسرع بعضهم إلى ناحية معاوية واقتتلوا قتالاً قليلاً .

وتقدم طائفة من الناس إلى الفرات ليستشقوا فمنعهم أهل الشام فأرسل الإمام عليه السلام صعصعة بن صوحان إلى معاوية رسولاً يعاتبه على تسرعه بالاستيلاء على الماء وجرى هنا كلام طويل .

كان عمرو بن العاص ينصح معاوية ويأمره أن يفسح المجال لأصحاب علي ليشربوا ، ولكن غرور معاوية منعه عن قبول النصيحة ، وخاصة بعد أن استولى أصحابه استيلاءً تاماً على الفرات ، حتى قال معاوية : يا أهل الشام هذا أول الظفر ، لا سقاني الله ولا أبا سفيان إن شربوا منه حتى يُقتلوا بأجمعهم . وتباشر أهل الشام من هذه البشرية السارة وهي التغلب على العدو عن طريق حبس الماء ، فقام رجل من أهل الشام همداني متعبداً وقال : يا معاوية سبحان الله سبقتم القوم إلى الفرات وتمنعونهم الماء ؟ أما والله لو سبقوكم إليه لسقوكم منه ، أليس أعظم ما تنالون من القوم أن تمنعوهم الفرات ؟ أما تعلمون أن فيهم العبد والأمة والأجير

والضعيف ومن لا ذنب له ؟؟ هذا والله أول الجور .

فأغلظ له معاوية في الكلام وقال لعمر بن الخطاب : إكفني صديقك ، فأتاه  
عمر بن الخطاب وقابله بالكلام الحشن ، فسار الهمداني في سواد الليل حتى لحق  
بعلي عليه السلام .

ومكث أصحاب علي عليه السلام يوماً وليلة بغير ماء ، واغتم الإمام عليه السلام من  
عطش أصحابه ، لأنهم باتوا في البر عطاشاً ، قد حيل بينهم وبين الورد  
إلى الماء ، فقال عمرو بن العاص لمعاوية :

إن علياً لا يموت عطشاً ، هو وتسمون ألفاً من أهل العراق وسيوفهم  
على عواتقهم ، ولكن دعهم يشربون وتشرب . فقال معاوية : لا والله أو  
يموتوا عطشاً كما مات عثمان !!

وخرج الإمام في تلك الليلة يلور في عسكره فسمع قائلاً يقول :

أيمنعنا القوم ماء الفرات؟  
وفينا الصلاة وفينا الصيام  
وفينا علي وفينا الهدى  
وفينا المناجون تحت الدجى  
ثم مرُّ بأخر فسمعه يقول :

أيمنعنا القوم ماء الفرات؟  
وفينا علي له صولة . .  
وفينا السرماع وفينا الحجف  
إذا خوفوه الردى لم يخف  
ونحن غداة لقينا الزبير  
رطلحة خضنا غمار التلف  
فما بالنسا أسد المعرين  
وما بالناس اليوم شاء عجف

وألقي على الأشعث رقعة فيها شعر ، فلما قرأها هاجت فيه الحمية ،  
ودخل على الإمام .

فقال : يا أمير المؤمنين أيمنعنا القوم ماء الفرات وأنت فينا والسيوف  
في أيدينا ؟ خل عنا وعن القوم ، فوالله لا نرجع حتى نرده أو نموت !!  
فقال الإمام : ذلك إليكم . فرجع الأشعث فنادى في الناس : من يريد

الماء أو الموت فمبعاده موضع كذا ، فإني ناهض .

فخرج إثنا عشر ألف رجل من قبيلة كندة وغيرهم ، واضعي سيوفهم على عواتقهم ، وأقبل الأشر بغيته فحملوا على الفرات حملة رجل واحد وأخذت السيوف أهل الشام ، فولوا مدبرين حتى غمست خيل أمير المؤمنين منابكها في الفرات واستولوا على الماء ، وأزالوا أبا الأعور عن الشريعة وغرقوا منهم بشراً وخيلاً ، وارتحل معاوية عن ذلك الموضع ، ولما صار الماء بأيديهم قالوا : لا والله لا نسقيهم ، فأرسل إليهم أمير المؤمنين : أن خلوا حاجتكم من الماء وارجعوا إلى معسكركم ، وخلوا بينهم وبين الماء فإن الله قد نصركم عليهم بظلمهم وبغيهم !! وقالوا له : إمنعهم الماء كما منعوك ، فقال : لا ، خلوا بينهم وبينه ، لا أفعل ما فعله الجاهلون !!

واستأذنه معاوية في وروده المشرعة فأباح الإمام له ذلك .

كان الإمام عليه السلام يحاول المحافظة على السلم والسلام والأمان كما فعل يوم الجمل فلم يزل يرسل الأفراد إلى معاوية للتفاهم وحسم النزاع وكان معاوية مصراً على الحرب والقتال .

وأخيراً اشتعلت نار الحرب واصطدم الحسكران ، فزحف بعضهم على بعض ، وتراموا بالنبال والحجارة حتى فنيت ، ثم تطاعنوا بالرمح حتى تكسرت ومشى بعضهم إلى بعض بالسيوف وعمد الحديد ، فلم يسمع السامعون إلا وقع الحديد بعضه على بعض ، وانكسفت الشمس وأمطرت السماء دماً ، وحملت الأفواج على الأفواج .

وحيث أن الحرب كانت قد طالت على الفريقين أراد كل جانب إنهاء الأمر وسبموا البقاء هناك ، ولهذا تبادروا إلى القتال واستمرت الحرب سنة وثلاثين ساعة ، واقترب الجيش العلوي من مقر قيادة الجيش الأموي وطلب معاوية فرساً لينهزم ، وكان أهل الشام ينادون : يا معشر العرب : الله الله في المحرمات من النساء والبنات !! الله الله في البقية !! لقد فنيت العرب . . . الخ .

اقترب الجيش العلوي من الفتح ، ولاح لهم الظفر والنصر وترجعه  
الخطر إلى معاوية ولم يستطع المقاومة إلا عن طريق الخدعة والمكر ، فأمر  
معاوية أصحابه في جوف الليل أن يربطوا المصاحف على رؤوس الرماح ،  
وأصبح الصباح وإذا بأهل العراق يشاهدون خمسمائة مصحف على رؤوس  
الرماح وأهل الشام ينادون بما تقدم من كلامهم ، ويستعطفون أهل العراق  
ويطلبون منهم ترك الحرب ، وكان آخر كلامهم : هذا كتاب الله بينا  
وبينكم . فقال الإمام : اللهم إنك تعلم أنهم ما الكتاب يريدون .

ومن هنا اختلف أصحاب علي ، فطائفة قالت : القتال ، وطائفة  
قالت : المحاكمة إلى الكتاب ، ولا يحل لنا الحرب وقد دُعينا إلى حكم  
الكتاب .

فعند ذلك بطلت الحرب ووضعت أوزارها ، وكان عدي بن حاتم  
يرى أن الفتح والنصر قد اقترب ، ويطلب من الإمام إدامة الحرب ، وقام  
عمرو بن الحق وطلب من الإمام أن يعمل بما يرى ، فقام الأشعث بن  
قيس وقابل هؤلاء بالكلام الحشن وطلب كف القتال .

فقال الإمام : إني أحق من أجاب إلى كتاب الله ، ولكن معاوية  
وعمر بن العاص وابن أبي معيط وابن أبي سرح وابن مسلمة ليسوا  
بأصحاب دين ولا قرآن !! وإني أعرف بهم منكم ، صحبتهم صغاراً ورجالاً  
فكانوا شر صغار وشر رجال !!

ويحكم !! إنها كلمة حق يراد بها الباطل ، إنهم ما رفعوها أنهم  
يعرفونها ويعملون بها ، ولكنها الخديعة والوهن والمكيذة ، أعيروني  
سواعدكم وجماعكم ساعة واحدة فقد بلغ الحق مقطعه ، ولم يبق إلا أن  
يقطع دابر الذين ظلموا .

استمرت الحرب من يوم شروعها إلى صبيحة ليلة الهرب مائة وعشرة  
أيام وبلغ عدد القتلى من أهل الشام تسعين ألفاً ومن أهل العراق عشرين  
ألفاً والمجموع مائة وعشرة آلاف كما ذكره المسعودي .

فجاء الإمام من أصحابه زهاء عشرين ألفاً مقننين في الحديد حاملين سيوفهم على عواتقهم ، وقد اسودت جباههم من كثرة السجود ، وهم الذين صاروا بعد ذلك خوارج ، فنادوا الإمام باسمه لا بإمرة المؤمنين وقالوا : يا علي أجب القوم إلى كتاب الله إذا دعيت إليه ، وإلا قتلناك كما قتلنا ابن عقاب ، فوالله لنفعلها إن لم تجيبهم !!

فقال الإمام **يبعث** : ويحكم !! أنا أول من دعا إلى كتاب الله ، وأول من أجاب . . . ولكني قد أعلمتكم أنهم قد كادوكم ، وأنهم ليس العمل بالقرآن يريدون .

كان مالك الأشتر في تلك الساعة يقاتل ويتقدم لحظة بعد لحظة ، وجيش معاوية كان ينسحب ويفرض ساعة بعد ساعة ولو أمهلوا الأشتر ساعة واحدة لانتهت الحرب .

فصاح هؤلاء : يا أمير المؤمنين إبعث إلى الأشتر ليأتيك . فبعث الإمام رجلاً إلى الأشتر : أن إئتني . فقال الأشتر : ليس هذه بالساعة التي ينبغي لك أن تزيلني عن موقعي ، إني قد رجوت الفتح فلا تعجلني .

رجع الرسول فأخبر الإمام ، وحمل الأشتر على أهل الشام وظهرت علامات الفتح ، ولكن القوم قالوا : يا أمير المؤمنين ما نراك إلا أمرته بالقتال .

فقال الإمام : أرايتعوني شاورت رسولي إليه ؟ أليس إنما كلمته على رؤوسكم علانية وأنتم تسمعون ؟ فسالوا : إبعث إليه ، وإلا فوالله إعتزلناك !!

فذهب الرسول إلى الأشتر وأخبره عن اختلاف القوم ، وما كان الأشتر يحب مغادرة جبهة القتال في تلك الساعة الحرجة فقال له الرسول : أتحب أنك ظفرت ههنا ، وأن أمير المؤمنين بإمكانه الذي هو فيه يفرج عنه ويسلم إلى عدوه ؟؟ ، فقال الأشتر : سبحان الله !! لا والله ، لا أحب ذلك فقال

الرسول : فإنهم قد حلفوا عليه لترسلن إلى الأشتر فليأتيك أو لنقتلنك  
بأسيافنا كما قتلنا عثمان أو لنسلمنك إلى عدوك !!

أقبل الأشتر مغضباً وصباح بالقوم : يا أهل النذل والوهن أحيين علمتكم  
القوم وظنوا أنكم قاهرون رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها . . . فلا  
تجيبوهم ، أمهلوني فإني قد أحسست بالفتح . قالوا : لا نمهلك .

جرى كلام طويل وعتاب بين الأشتر والقوم وآل الأمر إلى السب  
والشتم والصياح ، فصاح بهم الإمام ، فكفوا ، فصاح القوم : أن أمير  
المؤمنين قد رضي المحاكمة بحكم القرآن .

كان الإمام ساكناً لا يتكلم ، والقوم يتكلمون ، ولما سكتوا قال  
الإمام : أيها الناس إن أمري لم يزل معكم على ما أحب إلى أن أخذت  
منكم الحرب . . . إلا : إني أمس أمير المؤمنين فأصبحت اليوم مأموراً  
وكنت ناهياً فأصبحت منهياً ، وقد أحببتكم البقاء وليس لي أن أحملكم على  
ما تكرهون .

اضطرب أقوال الرجال وقام الرؤساء وتكلموا بما تكلموا من الموافقة  
على رأي الإمام ورفض المحاكمة ، ولكن المهرجين نشروا هذه الكلمة :  
إن أمير المؤمنين رضي التحكيم .

ودخل الأشعث بن قيس - رأس الفساد - واستأذن من الإمام ليكون  
رسولاً إلى معاوية فأذن له الإمام ، فجاء الأشعث ودخل على معاوية وقال :  
لأي شيء رفعت هذه المصاحف ؟ فقال معاوية : لنرجع إلى ما أمر الله به  
فيها ، فابعثوا رجلاً منكم ترضون به ، وبعث رجلاً منا ، ونأخذ عليهما أن  
يعملا بما في كتاب الله ، ولا يعدوانه ، ثم تبع ما اتفقا عليه .

فرجع الأشعث . فأقبل جماعة من أصحاب الإمام وجماعة من  
أصحاب معاوية واجتمعوا بين الصفيين وتذاكروا حول انتخاب (الحكم)  
فانتخب أهل الشام عمرو بن العاص ، وانتخب الأشعث ونظراؤه أبا موسى

الأشعري فرفض الإمام أبا موسى ولم يرض به ، وقال الأشعث وجماعة :  
لا نرضى إلا به ، فلم يوافق الإمام وانتخب ابن عباس ليكون (حكماً) فلم  
يرضى الأشعث باين عباس لأنه من أقارب الإمام فاختار الإمام الأشتر فلم  
يرضوا به .

جادل الأشعث بكل وقاحة وصلافة ، وردّ على الإمام جميع مقترحاته  
وبقي مصرّاً على انتخاب الأشعري ، فقال الإمام : فاصنعوا ما شئتم !  
وكان يصفق بيديه ويقول : يا عجبا ! أعصى ويُطاع معاوية ١١٢٢!

أرسلوا إلى أبي موسى الأشعري وكان في الشام فجاء إلى معسكر  
الإمام ، فجاء الأشتر ورشح نفسه ليكون هو الحكم ، وجاء الأحنف بن  
قيس وحذر الإمام من الأشعري وعجزه وضعف نفسه ورشح نفسه للحكم  
فوافق الإمام على ذلك ، ولكن الناس رفضوا وقالوا : لا يكون إلا أبا  
موسى .

وكتبوا كتاب الموادة وهذه صورته :

هذا ما تقاضى عليه علي أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان . . .  
فلما قرأ معاوية الكتاب قال : بش الرجل أنا إن أقررت أنه أمير المؤمنين  
ثم قاتلته !

أعيد الكتاب إلى الإمام وأخبروه فأمر الإمام بمحو كلمة (أمير  
المؤمنين) فنهاه الأحنف عن ذلك ، فقال الأشعث : أمح هذا الإسم . . . !  
فقال الإمام : إن هذا اليوم كيوم الحديبية حين كتب الكتاب عن  
رسول الله ﷺ : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله وسهيل بن  
عمرو . . . فقال سهيل : لو أعلم أنك رسول الله لم أقاتلك ولم أخالفك ،  
إني إذن لظالم لك . . . ولكن أكتب : محمد بن عبد الله .

فقال لي رسول الله ﷺ : يا علي إني لرسول الله وأنا محمد بن  
عبد الله ، ولن يمحوا عني الرسالة كتابي لهم .

إن ذلك الكتاب أنا كتبه بينا وبين المشركين ، واليوم أكتبه إلى  
أبنائهم كما كان رسول الله كتبه إلى آبائهم شبيهاً ومثلاً .

فقال عمرو بن العاص : سبحان الله ! أتشبهنا بالكفار ونحن  
مسلمون ؟ فقال الإمام : يا بن النابغة ومتى لم تكن للكافرين ولياً  
وللمسلمين عدواً ؟

ولما أرادوا تنظيم الكتاب سألوا الإمام : أقرر أنهم مسلمون مؤمنون ؟  
فقال الإمام : ما أقر لمعاوية ولا لأصحابه أنهم مؤمنون ولا مسلمون  
ولكن يكتب معاوية ما شاء ويقر بما شاء لنفسه ولأصحابه ويسمي نفسه بما  
شاء وأصحابه .

فكتبوا الكتاب ، وكان في أعلى الكتاب خاتم أمير المؤمنين وفي  
أسفله خاتم معاوية وشهد الشهود عليها وخرج الأشعث بالكتاب وقرأه على  
أهل العراق فهاج الناس وظهرت الفتنة والانقسام والتفرقة وتكونت الخوارج  
وصاحوا : لا حكم إلا لله . فأين قتلتنا يا أشعث ؟ وحمل بعضهم على  
الأشعث ليقتله .

وأقبل الناس إلى الإمام مستكرين للحكومة وطلبوا من الإمام نقض  
العهد والرجوع إلى الحرب فقال الإمام : ويحكم ! أبعد الرضا والميثاق  
والعهد نرجع ؟ أليس الله تعالى قد قال : أوفوا بالعقود ؟ وقال : هؤأوفوا  
بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها ، وقد جعلتم الله  
عليكم كفيلاً<sup>(١)</sup> .

فبرأ الخوارج من الإمام وبرأ منهم ، وأقبل الجيش يستأذنون الإمام  
بالهجوم على معاوية فقال الإمام عليه السلام : لو كان هذا قبل المعاهدة وسطر  
الصحيفة لأزلتهم عن عسكرهم .

توجه الأشعري للاجتماع بآبن العاص للمحاكمة ، فحفره الناس عن

(١) سورة النحل ، الآية : ٩١ .

ابن العاص وغديره ومكيدته وسوء سوابقه حتى يتخذ التدابير اللازمة ويكون على بصيرة من أمره ، ولكن كان كل هذا بلا جدوى بلى كانت النتيجة معكوسة .

اجتمع الحكمان في المكان المعد لهما فقال عمرو : تكلم يا أبا موسى فقال الأشعري : بل أنت تكلم . فقال عمرو : ما كنت لأفعل وأقدم نفسي قبلك ، ولك حقوق كلها واجبة . . . فتكلم أبو موسى فقال عمرو : إن للكلام أولاً وآخرأ ومتى تنازعنا الكلام لم نبلغ آخره حتى ننسى أوله . فاجعل ما كان من كلام بيننا في كتاب يصير إليه أمرنا ؟ فقال أبو موسى : اكتب ، دعى عمرو بصحيفة وكاتب .

وبعد سؤال وجواب وخداع وتزوير قال الأشعري : قد علمت أن أهل العراق لا يحبون معاوية أبداً ، وأن أهل الشام لا يحبون علياً أبداً ، فهلم نخلمهما ونستخلف عبد الله بن عمر بن الخطاب . فقال عمرو : أيفعل ذلك ابن عمر ؟ قال : نعم ، إذا حمله الناس على فعل ذلك فعل . فقال عمرو : فهل لك في سعد بن أبي وقاص ؟ قال : لا ، فذكر ابن العاص جماعة والأشعري لا يرضى بهم .

فقال عمرو : قم وانخطب . فقال الأشعري : قم أنت وانخطب فامتنع ابن العاص وقام الأشعري وخرج من الخيمة وقد اجتمع أربعمائة رجل من أصحاب الإمام ومثلهم من أصحاب معاوية .

فقام الأشعري وخطب خطبة وقال : أيها الناس إننا نظرنا في أمرنا فرأينا أقرب ما يحضرنا من الأمن والصلاح ولمّ الشعث وحقن الدماء وجمع الألفة خلعتنا علياً ومعاوية ، وقد خلعت علياً كما خلعت عمّامتي هذه ، وخلعت عمّامته . . .

وقام عمرو وقال : أيها الناس إن أبا موسى عبد الله بن قيس قد خلعت علياً وأخرجته من هذا الأمر الذي يطلب ، وهو أعلم به ، ألا وأني خلعت علياً وأثبت معاوية علي وعليكم . . .

فقال الأشعري كذب عمرو لم نستخلف معاوية ولكننا خلعنا معاوية  
وعلياً ! فقال عمرو بل كذب عبد الله بن قيس فد خلع علياً ولم أخلع  
معاوية . فقال الأشعري : ما لك ؟ لا وفقك الله غدرت وفجرت ، إنما  
مثلك كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث .

فقال عمرو : بل إياك يلعن الله ، كذبت وغدرت إنما مثلك كمثل  
الحمار يحمل أسفاراً . فضرب عمرو أبا موسى فسقط وضرب شريح عمراً  
بالسوط ، فركب الأشعري راحلته وتوجه إلى مكة وحلف أن لا ينظر في  
وجه علي .

## علي (ع) والخوارج

بسم الله الرحمن الرحيم

لما تقرر التحكيم غادر الإمام عليه السلام صفين وقصد نحو الكوفة ، وبقي في الكوفة ، فوقع تحكيم الحكمين ، وأنتج ذلك التحكيم خلع الإمام عليه السلام عن الإمامة وتثبيت معاوية ، ومن هنا تكوّن مذهب الخوارج وكان الإمام عليه السلام ينتظر انقضاء السنة . . وهي مدة الهدنة التي بينه وبين معاوية ليوجع إلى المقاتلة والحرب ، وإذا بأربعة آلاف فارس من أصحابه العباد والنسك قد تكتلوا كتلة واحدة ضد الإمام فخرجوا من الكوفة لإعلان المخالفة ، وقالوا : لا حكم إلا لله ، ولا طاعة لمن عصى الله !!

وانضمت إليهم جماعة أخرى وهم ثمانية آلاف ممن يرى رأيهم فصاروا إثني عشر ألفاً ، من أهل الكوفة والبصرة وغيرها وساروا إلى أن نزلوا الحورراء ، ونادى مناديتهم : إن أمير القتال شيبث بن ربعي ، وأمير الصلاة عبد الله بن الكوا ، والأمر شورى بعد الفتح ، والبيعة لله على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فدخل زرعة الطائي وحرقوص بن زهير - ذو النديبة - فقالا : لا حكم إلا لله . فقال علي عليه السلام : كلمة حق يراد بها الباطل . قال ذو النديبة : فتب من خطيئتك ، وارجع عن قصتك ، واخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى

تلقى ربنا . فقال ﷺ : قد أردتكم على ذلك فعصيتموني ، وقد كتبنا بيننا وبين القوم كتاباً وشروطاً ، وأعطينا عليها عهداً وميثاقاً ، وقد قال الله تعالى : ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم﴾<sup>(١)</sup> .

قال ذو النثديّة : ذلك ذنب ينبغي أن تتوب عنه . فقال ﷺ : ما هو بذنب ولكنه عجز من الرأي وضعف في العقل ، وقد تقدمت فنهيتكم عنه . فقال ابن الكوا : الآن صحّ عندنا أنك لست بإمام ، ولو كنت إماماً لما رجعت . فقال ﷺ ويلكم قد رجع رسول الله ﷺ عام الحديبية عن قتال أهل مكة .

وقال زرعة : أما والله لئن لم تتب من تحكيمك الرجال لأقتلنك أطلب بذلك وجه الله ورضوانه ! فقال ﷺ : يؤساً لك ! ما أشفاك ! كاني بك قتيلاً ، تسفي عليه الرياح ، قال زرعة : وددت أنه كان ذلك .

بحث الإمام أمير المؤمنين ﷺ صعصعة بن صوحان مع زياد بن نضر وعبد الله بن العباس إلى القوم فلم يرتدعوا ، فدعى الإمام صعصعة وقال له : يا أي القوم رأيتم أشد طاعة ؟ فقال صعصعة : يزيد بن قيس الأرحبي ، فركب ﷺ إلى حروراء حتى وصل إلى خيمة يزيد بن قيس فصلى فيه ركعتين ثم خرج ، فأتكأ على قومه ، وأقبل على الناس فقال : هذا مقام من فلج فيه فلج إلى يوم القيامة ، ثم كلمهم وناشدهم فقال لهم : ألا تعلمون أن هؤلاء القوم لما رفعوا المصاحف قلت لكم : إن هذه مكيدة ووهن ، ولو أنهم قصدوا إلى حكم المصاحف لأنوني وسألوني التحكيم ؟ أفتعلمون أن أحداً أكره إلى التحكيم مني ؟ قالوا : صدقت . قال : فهل تعلمون أنكم استكرهتموني على ذلكم حتى أجبتكم ، فأشرطت أن حكمهما : نافذ ما حكما بحكم الله ، فمتى خالفناه فأنا وأنتم من ذلك براء ، وأنتم تعلمون أن حكم الله لا يعدوني ؟

(١) سورة النحل ، الآية : ٩١ .

فقال ابن الكواء : حَكِّمْت في دين الله برأينا ، ونحن مُقَرَّون بِأَنَا  
كفرنا ولكن الآن تائبون فأقرر بمثل ما أقررنا به ، وتب نهض معك إلى  
الشام . فقال عليه السلام : أما تعلمون أن الله قد أمر بالتحكيم في شقاق بين  
الرجل وامرأته ؟ فقال سبحانه : ﴿ فابعدوا حكماً من أهله وحكماً من  
أهلها ﴾ <sup>(١)</sup> . وفي صيد « كارتب » يساوي نصف درهم فقال : « يحكم به ذوا  
عدل منكم » .

فقالوا له : فإن عمرو بن العاص لما أوى عليك أن تقول في كتابك  
هذا ما كتبه عبد الله علي أمير المؤمنين محوت إسمك من الخلافة وكتبت  
علي بن أبي طالب ، فقد خلعت نفسك .

فقال عليه السلام : لي أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم حين أوى عليه سهيل بن عمرو  
أن يكتب : هذا ما كتبه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسهيل بن عمرو وقال : لو  
أقررت بأنك رسول الله ما خالفتك ، ولكني أقدمك لفضلك ، فإكتب  
محمد بن عبد الله فقال لي : يا علي ، امح رسول الله .

فقلت : يا رسول الله لا تشجعني نفسي على محو إسمك من النبوة .  
فقبضى عليه فمحاها بيده ثم قال : اكتب محمد بن عبد الله . ثم تبسم  
إلي وقال : إنك لتأم مثلها فتعطي .

فقالوا : إنا أذنبنا ذنباً عظيماً بالتحكيم ، وقد تبنا ، فتب إلى الله كما  
تبنا نعد لك . فقال علي عليه السلام : أستغفر الله من كل ذنب . فرجعوا معه  
منهم ستة آلاف فلما استقروا بالكوفة أشاعوا : أن علياً رجع عن التحكيم  
ورآه ضلالاً ، وقالوا : إنما يتنظر أن يسمن الكراع ويجيء المال ثم  
ينهض بنا إلى الشام . فأتى الأشعث علياً عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين إن  
الناس قد تحدثوا : أنك رأيت الحكومة - تحكيم الحكيم - ضلالاً والإقامة  
عليها كفرأ . فقام علي عليه السلام فخطب فقال : من زعم أنني رجعت عن

(١) سورة النساء ، الآية : ٣٥ .

الحكمين فقد كذب ، ومن رآها ضلالة فقد ضل . فخرجت الخوارج من المسجد ، ثم توجهت إلى النهروان .

ووقعت لهم في طريقهم إلى النهروان طرائف عجيبة وقضايا مبكية ومضحكة ، فمنها : أنهم وجدوا مسلماً ونصرانياً في طريقهم ، فقتلوا المسلم لأنه عندهم كافر إذ كان على خلاف معتقدهم ، واستوصوا بالنصراني وقالوا : احفظوا ذمة نبيكم .

ووثب رجل منهم على رطبة سقطت من نخلة فوضعها في فمه فصاحوا به ، فلغظها تورعاً .

ورأى أحدهم خنزيراً فضربه وقتله ، فقالوا : هذا فساد في الأرض وأنكروا قتل الخنزير .

وساوموا رجلاً نصرانياً بنخلة له فقالوا : ما كنا لناخذها إلا بالثمن ، فقال النصراني : واعجابه أتقتلون مثل عبد الله بن خباب ولا تقبلون منا نخلة إلا بالثمن ؟؟؟

وأما عبد الله بن خباب الأزدي ، فإنه كان راكباً على حمار ومعه زوجته وهي حامل فقالوا له :

حدثنا . قال سمعت أبي يقول : قال رسول الله : ستكون بعدي فتنة ، يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه ، يمسي مؤمناً ويصبح كافراً فكن عند الله المقتول ولا تكن القاتل .

قالوا : فما تقول في أبي بكر وعمر ؟ فأثنى خيراً . قالوا : فما تقول في علي قبل التحكيم ؟ وفي عثمان في السنين الست الأخيرة ؟ فأثنى خيراً . قالوا : فما تقول في علي بعد التحكيم والحكومة ؟

قال : إن علياً أعلم بالله وأشد توكياً على دينه ، وأنفذ بصيرة .

قالوا : إنك تتبع الهوى ، إنما تتبع الرجال على أسمائهم ، ثم قربوه

إلى شاطئ النهر فأضجعوه وذبحوه ، ثم عمدوا إلى امرأته فشقوا بطنها  
وهي حامل !!!

وصل القوم إلى النهروان وتوجه الإمام بك بك بجيشه إليهم ،  
فقال بك : يا ابن عباس إمض إلى هؤلاء القوم ، فانظر ما هم عليه ،  
ولماذا اجتمعوا ؟ فلما وصل إليهم ، دار بينهم ما يلي :

الخوارج . ويحك يا ابن عباس : كفرت بربك كما كفر صاحبك  
علي بن أبي طالب ! وخرج خطيبهم عتاب بن الأصور الثعلبي فسأله ابن  
عباس :

ابن عباس : من بنى الإسلام ؟

عتاب : الله ورسوله .

ابن عباس : النبي أحكم أموره وبين حدوده أم لا ؟

عتاب : بلى .

ابن عباس : فالنبي بقي في دار الإسلام أم ارتحل ؟

عتاب : بل ارتحل .

ابن عباس : فأمر الشرع ارتحلت معه أم بقيت ؟

عتاب : بل بقيت بعده .

ابن عباس : فهل قام أحد بعده بعمارة ما بناه ؟

عتاب : نعم ، الذرية والصحابة .

ابن عباس : فعمروها أو خربوها .

عتاب : بل عمروها .

ابن عباس : فالآن هي معمورة أم خراب .

عتاب : بل خراب .

ابن عباس : خربها ذريته أم أمته ؟

عتاب : بل أمته .

ابن عباس : أنت من الذرية أو من الأمة ؟

عتاب : من الأمة .

ابن عباس : أنت من الأمة وخربت دار الإسلام فكيف ترجو الجنة ؟

فقالوا : ليخرج إلينا علي بن نفسه لنسمع كلامه عسى أن يزول ما بأنفسنا إذا سمعناه فرجع ابن عباس فأخبره ، فركب عليه السلام في جماعة ، ومضى إليهم فركب ابن الكوا في جماعة منهم ، فلما التقوا قال الإمام عليه السلام : يا ابن الكوا إن الكلام كثير ، فأبرز إلي من أصحابك لأكلمك . فقال : وأنا آمن من سيفك ؟ قال عليه السلام : نعم . فخرج إليه في عشرة من أصحابه فقال له علي عليه السلام . . . ألم أقل لكم إن أهل الشام إنما يخذعونكم بها - الحكومة ورفع المصاحف وغير ذلك - فإن الحرب قد عضتهم فنروني أناجزهم فأبيتم ؟ ألم أرد نصب ابن عمي - ابن عباس - وقلت : إنه لا يخذع فأبيتم إلا أبا موسى ؟ وقتلتم : رضينا به حكماً . فأجبتكم كارهاً ؟ ولو وجدت في ذلك الوقت أعواناً غيركم لما أجبتكم ، وشرطت على الحكمين بحضوركم . أن يحكما بما أنزل الله من فاتحته إلى خاتمته . والسنة الجامعة ، وإنهما إن لم ينفلا فلا طاعة لهما علي ؟ كان ذلك أو لم يكن ؟

قال ابن الكواء : صدقت ، كان هذا كله ، فلم لا ترجع الآن إلى حرب القوم ؟ قال الإمام عليه السلام : حتى تنقضي المدة التي بينا وبينهم . قال ابن الكوا : وأنت مجمع على ذلك ؟ قال عليه السلام : نعم ، لا يسعني غيره ، فعاد ابن الكواء والعشرة الذين معه إلى أصحاب علي عليه السلام راجعين عن دين الخوارج وتفرق الباكون وهم يقولون : لا حكم إلا لله . وأمروا عليهم

عبد الله بن وهب الراسبي وذا الشدية ، وعسكروا بالنهروان ، وخرج الإمام عليه السلام حتى بقي على فرسخين منهم ، وكاتبهم وراسلهم ، فلم يرتدعوا ، فأمر الإمام ابن عباس أن يركب إليهم ، وقال : سلهم ما الذي نقموه ؟ وأنا ردك فلا تخف منهم . فلما جاءهم ابن عباس قال : ما الذي نقمتم من أمير المؤمنين ؟ قالوا : نقمنا أشياء لو كان حاضراً فكفرناه بها !! - والإمام يسمع كلامهم - فقال ابن عباس : يا أمير المؤمنين قد سمعت كلامهم وأنت أحق بالجواب . فتقدم عليه السلام وقال : أيها الناس أنا علي بن أبي طالب ، فتكلموا بما نقمتم علي . قالوا : نقمنا عليك أولاً :

إننا قاتلنا بين يديك بالبصرة ، فلما أظفرك الله بهم أبحتنا ما في عسكرهم ومنعتنا النساء والذرية ، فكيف حل لنا ما في العسكر ولم يحل لنا النساء ؟

فقال عليه السلام : يا هؤلاء ، إن أهل البصرة قاتلونا بالقتال ، فلما ظفرتهم بهم قسمتم سلب من قاتلكم ، ومنعتكم من النساء والذرية ، فإن النساء لم يقاتلن ، ولدوا على الفطرة ، ولم ينكثوا ولا ذنب لهم ، ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من على المشركين ، فلا تعجبوا إن مننت على المسلمين فلم أسب نساءهم ولا ذريتهم .

قالوا : نقمنا عليك يوم صفين كونك محوت إسمك من إمرة المؤمنين فإذا لم تكن أميرنا ، ولست أميراً لنا !!

قال عليه السلام : يا هؤلاء إنما اقتديت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين صالح سهيل بن عمرو وقد تقدمت عنهم في ذلك الوقت .

قالوا : نقمنا عليك . أنك قلت للمحكمين : انظروا كتاب الله ، فإن كنت أفضل من معاوية فأنتباني في الخلافة . فإذا كنت شاكاً في نفسك فنحن فيك أشد وأعظم شكاً !

قال عليه السلام : إنما أردت بذلك النصفة - الإنصاف - فإني لو قلت :

أحكما لي دون معاوية لم يرض ولم يقبل ، ولو قال النبي ﷺ لنصاري  
نجران لما قدموا عليه : تعالوا نبهله فأجعل لعنة الله عليكم . فلم يرضوا ،  
ولكن أنصفهم من نفسه كما أمره الله فقال : ﴿فنجعل لعنة الله على  
الكافرين﴾<sup>(١)</sup> فأنصفهم من نفسه ، فكذلك فعلت أنا ولم أعلم بما أراد  
عمرو بن العاص من خدعة أبي موسى .

قالوا : فإننا نقمنا عليك أنك حكمت حكماً في حقٍ هو لك .

فقال ﷺ : إن رسول الله ﷺ حكم سعد بن معاذ في بني قريظة ولو  
شاء لم يفعل ، وأنا اقتديت به ، فهل بقي عندكم شيء ؟ فسكتوا وصاح  
جماعة منهم من كل جانب : التوبة التوبة يا أمير المؤمنين فأعطى أمير  
المؤمنين راية أمان مع أبي أيوب الأنصاري ، فتأداهم أبو أيوب من جاء إلى  
هذه الراية أو خرج من الجماعة فهو آمن . فرجع منهم ثمانية آلاف ،  
فأمر ﷺ المستأمنين بالاعتزال وبقي أربعة آلاف منهم مستعدين للقتال ،  
فخطبهم الإمام ووعظهم فلم يرتدعوا ، وصاح مناديهم فيهم : دعوا مخاطبة  
علي وأصحابه ، وبادروا إلى الجنة . وصاحوا : الرواح إلى الجنة !!

وتقدم حرقوص ذو الثديية وعبد الله بن وهب وقالوا : ما نريد بقتالنا  
إياك إلا وجه الله والدار الآخرة ، فقال ﷺ : ﴿هل أتيتكم بالأخسرين  
أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون  
صنعاً﴾<sup>(٢)</sup> فكان أول من خرج أخنس بن العزير الطائي ، فقتله الإمام ﷺ  
وخرج عبد الله بن وهب ومالك بن الوضاح ، وخرج أمير المؤمنين ﷺ وقتل  
الوضاح وضرب ضربة على رأس الحرقوص وقتله ، وأمر أصحابه بالهجوم  
على العدو .

عند ذلك استعرت الحرب والتهدت نيرانها ، وأما عبد الله بن وهب

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٦١ .

(٢) سورة الكهف ، الآيات : ١٠٣ و ١٠٤ .

الراسي فصاح : يا ابن أبي طالب : والله لا نبرح من هذه المعركة حتى تأتي على أنفسنا ونأتي على نفسك ، فأبرز إليّ وأبرز إليك ، وذر الناس جانبا ، فلما سمع الإمام كلامه تبسم وقال : قاتله الله من رجل ما أقل حياءه ، أما أنه ليعلم إنني لحليف السيف وخدين الرمح ، ولكنه قد يش من الحياة ، وإنه ليطمع طمعاً كاذباً ، ثم حمل عليه الإمام فضربه وقتله والحقة بأصحابه في النار ، واختلط الجيشان فلم تكن إلا ساعة حتى قتلوا بأجمعهم وكانوا أربعة آلاف ، ولم ينج منهم إلا تسعة أنفس : رجلان هربا إلى خراسان إلى أرض سجستان وبها نسلهما ، ورجلان صارا إلى اليمن وفيها نسلهما (وهم الإياضية) ، ورجلان صارا إلى بلاد الجزيرة إلى موضع يعرف بالسن والبواريج نواحي تكريت في شمال العراق والباقون تفرقوا في البلاد .

وقُتِل من أصحاب علي عليه السلام تسعة بعدد من سلم من الخوارج .

## الغارات الثلاث على بلاد الامام (ع)

بسم الله الرحمن الرحيم

لما وقع التحكيم في صفين وحصل الانشقاق والافتراق في اصحاب الإمام وتكوّنت الخوارج انتهز معاوية الفرصة فكان يرسل الجيوش إلى بلاد الإمام **سنة** ويفتك بالناس ويهاجمهم غدرًا ويقتلهم صبراً .

وقد تكررت منه هذه الجريمة والجنابة ، ونقتطف ثلاث غارات سنّها معاوية على المسلمين وأقام المجازر والمذابح وبلغ أقصى مراتب القساوة والوحشية والهمجية ، نذكر لكم كل غارة بشيء من التفصيل :

### الغارة الأولى

روى ابن أبي الحديد عن ابن الكنوز قال : حدثني سفيان بن عوف الغامدي قال : دعاني معاوية فقال : إني باعشك في جيش ذي أداة وجلادة ، فالزم لي جانب الفرات حتى تمرب (هيت) فنقطعها ، فإن وجدت بها جنداً فأغر عليهم ، وإلا فامض حتى تغير على الأنبار ، فإن لم تجد بها جنداً فامض حتى توغل المدائن ثم أقبل إلي : واتق أن تغرب الكوفة - واعلم : أنك إن أغرت على الأنبار وأهل المدائن فكأنك أغرت على الكوفة - إن هذه الغارات يا سفيان : على أهل العراق ترعب قلوبهم وتفرّج كل من له فينا هوى منهم ، وتدعو إلينا كل من يخاف الدوائر ، فاقتل من

لقيته ممن ليس هو على مثل رأيك ، واخرب كل ما مررت به من القرى ،  
وصرب الأموال نسيه بالقتل ، وهو أوجع للقلب .

هذه وصايا معاوية ، هكذا يأمر عميله بالقتل والحرق والهدم والسلب  
والنهب بقوم مسلمين مؤمنين ، ومع ذلك هو أمير المؤمنين !!

قال سفيان : فخرجت من عنده فمسكرت ، وقام معاوية في الناس  
فخطبهم فقال : أيها الناس ، إندبوا مع سفيان بن عوف فإنه وجه عظيم فيه  
أجر ، سريعة فيه أوبتكم إن شاء الله . ثم نزل .

فوالله الذي لا إله غيره ما مرت ثالثة حتى خرجت في ستة آلاف ،  
ثم لؤمت شاطئ الفرات ، فأغذذت (أسرعت) السير حتى أمر بهيت فبلغهم  
أنبي قد غشيتهم فقطعوا الفرات فمررت بها وما بها غريب ، كأنها لم تحلل  
قط ، فوطأتها حتى أمر بصدوراء ففروا ، فلم ألق بها أحداً ، فأمضي حتى  
أفتتح الأنبار ، وقد أئذروا بي ، فخرج صاحب المسلحة إلي ، فوقف فلم  
أقدم عليه حتى أخذت غلماناً من أهل القرية فقلت لهم : أخبروني كم  
بالأنبار من أصحاب علي ؟ قالوا : عدة رجال المسلحة خمسمائة ، ولكنهم  
تبددوا ورجعوا إلى الكوفة ، ولا ندرى الذي يكون فيها ، قد يكون مائتي  
رجل .

فنزلت فكتبت أصحابي كتاب ، ثم أخذت أبعثهم إليه كتبية بعد  
كتبية ، فبقاتلهم والله ويصبر لهم ويطاردهم ، ويطارده في الأزقة ، فلما  
رايت ذلك أنزلت إليهم نحواً من مائتين ، وأتبعتهم الخيل ، فلما حملت  
الخيل وأمامها الرجال تمشي لم يكن شيء حتى تفرقوا ، وقتل صاحبهم في  
نحو ثلاثين رجلاً ، وحملنا ما كان من الأنبار من الأموال ، ثم انصرفت ،  
فوالله ما غزوت غزاة كانت أسلم ولا أقر للعيون ، ولا أسر للنفوس منها  
ويبلغني أنها رعبت الناس ، فلما عدت إلى معاوية حدثته الحديث على  
وجهه فقال : كنت عند ظني بك . ولا تنزل في بلد من بلداني إلا قضيت  
فيه مثل ما يقضي فيه أميره ، وإن أحبيت تولية ولبيتك ، وليس لأحد من

خلق الله عليك أمر دوني . . . الخ .

وصلت هذه الأخبار إلى الإمام عليه السلام فصعد المنبر فخطب الناس وقال : إن أحاكم البكري - عامل الأنبار - قد أصيب ، وهو اختار ما عند الله على الدنيا فانتدبوا إليهم حتى تلافوهم فإن أصبتم منهم طرفاً أنكموهم عن العراق أبداً ما بقوا .

ثم سكت عنهم رجاء أن يجيئوه أو يتكلم منهم متكلم ، فلم ينس أحد منهم بكلمة ، فلما رأى صمتهم نزل وخرج يمشي راجلاً حتى أتى النخيلة والناس خلفه حتى أحاط به القوم من أشرافهم ، فقالوا : إرجع يا أمير المؤمنين : نحن تكفيك فقال : ما تكفونني ، ولا تكفون أنفسكم !! فلم يزالوا به حتى صرفوه إلى منزله ، فرجع وهو واجم - ساكت - كئيب ، ودعى سعيد بن قيس الهمداني . فبعثه من النخيلة في ثمانية آلاف وذلك أنه أخبر أن القوم جاؤوا في جمع كثيف فخرج سعيد بن قيس على شاطئ الفرات في طلب سفيان بن عوف حتى إذا بلغ عانات سرح أمامه هاني بن الخطاب الهمداني فاتبع آثارهم حتى أدنى قنسرين ، فقد فاتوه فانصرف .

ولبت الإمام عليه السلام ترى فيه الكآبة والحزن حتى قدم سعيد بن قيس ، وكان عليه السلام تلك الأيام عليلاً ، فلم يقر على القيام في الناس بما يريد من القول ، فجلس بباب المسدة التي تصل إلى المسجد ، ومعه ابنه الحسن والحسين عليه السلام وعبد الله بن جعفر ، ودعا سعداً مولاه فدفع إليه الكتاب وأمره أن يقرأه على الناس ، فقام سعد بحيث يستمع أمير المؤمنين صوته ، ثم قرأ الخطبة :

أما بعد : فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه وهو لباس التقوى ، ودرع الله الحصينة ، وجنته الوثيقة ، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل ، وشملة البلاء ، وديث بالصغار والعمار ، وضرب على قلبه بالأسداد وأدبل الحق منه بتضييع الجهاد ، وسيم الخسف ، ومنع النصف .

ألا : وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً ، وسراً وإعلاناً ، وقلت لكم : أغزوهم قبل أن يغزوكم ، فوالله ما غزى قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا . فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت عليكم الغارات وملكتم عليكم الأوطان ، وهذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار وقد قتل حسان بن حسان البكري وأزال خيلكم عن مسالحتها .

ولقد بلغني : أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة ، فيتزع منها حجلها وقلبها وقلائدها وروعائها ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام ، ثم انصرفوا واغربين ، ما نال رجلاً منهم كلم ولا أرين لهم دم ، فلو أن امرأة مسلماً مات بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً ، بل كان به عندي جديراً .

فيا عجيباً ، عجيباً والله يميت القلب ، ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقتكم عن حقكم ، فقبحاً لكم وترحاً ! حين صرتم غرضاً يرمى ! يغار عليكم ولا تغيرون وتغزون ولا تغزون ، ويُعصى الله وترضون فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر قلتم : هذه حمارة القيظ أمهلنا بسبخ عنا الحر . وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتم : هذه صبارة القر أمهلنا ينسلخ عنا البرد . كل هذا فراراً من الحر والقر ، فإذا كنتم من الحر والقر تفرون فأنتم والله من السيف أقر .

يا أشباه الرجال ولا رجال ! حلوم الأطفال ! وعقول ربات الحجال ! لوددت أنني لم أركم ولم أعرفكم معرفة - والله - جرت ندماً وأعقت مدماً ! قاتلكم الله ! لقد ملأتم قلبي قبحاً ، وشحنتم صدري غيظاً ، وجرعتموني نغب التهمام عليّ أنفاساً ، وأفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان ، حتى قالت قريش : إن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب !! لله أبوهم ! وهل أحد منهم أشد لها مراساً وأقدم فيها مقاماً مني ؟ ولقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ، وما أنا ذا قد فرقت على الستين ، ولكن لا رأي لمن لا يطاع !! .

## الغارة الثانية

وهذه جناية أُخرى قام بها أحد عملاء معاوية وهو يسرى أرطاة أو ابن أبي أرطاة . روى ابن أبي الحديد : أن قوماً بصنعاء - اليمن - كانوا من أتباع عثمان يعظمون قتله ، لم يكن لهم نظام ولا رأس ، فبايعوا لعلي رضي الله عنه على ما في أنفسهم ، وعامل أمير المؤمنين علي صنعاء يومئذ عبيد الله بن العباس وعامله علي الجند سعيد بن نمران ، فلما اختلف الناس على علي رضي الله عنه بالعراق وقتل محمد بن أبي بكر بمصر ، وكثرت غارات أهل الشام ، تكلموا ودعوا إلى الطلب بدم عثمان ، فبلغ ذلك عبيد الله بن العباس فأرسل إلى الناس من وجوههم ، ما هذا الذي بلغني عنكم ؟ قالوا : إنا لم نزل نفكر في قتل عثمان ، ونرى مجاهدة من سعى عليه .

فحبسهم ، فكتبوا إلى من في الجند من أصحابهم فساروا بسعيد بن نمران وأخرجوه من الجند ، وأظهروا أمرهم ، وخرج إليهم من كان بصنعاء وانضم إليهم كل من كان على رأيهم ، ولحق بهم قوم لم يكونوا على رأيهم ، لإرادة أن يمنعوا الصدقة ، فالتقى عبيد الله بن العباس بسعيد بن نمران ومعهما شيعة علي رضي الله عنه ، فقال ابن عباس لابن نمران : والله لقد اجتمع هؤلاء ، وإنهم لنا لمقاربون وإن قاتلناهم لا نعلم علي من تكون الدائرة ؟ فهلم لنكتب إلى أمير المؤمنين رضي الله عنه بخبرهم .

فكتب إلى أمير المؤمنين رضي الله عنه : أما بعد . فإننا نخبر أمير المؤمنين أن أتباع عثمان وثبوا بنا ، وأظهروا أن معاوية قد شيد أمره ، واتسق له أكثر الناس وإنا سرنا إليهم بشيعة أمير المؤمنين ، ومن كان على طاعته ، الخ . فلما وصل كتابهما ساء علياً رضي الله عنه وأغضبه ، وكتب إليهما :

من علي أمير المؤمنين إلى عبيد الله بن العباس وسعيد بن نمران .

سلام الله عليكما ، فإنني أحمد إليكما الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد . فإنه لما أتاني كتابكما تذكران فيه خروج هذه الخارجة وتمظمان من

شأنها صغيراً ، وتكثران من عددها قليلاً ، وقد علمت أن نخب - جين - أفقدتكما وصغر أنفسكما ، وشتات رأيكما وسوء تدبيركما هو الذي أفسد عليكما من كان عن لقائكما جباناً ، فإذا قدم رسولي عليكما فامضيا إلى القوم حتى تقرأ عليهم كتابي إليهم ، وتدعوهم إلى حظهم ، وتقوى ربهم ، فإن أجابوا حمدنا الله وقبلناهم ، وإن حاربوا استعنا بالله عليهم ونابذناهم على سواؤ إن الله لا يحب كيد الخائنين .

فكتب عليه السلام : من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من شاق وغدر من أهل الجند وصنعاء .

أما بعد . فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو ، الذي لا يعقب له حكم ولا يُرد له قضاء ، ولا يُرد بأسه عن القوم المجرمين ، وقد بلغني تجرؤكم وشقاؤكم وإعصاؤكم عن دينكم بعد الطاعة ، وإعطاء البيعة ، فسألت أهل الدين الخالص والسورع الصادق واللب الراجح عن بدء مخرجكم وما نويتم به وما أحمتكم له فحدثت عن ذلك بما لم أر لكم في شيء منه عذراً مبيهاً ، ولا مقالاً جميلاً ولا حجة ظاهرة ، فإذا أتاكم رسولي فتفرقوا ، وانصرفوا إلى رحابكم ، أعقب عنكم ، وأصفح عن جاهلكم واحفظ قاصيكم ، وأعمل فيكم بحكم الكتاب ، فإن لم تفعلوا فاستعدوا لقدوم جيشٍ جم الفرسان ، عظيم الأركان يقصد لمن طغى وعصى ، فتطحنوا كطحن الرحي ، فمن أحسن فلنفسه ، ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد .

وأرسل الكتاب مع رجل من همدان ، فقدم عليهم بالكتاب ، فلم يجيبوه إلى خير ، فقال لهم : إني تركت أمير المؤمنين يريد أن يوجه إليكم يزيد بن قيس الأرحبي في جيشٍ كثيف ، فلم يمنعه إلا انتظار جوابكم . فقالوا : نحن سامعون إن عزل عنا هذين الرجلين عبید الله وسعيداً .

فرجع الهمداني إلى علي عليه السلام فأخبره خبر القوم ، وكتبت تلك

العصاة حينئذ إلى معاوية يخبرونه ، فلما قدم كتابهم دعا معاوية بسر بن  
أرطاة ، وكان قاسي القلب ، فظاً سفاكاً للدماء ، لا رافة عنده ولا رحمة  
فأمره أن يأخذ طريق الحجاز والمدينة ومكة حتى يتهيأ إلى اليمن ، وقال  
له : لا تنزل على بلد علي طاعة علي إلا بسطت عليهم لسانك حتى يروا  
أنهم لا نجاة لهم ، وأنت محيط بهم ثم اكف عنهم ، وادعهم إلى البيعة  
لي ! فمن أبى فاقتله ، واقتل شيعة علي حيث كانوا !!

سار بسر بن أرطاة في ثلاثة آلاف ، وكان إذا وردوا ماء أخذوا إبل  
أهل ذلك الماء فركبوها ، وقادوا خيولهم حتى يردوا الماء الآخر فيردون تلك  
الإبل ، ويركبون إبل هؤلاء لئلا يصل الخبير إلى البلاد التي يقصدونها فلم  
يزل يصنع ذلك حتى قرب المدينة فاستقبلتهم قضاة ينحرون لهم الجزر  
حتى دخلوا المدينة ، وعامل علي عليه السلام على المدينة يومئذ : أبو أيوب  
الأنصاري صاحب منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج عنها هارباً ، ودخل بسر  
المدينة فخطب الناس وشتتهم وتهدهم يومئذ وتوعدهم ، وقال : شأنت  
الوجه ، إن الله تعالى ضرب مثلاً : « قرية كانت آمنة مطمئنة ، يأتيها  
رزقها رغداً فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف » (١) . وقد  
أوقع الله تعالى ذلك المثل بكم وجعلكم أهله ، كان بلدكم مهاجر النبي  
ومنزله ، وفيه قبره ومنازل الخلفاء من بعده ، فلم تشكروا نعمة ربكم ولم  
ترعوا حق نبيكم ، وقتل خليفة الله بين أظهركم ، فكنتم بين قاتل وخاذل ،  
ومتريص وشامت ، إن كان للمؤمنين قلتم : ألم نكن معكم !؟ وإن كان  
للكافرين نصيب قلتم : ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين ؟

ثم شتم الأنصار فقال : يا معشر اليهود ! وأبناء بني زريق ! وبني  
النجار ، وبني سالم ، وبني عبد الأشهل ! والله لأوقعن بكم وقعة تشفي  
غليل صدور المؤمنين ، وآل عثمان ، أما والله لأدعنكم أحاديث كالأمم  
السالفة !!

(١) سورة النحل ، الآية : ١١٢ .

فتهددهم حتى خاف الناس أن يوقع بهم ، ففزعوا إلى حويطب بن عبد العزى ، ويقال إنه زوج أمه . فصعد إليه المنبر وناشده ، وقال : عترتك وأنصار رسول الله ، وليست بقتلة عثمان . فلم يزل به حتى سكن ودعا الناس إلى بيعة معاوية فبايعوه ونزل ، فأحرق دوراً كثيرة . منها دار زدارة بن حرون ، ودار أبي أيوب الأنصاري ، وفقد جابر بن عبد الله الأنصاري فقال : ما لي لا أرى جابراً ؟ يا بني سلمة . لا أمان لكم عندي أو أن تأتوني بجابر . فعاذ جابر بأُم سلمة زوجة النبي ، فأرسلت إلى بسر بن أرطاة فقال : لا آمنه حتى يبايع . فقالت له أم سلمة إذهب فبايع . وقالت لابنها عمر : إذهب فبايع ، فذهب فبايعاه .

ثم خرج إلى مكة ، فلما قرب منها هرب قثم بن العباس ، وكان عامل علي عليه السلام ودخلها بسر ، فشم أهل مكة وأنبيهم ، ثم خرج عنهم واستعمل عليهم شيبة بن عثمان ، وفي طريقه من المدينة قتل رجلاً وأخذ أموالاً ، ثم دخل الطائف وشم وقاتل ، ثم دخل نجران وشم وقاتل ، حتى دخل صنعاء ، وقد خرج عنها عبيد الله بن العباس وسعيد بن نمران ، وقد استخلف عبيد الله عليها عمرو بن أراكة ، فمنع بسرأ عن دخولها ، وقاتله فقتله بسر ودخل صنعاء فقتل منها قوماً ، وأتاه وفد مأرب فقتلهم فلم ينج منهم إلا رجل واحد .

ثم خرج بسر من صنعاء ، فأتى أهل جلسان وهم شيعة علي عليه السلام فقاتلهم وقاتلوه فهزموهم ، وقتلهم قتلاً ذريعاً ، ثم رجع إلى صنعاء فقتل بها مائة شيخ من أبناء فارس ، لأن إبني عبيد الله بن العباس كانا مستترين في بيت امرأة من أبنائهم وذبح بسر إبني عبيد الله بمدينة كانت معه ، «وكانا طفلين صغيرين وهما : عبد الرحمن وقثم» فلما أراد ذبحهما قيل : وكانا عند رجل من بني كنانة ، فقال له الكناني : ولم تقتل هذين ولا ذنب لهما ؟ فإن كنت قاتلتهما فاقتلني معهما . قال : أفعل . فقتله ، ثم ذبحهما (11) ، فخرجت نسوة من بني كنانة ، فقالت امرأة : يا هذا قتلت الرجال فعلام تقتل هذين ؟ والله ما كانوا يقتلون في الجاهلية والإسلام !!

والله يا ابن أربطة إن سلطاناً لا يقوم إلا يقتل الصبي الصغير ، والشيوخ  
الكبير ، ونزع الرحمة ، وعقوق الأرحام لسلطان سوء !!

فلما سمعت أم الطفلين خبير ذبح ولديها أصابها ولعة على إبنها ،  
فكانت لا تعقل ولا تصغي إلا إلى قول من أعلمها أنهما قد قتلا ، ولا تزال  
تطوف في الموسم تنشئ الناس إبنها بهذه الأبيات :

ها من أحسَّ بإبني اللذين هما	كالدرتين تشظي عنهما الصدفُ
يا من أحسَّ بإبني اللذين هما	سمعي وقلبي فقلبي اليوم مردهف
يا من أحسَّ بإبني اللذين هما	مخ العظام فمخي اليوم مختطف
نبت بسرّاً وما صدقت ما زعموا	من قولهم ، ومن الإفك الذي اقترفوا
أنحى على ودجي إبني مرهفة	مشحودة ، وكذلك الإفك يقترف
حتى لقيت رجلاً من أرومته	شم الأنوف لهم في قومهم شرف
فالآن ألعن بسرّاً حق لعنته	هذا لعمر أبي بسر هو السرف
من دلّ والهة حرى مولهة	على حبيبين ضللاً إذ غدى السلف

ولما بلغت هذه الأخبار إلى أمير المؤمنين عليه السلام جزع جزعاً  
شديداً ، ودعا على بسر لعنة الله وقال : اللهم أسلبه دينه ، ولا تخرجه من  
الدنيا حتى تسلبه عقله . فأصابه ذلك وفقد عقله ، وكان يهذي بالسيف  
ويطلبه فيؤتى بسيف من خشب ويجعل بين يديه زق متفوخ ، فلا يزال  
يضربه حتى يسأم أو يغشى عليه إلى أن مات عليه لعنة الله .

ويبلغ عدد القتلى الذين قتلهم بسر في الحجاز واليمن ثلاثين ألفاً ،  
سوى الذين أحرقهم بالنار ، وعدا الدور التي هدمها .

والمخطب الأفظع الأشنع الذي ارتكبه عميل معاوية بسر بن أربطة هو  
أنه لما أغار على قبيلة همدان ، وهم شعبة علي أمير المؤمنين عليه  
السلام : قتل رجالهم وسبي نساءهم ، فكان أول مسلمات سبين في  
الإسلام ، ولقد أشار سيدنا أبو ذر الغفاري إلى هذه الجناية التي تقشعر منها  
الجلود جلود أهل الغيرة والحمية والإيمان - بقوله : وأما يوم العورة : فإن

نساء من المسلمات يسيبن ، فيكشف عن سوقهن - جمع ساق - فأيتهن كانت أعظم ساقاً اشتريته على عظم ساقها ، فدعوت الله أن لا يدركني هذا الزمان .

فصدرت هذه الجنابة من بسرين أرطاة . أنه بعد أن سبي نساء الشيعة من همدان وذهب بهم إلى الشام أقامهن في السوق ، وعرضهن للبيع كما ذكرنا .

ووصلت هذه الأخبار الفجيعة إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو في الكوفة وكان عليه السلام يجلس كل يوم في موضع من المسجد الأعظم يسبح به بعد الغداة إلى طلوع الشمس ، فلما طلعت نهض إلى المنبر فضرب بإصبعه على راحته وهو يقول : ما هي إلا الكوفة ، ما هي إلا الكوفة ، ما هي إلا الكوفة ، أقبضها وأبسطها ، إن لم تكنوني إلا أنت ، تهب أعاصيرك ، فقبحك الله ، ثم تمثل بقول الشاعر :

لعمري أهلك الخير يا عمرو: إني على وخر من ذا الإناء قليل  
ثم قال :

أنبتُ بُسراً قد أطلع على اليمن ، وإني والله لأظن أن هؤلاء القوم سيدلون منكم باجتماعهم على باطلهم وتفرقتكم عن حقاكم ، وبمعصيتكم إمامكم في الحق ، وطاعتهم إمامهم في الباطل وبأدائهم الأمانة إلى صاحبهم وخيانتكم صاحبكم ، وبصلاحهم في بلادهم وفسادكم ، فلو اتمنت أحدكم على قعب لخشيت أن يذهب بعلاقته :

اللهم : إني قد مللتهم وملئوني ، ومسئتهم ومسئوني ، فأبدلني بهم خيراً منهم ، وأبدلهم بي شراً مني ، اللهم مُثِّ قلوبهم كما يمث الملح في الماء .

أما والله لو ددت أن لي بكم ألف فارس من بني فراس بن عُمر :  
هنالك لو دعوت أنك منهم فوارس مثل أرمية الحميم  
ثم نزل عليه السلام من المنبر .

### الغارة الثالثة

ذكر ابن أبي الحديد أنه أرسل معاوية النعمان بن بشير وأبا هريرة إلى أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام يسألانه أن يدفع قتلة عثمان إلى معاوية ليقتصص منهم ، لعل الحرب أن تطفأ ويصطلح الناس ، وإنما أراد معاوية أن يرجع مثل النعمان وأبي هريرة من عند علي عليه السلام وهم لمعاوية عاذرون ولعلي لاثمون ، لأن معاوية كان يعلم أن علياً لا يدفع قتلة عثمان إليه ، فأراد أن يكون هذان يشهدان له عند أهل الشام بذلك ، وأن يظهر عذره .

فقال لهما معاوية : إئتيا علياً فانشداه الله وسلاه (إسألاه) بالله لما دفع إلينا قتلة عثمان ، فإنه قد آواهم أو منعهم ، ثم لا حرب بيننا وبينه ، فإن أبي فكونوا شهداء لي عليه وأقبلا على الناس وأعلماهم ذلك .

فأتيا علياً عليه السلام فدخلوا عليه فقال له أبو هريرة : يا أبا حسن ، إن الله قد جعل لك في الإسلام فضلاً وشرفاً : أنت ابن عم محمد رسول الله وقد بعثنا إليك ابن عمك معاوية يسألك أمراً تسكن به هذه الحرب ، ويصلح الله تعالى به ذات البين . أن تدفع إليه قتلة عثمان ابن عمه فيقتلهم به ، ويجمع الله تعالى أمرك وأمره ، ويصلح بينكم وتسلم هذه الأمة من الفتنة والفرقة .

ثم تكلم النعمان بنحو من هذا ، فقال عليه السلام : دعا الكلام في هذا ، حدثني يا نعمان : أنت أهدى قومك سبيلاً ؟ (يعني الأنصار) فقال : لا . قال : فكل قومك تبغي إلا شذاذ منهم ثلاثة أو أربعة أفتكون أنت من الشذاذ ؟

فقال النعمان : أصلحك الله إنما جئت لأكون معك وألزمك ، وقد كان معاوية سألني أن أؤدي هذا الكلام ، ورجوت أن يكون لي موقف

أجتمع فيه معك ، وطمعت أن يجري الله بينكما صلحاً ، فإذا كان غير هذا رأيك فأنا ملازم وكائن معك .

فأما أبو هريرة فلحق بالشام ، وأقام النعمان عند علي عليه السلام ، فأخبر أبو هريرة معاوية بالخبر فأمره أن يعلم الناس ففعل ، وأقام النعمان بعده ، ثم خرج فاراً من علي عليه السلام حتى إذا مر بعين التمر ، أخذته مالك بن كعب الأرحبي وكان عامل علي عليها ، فأراد حبسه وقال له : ما مر بك ههنا ؟ قال : إنما أنا رسول ، بلغت رسالة صاحبي ثم انصرفت . فحبسه مالك وقال : كما أنت حتى أكتب إلى علي فيك . فناشده ، وعظم عليه أن يكتب إلى علي فيه ، فأرسل النعمان إلى قرظة بن كعب الأنصاري وهو كاتب عين التمر يجبي خراجها لعلي عليه السلام ، فجاءه مسرعاً فقال لمالك : خل سبيل ابن عمي يرحمك الله . فقال يا قرظة إتق الله ولا تتكلم في هذا فإنه إن كان من عبّاد الأنصار ونساکهم كيف يهرب من أمير المؤمنين إلى أمير المنافقين ؟ فلم يزل يقسم عليه حتى خلى سبيله وقال له : يا هذا الأمان اليوم والليله وغداً ، والله لئن أدركتك بعدها لأضربن عنقك .

فخرج مسرعاً لا يلوي على شيء ، وذهبت به راحلته فلم يدر أين تشكع من الأرض ثلاثة أيام لا يعلم أين هو ، ثم قدم إلى معاوية فخبّره بما لقي ، ولم يزل معه مصاحباً له ، يجاهد علياً ويتبع قتلة عثمان حتى غزى الضحّاك بن قيس أرض العراق ثم انصرف إلى معاوية ، فقال معاوية : أما من رجل أبعث معه بجريئة خيل حتى يغير على شاطئ الفرات فإن الله يرعب بها أهل العراق ؟

فقال له النعمان : فابعثني فإن لي في قتالهم نية وهوى . وكان النعمان عثمانياً . قال : فانتدب علي إسم الله . فانتدب وندب معه ألفي رجل وأوصاه أن يتجنب المدن والجماعات ، وأن لا يغير إلا على مسلحة ، وأن يعجل الرجوع .

فأقبل النعمان حتى دنى من عين التمر ، وبها مالك بن كعب الأرحبي الذي جرى له ما ذكرناه ومع مالك ألف رجل ، وقد أذن لهم ، فقد رجعوا إلى الكوفة ، فلم يبق معه إلا مائة أو نحوها ، فكتب مالك إلى علي عليه السلام :

أما بعد : فإن النعمان بن بشير قد نزل بي في جمع كئيف ، فمر رأيك سددك الله تعالى وثبتك والسلام .

فوصل الكتاب إلى علي عليه السلام ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أخرجوا هداكم الله إلى مالك بن كعب أخيكم ، فإن النعمان بن بشير قد نزل في جمع من أهل الشام ليس بالكثير فانهضوا إلى إخوانكم لعل الله يقطع بكم من الكافرين طرفاً .

ثم نزل ، فلم يخرجوا ، فأرسل إلى وجوههم وكبرائهم فأمر أن ينهضوا ويحشوا الناس على المسير فلم يصنعوا شيئاً ، واجتمع منهم نفر يسير نحو ثلاثمائة فارس أو دونها فقام عليه السلام فقال : هُنَيْتَ بَمَنْ لَا يَطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ ، وَلَا يَجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ ، لَا أَبَا لَكُمْ مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبِّكُمْ ؟ أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ ؟ وَلَا حِمِيَّةٌ تَحْمَشُكُمْ ؟ أَقَوْمٌ فِيكُمْ مُسْتَصْرَحُونَ ، وَأُنَادِيكُمْ مَتَخَوْتُمْ فَلَا تَسْمَعُونَ لِي قَوْلًا ، وَلَا تَطِيعُونَ لِي أَمْرًا ، حَتَّى تَكْشِفَ الْأُمُورَ عَنْ عَوَاقِبِ الْمَسَاءَةِ ، فَمَا يُدْرِكُ بِكُمْ ثَارٌ ، وَلَا يَبْلُغُ بِكُمْ مَرَامٌ ، دَعَوْتَكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ ، فَجَرَجْتُمْ جَرَجِرَةَ الْجَمَلِ الْأَسْرِ ، وَتَشَاقَلْتُمْ تَشَاقُلَ النَّضْوِ الْأَدْبَرِ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مِتْدَائِبٌ ضَعِيفٌ كَأَنَّمَا يَسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ .

## عَلِيٌّ (ع) بِقَلَمِهِ وَلِسَانِهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمد الله كما يحب أن يحمد ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله خير البرية ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿بَلِ الْإِنْسَانِ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾<sup>(١)</sup> .

أيها الإخوان : لقد ذكرنا في الليالي الماضية شيئاً من كلام أمير المؤمنين عليه السلام حول نفسه ومواهبه ومزاياه ومواقفه ، واللييلة : نستمع إلى شيء من خطبه عليه السلام المشتملة على فضائله وفواضله ، وخصائصه ، ومكارم أخلاقه ، وبعبارة أخرى نستمع إلى تاريخ حياته من لسانه ، ونقرأ كتاباً خاصاً كتبه عليه السلام إلى عثمان بن حنيف والي البصرة وهو من جلائل كتبه ورسائله ومشاهيرها ، وقد رأيت ترجمته بلغات عديدة ، ويعتاز هذا الكتاب عن غيره لأنه بقلم رئيس حكومة كان يحكم على نصف الكرة الأرضية ، وحياة الناس ومماتهم بين شفثته ، وكنوز الذهب والفضة تحت يده ، ومع ذلك كله ومع تلك الإمكانيات اختار لنفسه أبسط معيشة وأزهد حياة لا يستطيع أي فرد من أفراد البشر أن يسلك طريقته ويكون مثله ، ضع يدك على من شئت وقارن بين حياته وحياة أمير المؤمنين فيظهر لك صدق هذا الكلام ، وتعرف أن الإمام هو الرجل الوحيد في مواهبه ومزاياه .

(١) سورة القيامة : الآية : ١٤ .

نستمع إلى كلامه ونقرأ كتابه بقلمه ، فإنه أعرف بنفسه من غيره ،  
ومهما ظهرت نفسيات الإنسان وصفاته واطلع عليها الناس ومع ذلك فإن في  
حياة الإنسان الداخلية والخارجية أسراراً وسرائراً وخفايا ونوايا لا يطلع عليها  
أحد إلا الله تعالى والإنسان نفسه ، فالإنسان أبصر بنفسه من غيره وإلى هذا  
أشار القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة﴾ .

لم يقصد الإمام عليه السلام من بيان هذه الأمور تركية نفسه بل بيان حقائق  
عن شخصيته لا يستطيع أحد أن يناقشه فيها أو يكابر .

وهنا نفتطف من خطبه الشيء اليسير ومن رسائله رسالة واحدة وفيها  
الكفاية .

### الخطبة الشقية

أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة وإنه ليعلم أن محلي منها محل  
القطب من الرحي ، ينحدر عني السيل ولا يرقي إليّ الطير فسدلت دونها  
ثوباً وطويت عنها كشحاً ، وطفقت أرتأي بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر  
على طخية عمياء ، يهرم منها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها مؤمن  
حتى يلقي ربه فرايت أن الصبر على هاتا أحجى ، فصبرت وفي العين  
قذى ، وفي الحلق شجاً ، أرى تراثي نهياً ، حتى مضى الأول لسيله فأدلى  
بها إلى ابن الخطاب بعده (ثم تمثل بقول الأعشى) :

شئان ما يومي على كورها ويسوم حيان أخي جابر

فيا عجباً بينا هو يستقبلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته لشدة ما  
تشطراً ضرعيها ، فصيرها في حوزة خشناء يغلظ كلامها<sup>(١)</sup> ويخشن مآها .  
ويكثر العثار فيها . والإعذار منها ، فصاحبها كراكب الصعبة إن أشقى لها  
حرم . وإن أسلس لها تقحم ، فمُنِي الناس لعمر الله بخبيط وشماس وتلون  
واعتراض ، فصبرت على طول المدة وشدة المحنة ، حتى إذا مضى لسيله ،

(١) سورة الفياضة الآية : ١٤ .

(٢) وفي نسخة أخرى : كلمها .

جعلها في جماعة زعم أني أحدهم (!) فيا لله وللشورى (١) متى اعترض الريب في مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر لكنني أسففت إذ أسفوا وطرت إذ طاروا . فصخى رجل منهم لضغنه ومال الآخر لصوره ، مع هن وهن ، إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نشيله ومعتلفه وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة<sup>(٢)</sup> الإبل نبتة الريح ، إلى أن انتكث قتله . وأجهز عليه عمله وكبت به بطنته ، فما راعني إلا والناس كعرف الضبع إليّ ينثالون عليّ من كل جانب . حتى لقد وطىء الحسنان . وشقّ عطفائي ، مجتمعين حولي كربيضة الغنم ، فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة ومرقت أخرى ، وقسط آخرون ، كأنهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول : ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾<sup>(٣)</sup> بلى والله لقد سمعوها ووعوها . ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها . أما والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر . وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم ، لألقيت حبلها على غاربها ، ولسقيت آخرها بكأس أولها . ولألنيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عضة عنز . . . (قالوا) وقام إليه رجل من أهل السواد عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته فناوله كتاباً فأقبل ينظر فيه قال له ابن عباس رضي الله عنه : يا أمير المؤمنين لو أطردت خطبتك من حيث أفضيت . فقال : هيهات يا ابن عباس تلك شغشقة هدرت ثم قرئت ! قال ابن عباس : فوالله ما أسفت على كلام قط كاسفي على هذا الكلام أن لا يكون أمير المؤمنين <sup>بنتك</sup> بلغ منه حيث أراد .

قوله : (كراكب الصعبة إن أشق لها حرم وإن أسلس لها تقحم) ، يريد أنه إذا شدّد عليها في جذب الزمام وهي تنازعه رأسها حرم أنفها وإن أرخى عليها شيئاً مع صعوبتها تقحمت به فلم يملكها ، يقال : أشق الناقة إذا جذب رأسها بالزمام فرقعها وشققها أيضاً ، ذكر ذلك ابن السكيت في إصلاح المنطق .

(٢) سورة القصص : الآية : ٨٣ .

(١) وفي نسخة أخرى : خضم .

## ومن كلام له عليه السلام

ولقد علم المستحفظون من أصحاب محمد ﷺ أني لم أُرِدْ على الله ولا على رسوله ساعة قط ، ولقد واسيته بنفسي في المواطن التي تنكص فيها الأبطال ، وتتأخر فيها الأقدام ، نجدة أكرمني الله بها .

ولقد قبض رسول الله ﷺ وإن رأسه على صدري ، ولقد سألت نفسه في كفي فأمررتها على وجهي . ولقد ولّيت غسله ﷺ والملائكة أعواني ، فضجت الدار ، والأفنية ملأ بهيظ وملأ يمرج ، وما فارقت سمعي هينمة منهم (الهينمة : الصوت الخفي) يصلون عليه حتى واريناه في ضريحه . فما أحق به مني حياً وميتاً ؟ فأنفذوا على بصائرکم ، ولتصدق نياتكم في جهاد عدوكم .

فوالذي لا إله إلا هو إني لعلى جادة الحق وإنهم لعلى مزلة الباطل أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم .

## ومن كلام له عليه السلام

والله لأن آيت على حسك السعدان مهتداً ، وأجر في الأغلال مصفداً ، أحب إلي من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد وضاغباً لشيء من الحطام . وكيف أظلم أحداً لنفس يسرع إلى البلى قفولها ، ويطول في الثرى حلولها . والله لقد رأيت عقيلاً وقد أملق حتى استماحتني من بركم صاعاً ، ورأيت صبيانه شعث الشعور غير الألوان من فقرهم كأنما سؤدت وجوههم بالعظلم ، وعاودني مؤكداً وكرر علي القول مردداً ، فأصغيت إليه سمعي ، فظن أني أبيع ديني ، وأتبع قياده مفارقاً طريقي فأحميت له حديدة ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها فضج ضجيج ذي دنف من ألمها ، وكاد أن يحترق من ميسمها . فقلت له : ثكلتك الثواكل يا عقيل ! أئن من حديدة أحماها إنسانها للعبه ؟ وتجرني إلى نار سجرها جبارها لغضبه ؟ أئن من الأذى ؟ ولا أئن من لظي ؟ وأعجب من ذلك طارق طرقتا بمظفوفة في وعائها ، ومعجونة شنتها ، كأنما حُجنت بربق حية

أو قيئها ، فقلت : أصله أم زكاة أم صدقة ؟ فذلك محرم علينا أهل البيت . فقال : لا ذا ولا ذاك ولكنها هدية . فقلت : هبلك الهول ، أعن دين الله أتيتني لتخدعني ؟ أمخبط أنت ؟ أم فوجنة أم تهجر ؟ والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت وإن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرانة تفضمها ! ما لعلي ولنعيم يفنى ولذة لا تبقى ؟ نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل وبه نستعين .

### ومن خطبة له عليه السلام

أما بعد أيها الناس . فأنا فقأت عين الفتنة ، ولم تكن ليحسراً عليها أحد غيري ، بعد أن ماج غيبيها ، واشتد كلبها ، فاسألوني قبل أن تفقدوني فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ، ولا عن فئة تهدي مائة وتضل مائة إلا أنباتكم بناعفها وقائدها وسائقها ، ومناخ ركابها ومحط رحالها ، ومن يُقتل من أهلها قتلاً ، ويموت منهم موتاً . ولو قد فقدتموني ونزلت بكم كرائه الأمور وحوازب الخطوب لأطرق كثير من السائلين وفشل كثير من المسؤولين .

### ومن خطبة له عليه السلام

أيها الناس إنني قد بثت لكم المواعظ التي وعظ الأنبياء بها أممهم . وأدبيت إليكم ما أدت الأوصياء إلى من بعدهم . وأدببتكم بسوطي فلم تستقيموا . وحدوتكم بالزواج فلم تستوثقوا . لله أنتم ! أتوقعون إماماً غيري يظا بكم الطريق ، ويرشدكم السبيل ؟

ألا إنه قد أدبر من الدنيا ما كان مقبلاً ، وأقبل منها ما كان مدبراً وأزعم الترحال عباد الله الأخيار ، وباعوا قليلاً من الدنيا لا يبقى ، بكثير من الآخرة لا يفنى . ما ضرَّ إخواننا الذين سفكت دماؤهم بصفين أن لا يكونوا اليوم أحياء ؟ يسيغون الغصص ويشربون الرنق . قد والله لقوا الله فوقهم

أجورهم ، وأحلّهم دارَ الأمنِ ، بعد خوفهم ؟ أين إخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحق ؟ أين عمار ؟ وأين ابن النيهان ؟ وأين ذو الشهادتين ؟ وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقبوا على المنية ، وأبرد برؤوسهم إلى الفجرة ؟ (قال ثم ضرب بيده على لحيته الشريفة الكريمة فأطال البكاء) ، ثم قال **منك** :

أوه على إخواني الذين تلوا القرآن فأحكموه ، وتدبروا الفرض فأقاموه أحبوا السنة وأماتوا البدعة ، دَعُوا للجهاد فأجابوا ، ووثقوا بالقائد فأبعموه (ثم نادى بأعلى صوته : ) الجهاد . . . الجهاد عباد الله . ألا واني معسكر في يومي هذا فمن أراد الرواح إلى الله فليخرج .

### ومن كلام له عليه السلام

لم تكن بيعتكم إياي فلتة ، وليس أمري وأمركم واحداً . إني أريدكم لله وأنتم تريدونني لأنفسكم . أيها الناس ، أعيونني على أنفسكم ، وأيم الله لأنصفن المظلوم من ظالمه ، ولأقودن الظالم بخزائمه ، حتى أوردته منهل الحق وإن كان كارهاً .

### ومن كتاب له عليه السلام

إلى عثمان بن حنيف الأنصاري وهو عامله على البصرة وقد بلغه أنه دعي إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها : أما بعد يا بن حنيف فقد بلغني أن رجلاً من فتيّة أهل البصرة دعاك إلى مادبة فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان وتنقل إليك الجفان ، وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفراً وغنيهم مدعواً . فانظر إلى ما تقضيه من هذا المقضيم ، فما اشتبه عليك علمه فالفظه ، وما أيقنت بطيب وجوهه فزِل منه .

ألا وإن لكل مأموم إماماً يقتدي به ويستضيء بنور علمه ، ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بظمريه ، ومن طعمه بقرصيه ألا : وإنكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعيونوتي بورع واجتهاد ، وصفة وسداد .

فوالله ما كثرت من دنياكم تيراً ، ولا ادخرت من غنائمها وفراً ، ولا  
أعددت لبالي ثوبياً طمراً . بلى كانت في أيدينا فذك من كل ما أظلمت  
السماء ، فشححت عليها نفوس قوم ومسخت عنها نفوس قوم آخرين . ونعم  
الحكم الله وما أصنع بفدك وغير فدك والنفس مظانها في غد جدت تنقطع  
في ظلمته آثارها وتغيب أخبارها ، وحفرة لوزيد في فسحتها وأوسعت يدا  
حافرها لأضغطها الحجر والمدر ، وسد فُدجها التراب المتراكم ؟ ، وإنما  
هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر ، وثبتت على  
جوانب المزلق .

ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح  
ونسائج هذا القز ، ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جسعي إلى تخير  
الأطعمة . ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له  
بالشبع ، أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى وأكباد حري ؟ أو أكون كما قال  
القاتل :

وحسبك داء أن تبيت ببطنة وحولك أكباد تحن إلى القد

ة أقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ؟ ولا أشاركهم في مكابره  
الدهر أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش . فما خلقت ليشغلني أكل  
الطيبات كالبهيمة المربوطة همها علفها ، أو المرسله شغلها تقمها ،  
تكثرش من أعلافها وتلهو عما يراد بها . أو أترك سدى أو أهمل عابثاً ، أو  
أجرّ جبل الضلالة ، أو أعتسف طريق المتاعة .

وكأني بفائلكم يقول : إذا كان (هذا) قوت ابن أبي طالب فقد قعد به  
الضعف عن قتال الأقران ومنازلة الشجعان .

ألا : وإن الشجرة البرية أصلب عوداً ، والروائع الخضرة أرق جلوداً  
والنباتات البدوية أقوى وقوداً وأبطأ خموداً ، وأنا من رسول الله كالصنوم من  
الصنوم والنواع من العضد . والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت

عنها ، ولو أمكنت الفرص من رقابها لسارعت إليها ، وسأجهد في أن أظهر الأرض من هذا الشخص المعكوس والجسم المركوس حتى تخرج المدرّة من بين حب الحصيد .

إليك عني يا دنيا فحبك على غاربك ، قد انسلت من مخالبك ، وأفلت من حباتك ، واجتيت الذهب في مداحضك .

أين القرون الذين غررتهم بمداعبك ؟ أين الأمم الذين فتنهم بزخارفك ؟ ها هم رهائن القبور ومضامين اللحد .

والله لو كنت شخصاً مرئياً وقالباً حسياً لأقت عليك حدود الله في عباد غررتهم بالأماني وأمم القيتهم في الهاوي ، وملوك أسلمتهم إلى التلف وأوردتهم سوارد البلاء إذ لا ورد ولا صدر . هيهات من وطىء دحضك زلق ، ومن ركب لججك غرق ، ومن لزور حباتك وفق . والسالم منك لا يبالي إن ضاق به مناخه والدنيا عنده كيوم حان انسلاخه عني .

فوالله لا أذل لك فتستذيني ، ولا أسلس لك فتقوديني .

وأيم الله يميناً استثنى فيها بمشيئة الله لأروضن نفسي رياضة تهش معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعوماً ، وتقع بالملح مأدوماً ، ولأدعن مقلتي كعين ماء نضب معينها مستفرغة دموعها .

أتمتلىء السائمة من رعيها فتبرك ، وتشيع الربيعة من عشها فتريض ويأكل علي من زاده فيهجم ؟

قرت إذا عينه ! إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة والسائمة المرعية .

طوى نفس أدت إلى ربها فرضها وعركت بجنيها بؤسها . وهجرت في الليل غمضها حتى إذا غلب الكرى عليها افترشت أرضها وتوسدت كفها ، في معشر أسهر عيونهم خوف معادهم ، وتجاقت عن مضاجعهم جنوبيهم . وهممت بذكر ربهم شفاهم وتقصعت بطول استغفارهم ذنوبهم

﴿أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾<sup>(١)</sup> .

فاتق الله يا ابن حنيف ولتتكفك أقراصك ليكون من النار خلاصك .

في كتاب الأنوار النعمانية عن كتاب المناقب مسنداً إلى صحصعة بن صوحان : أنه دخل على أمير المؤمنين عليه السلام لما ضروب فقال : يا أمير المؤمنين أنت أفضل أم آدم أبو البشر ؟ قال عليه السلام : تزكية المرء نفسه قبيح . لكن قال الله تعالى لآدم : ﴿يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلاً منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾<sup>(٢)</sup> ، وأنا أكثر الأشياء أباحها لي وتركتها وما قاربتها .

ثم قال : أنت أفضل يا أمير المؤمنين أم نوح ؟ قال علي : إن نوحاً دعا على قومه ، وأنا ما دعوت على ظالمي حقي ، وابن نوح كان كافراً ، وإبناي سيد شباب أهل الجنة .

وقال : أنت أفضل أم موسى ؟ قال عليه السلام : إن الله تبارك وتعالى أرسل موسى إلى فرعون فقال : ﴿إني أخاف أن يقتلون﴾ حتى قال الله تعالى : ﴿لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون﴾<sup>(٣)</sup> قال : ﴿رب إني قتلت منهم نفساً وأخاف أن يقتلون﴾<sup>(٤)</sup> وأنا ما خضت حين أرسلني رسول الله بتبليغ سورة البراءة أن أقرأها على قريش في الموسم مع أبي كنت قتلت كثيراً من صناديدهم ، فذعبت بها وقرأتها عليهم وما خفتهم .

ثم قال : أنت أفضل أم عيسى بن مريم ؟ قال علي : عيسى كانت أمه في بيت المقدس فلما جاء وقت ولادتها سمعت قائلاً يقول : أخرجني ، هذا بيت العبادة لا بيت الولادة ، وأنا أمي فاطمة بنت أسد لما قرب وضع حملها كانت في الحرم فانشق حائط الكعبة وسمعت قائلاً يقول : أدخلني . فدخلت في وسط البيت ، وأنا ولدت فيه ، وليس لأحد هذه الفضيلة ، لا قبلي ولا بعدي .

(١) سورة المجادلة ، الآية : ٢٢ .

(٢) سورة القصص ، الآية : ٣٣ .

(٣) سورة النمل ، الآية : ١٠ .

(٤) سورة البقرة ، الآية : ٣٥ .

## عَلِيّ (ع) ينعى نفسه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حمد الشاكرين على المصيبة وصلى الله على محمد وآله  
المظلومين .

قال الله تعالى : ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ،  
فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾ (١) .

نبدأ حديثنا من هذه الليلة حول شهادة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ،  
فلقد سبق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر علياً بأنه يفوز بالشهادة في سبيل الله ،  
ففي يوم أحد تأسف الإمام أمير المؤمنين على حرمانه الشهادة في ذلك اليوم  
فقال له النبي : إنها من ورائك . ويوم الخندق لما ضربه عمرو بن عبدود  
على رأسه كانت الدماء تسيل على وجهه الشريف فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يشدّ  
جرحه ويقول له : أين أنا يوم يضربك أشقى الآخرين على رأسك ويخضب  
لحيتك من دم رأسك ؟؟

وخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر جمعة من شهر شعبان وذكر ما يتعلق  
بشهر رمضان ، فقام علي عليه السلام وقال : ما أفضل الأعمال في هذا الشهر ؟  
فقال : يا أبا الحسن أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله عز

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٢٣ .

وجلس ، ثم بكى النبي فقال علي عليه السلام : ما يبكيك ؟ فقال : يا علي أبكي لما يستحل منك في هذا الشهر ! كأنني بك وأنت تصلي لربك وقد انبعث أشقى الأولين والآخرين شقيق عاقر ناقة ثمود ، فضربك ضربة على قرنك فخضب منها لحيتك ، قال الإمام : وذلك في سلامة من ديني ؟ فقال : في سلامة من دينك . . . الخ .

وكان الإمام عليه السلام كثيراً ما يخبر الناس بشهادته واختضاب لحيته الكريمة بدم رأسه ، وحينما أتاه عبد الرحمن بن ملجم ليبيعه نظره علي في وجهه طويلاً ، ثم قال : أرايتك إن سألتك عن شيء وعندك منه علم هل أنت مخبر عنه ؟ قال : نعم ، وحلفه عليه فقال : أكنت تواضع الغلمان وتقوم عليهم وكنت إذا جئت فأوك من بعيد قالوا : قد جاءنا ابن راعية الكلاب ؟؟ فقال : اللهم نعم .

فقال له : مررت برجل وقد أيفعت (صرت يافعاً) فنظر إليك نظراً حاداً فقال : أشقى من عاقر ناقة ثمود ؟ قال : نعم قال : قد أخبرتك أمك أنها حملت بك في بعض حوضها ؟ فتعجب هنيئاً ثم قال : نعم . فقال الإمام : قم . فقام ، قال عليه السلام : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «قاتلك شبه اليهودي بل هو يهودي» .

وقد تكرر منه عليه السلام أن رأى ابن ملجم فقال : أريد حياتك ويريد قتلي ، وفي تلك السنة الأخيرة من حياته والشهر الأخير من حياته كان يخبر الناس بشهادته فيقول : إلا وإنكم حاجو العمام صفاً واحداً ، وآية (علامة) ذلك أني لست فيكم . فعلم الناس أنه ينعي نفسه ، ولم يكتب عليه السلام بذلك بل كان يدعو على نفسه ويسأل من الله تعالى تعجيل الوفاة ، وتارة كان يكشف عن رأسه وينشر المصحف على رأسه ويرفع يديه للدعاء قائلاً : اللهم إني قد سئمتهم وسئمتوني وملئتهم وملئوني ، أما أن أن تخضب هذه من هذه - ويشير إلى هامته ولحيته .

وقبل الواقعة أخبر عليه السلام إبنته أم كلثوم بأنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو

يُسمح الغبار عن وجهه ويقول : يا علي لا عليك ، قضيت ما عليك .  
وكان الإمام قد بلغ من العمر ثلاثاً وستين سنة ، وفي شهر رمضان من تلك  
السنة كان الإمام يفطر ليلة عند ولده الحسن ليلة عند ولده الحسين ليلة  
عند إبنته زينب الكبرى زوجة عبد الله بن جعفر ليلة عند إبنته زينب  
الصخرى الممكنة بأُم كلثوم .

وهي الليلة التاسعة عشر كان الإمام ~~مبتدئ~~ في دارة إبنته أم كلثوم  
فقدمت له فطوره في طبق فيه : قرصان من خبز الشعير ، وقصعة فيها لبن  
حامض ، فأمر الإمام إبنته أن ترفع اللبن ، وأفطر بالخبز والملح ، ولم  
يشرب من اللبن شيئاً لأن في الملح كفاية ، وأكل قرصاً واحداً ، ثم حمد  
الله وأثنى عليه ، وقام إلى الصلاة ، ولم يزل راکعاً وساجداً ومبتهلاً  
ومتضرعاً إلى الله تعالى ، وكان يكثر الدخول والخروج وينظر إلى السماء  
ويقول : هي ، هي والله الليلة التي وعدنيها حبيبي رسول الله . ثم رقد  
هنيئة وانتبه مرعوباً وجعل يمسح وجهه بثوبه ، ونهض قائماً على قدميه وهو  
يقول : اللهم بارك لنا في لقائك . ويكثر من قول (لا حول ولا قوة إلا بالله  
العظيم) ثم صلى حتى ذهب بعض الليل ، ثم جلس للتعقيب ، ثم  
نامت عيناه وهو جالس ، ثم انتبه من نومه مرعوباً ، وقالت أم كلثوم : قال  
لأولاده : إني رأيت في هذه الليلة رؤيا هالتي وأريد أن أقصها عليكم  
قالوا : وما هي ؟ قال : إني رأيت الساعة رسول الله ﷺ في منامي وهو  
يقول لي : يا أبا الحسن إنك قادم إلينا عن قريب ، يجيء إليك أشقاهما  
فيخضب شيتك من دم رأسك ، وأنا والله مشتاق إليك ، وإنك عندنا في  
العشر الآخر من شهر رمضان ، فهلّم إلينا فما عندنا خير لك وأبقى . قال :  
فلما سمعوا كلامه ضججوا بالبكاء والنحيب وأبدوا العويل ، فأقسم عليهم  
بالسكوت فسكتوا ، ثم أقبل عليهم يوصيهم ويأمرهم بالخير وينهاهم عن  
الشر قالت أم كلثوم : لم يزل أبي تلك الليلة قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً  
ثم يخرج ساعة بعد ساعة يقلب طرفه في السماء وينظر في الكواكب وهو  
يقول : والله ما كذبت ولا كُذبت ، وإنها الليلة التي وعدت بها ، ثم يعود

إلى مصلاه ويقول : اللهم بارك لي في الموت ، ويكثر من قول : «إنا لله  
وإنا إليه راجعون» ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ويصلي على  
النبي ﷺ ويستغفر الله كثيراً قالت أم كلثوم فلما رأته في تلك الليلة قلقاً  
متململاً كثير الذكر والاستغفار أرقت معه ليلتي وقلت : يا ابتاه ما لي أراك  
هذه الليلة لا تذوق طعم الرقاد ؟ قال : يا بنية إن أباك قتل الأبطال وخاض  
الأموال وما دخل الخوف له جوقاً ، وما دخل في قلبي رعب أكثر مما دخل  
في هذه الليلة ثم قال : وإنا لله وإنا إليه راجعون» . فقلت يا أبا ما لك  
تعمى نفسك منذ الليلة ؟ قال : بنية قد قرب الأجل وانقطع الأمل قالت أم  
كلثوم : فبكيت فقال لي يا بنية لا تبكي فإني لم أقل ذلك إلا بما عهد إلي  
النبي ﷺ ثم إنه نعس وطوى ساعة ثم استيقظ من نومه ، وقال : يا بنية  
إذا قرب الأذان فأعلميني . ثم رجع إلى ما كان عليه أول الليل من الصلاة  
والدعاء والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى قالت أم كلثوم : فجعلت أرقب  
الأذان فلما لاح الوقت أتته ومعى إناء فيه ماء ، ثم أيقظته فأسيخ الوضوء ،  
وقام ولبس ثيابه وفتح بابه ثم نزل إلى الدار وكان في الدار أوز قد أهدي  
إلى أخي الحسين عليه السلام فلما نزل خرجن وراءه ورفرفن ، وصحن في  
وجهه . وكان قبل تلك الليلة لم يصحن فقال عليه السلام : لا إله إلا الله ،  
صوائع تتبعها نوائح ، وفي غداة غد يظهر الفضاة . فقلت : يا ابتاه هكذا  
تتطير ؟ فقال : بنية ما منا أهل البيت من يتطير ولا بتطير به . ولكن قول  
جري على لساني ثم قال : يا بنية بحقي عليك إلا ما أطلقته ، وقد حبست  
ما ليس له لسان ، ولا يقدر على الكلام إذا جاع أو عطش فأطعميه واسقيه  
وإلا خلي سبيله يأكل من حشائش الأرض . فلما وصل إلى الباب فعالجه  
ليفتحه فتعلق الباب بمثزره فأنحلت مثزره حتى سقط فأخذه وشده وهو  
يقول :

أشده حيازيمك للموت	فإن الموت لا ييكأ
ولا تجزع من الموت	إذا حل بناديكأ
كما أضحكك الدهر	كذلك الدهر يبكيكأ

ثم قال : اللهم بارك لنا في الموت اللهم بارك لي في لقائك قالت أم كلثوم : وكنت أمشي خلفه فلما سمعته يقول ذلك قلت : واغوثاه يا أبتاه أراك تعني نفسك منذ الليلة قال : يا بنية ما هو بتعاه ولكنها دلالات وعلامات للموت يتبع بعضها بعضاً ، فامسكي عن الجواب . ثم فتح الباب وخرج قالت أم كلثوم : فمجت إلى أخي الحسن عليه السلام فقلت : يا أخي قد كان من أمر أبيك الليلة كذا وكذا وهو قد خرج في هذا الليل الغلس فالحق فقام الحسن بن علي عليه السلام وتبعه فلحق به قبل أن يدخل الجامع فأمره الإمام بالرجوع فرجع .

وأما عدو الله : عبد الرحمن بن ملجم فكان على رأي الخوارج ، وكانت بينه وبين قطام حب وغرام ، وقطام قد قتل أبوها وأخوها وزوجها في النهروان ، وقد امتلأ قلبها غيظاً وعداءً لأمير المؤمنين وأراد ابن ملجم أن يتزوجها فاشتراط عليه أن يقتل أمير المؤمنين عليه السلام فاستعظم هذا الأمر وطلبت منه ثلاثة آلاف دينار وعبداً وقينة (جارية) ونسب إليه هذه الأبيات :

فلم أر مهراً ساقه ذو سماحة      كمهر قطام من فصيح وأعجم  
ثلاثة آلاف وعبد وقينة      وضرب علي بالحسام المصمم

وقيل : إنه تعاهد هو ورجلين على قتل معاوية وعمرو بن العاص واختار الثالث قتل معاوية ، فقصد البرك بن عبد الله التميمي مصر ليقتل ابن العاص ، ولم يخرج ابن العاص تلك الصبيحة فأرسل رجلاً يقال له : خارجة بن تميم ، فلما وقف في المحراب ضربه البرك ظناً منه أنه ابن العاص فمات خارجة من تلك الضربة .

وأما الآخر ويقال له : العنبري فإنه قصد الشام يقصد قتل معاوية وتعرف بمعاوية وجعل يدخل عليه ويلطف له في الكلام وينشده الأشعار حتى صارت صبيحة يوم التاسع عشر من شهر رمضان وجاء معاوية للصلاة وثار إليه العنبري ورفع السيف ليضرب عنقه فأخطأ الضربة فوقع السيف على إلية معاوية ، ولم يقتل من ضربته بل جرح جرحاً براء بالمعالجة .

وأما عبد الرحمن بن ملجم فقد جاء تلك الليلة وبات في المسجد ينتظر طلوع الفجر وصحى الإمام للصلاة وهو يفكر حول الجريمة العظمى التي قصد ارتكابها ومعه رجلان : شبيب بن بحر ووردان بن مجالد يساعده على قتل الإمام .

وسار الإمام إلى المسجد فصلى في المسجد ، ثم صعد المأذنة ووضع سبابته في أذنيه وتحنح ، ثم أذن ، فلم يبق في الكوفة بيت إلا اخترقه صوته ، ثم نزل عن المأذنة وهو يسبح الله ويقده ويكبره ، ويكثر من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يتفقد النائم في المسجد ويقول للنائم : الصلاة ، يرحمك الله ، قم إلى الصلاة المكتوبة ثم يتلو : «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكره . لم يزل الإمام يفعل ذلك حتى وصل إلى ابن ملجم وهو نائم على وجهه وقد أخفى سيفه تحت إزاره فقال له الإمام : يا هذا قم من نومك هذا فإنها نومة يمقتها الله ، وهي نومة الشيطان ، ونومة أهل النار بل نم على يمينك فإنها نومة العلماء ، أو على يسارك فإنها نومة الحكماء ، أو نم على ظهرك فإنها نومة الأنبياء .

نعم ، الشمس تشرق على البر والفاجر والكلب والخنزير وكل رجس وقذر ، والإمام أمير المؤمنين عليه السلام يفيض من علومه على الأخيار والأشرار وينصح السعداء والأشقياء ولا يبخل عن الخير حتى لأشقى الأشقياء ، ويرشد كل أحد حتى قاتله !!

ثم قال له الإمام : لقد هممت بشيء تكاد السماوات أن يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدأً ، ولو شئت لأنبأتك بما تحت ثيابك ثم تركه ، واتجه إلى المحراب ، وقام قائماً يصلي ، وكان عليه السلام يطيل الركوع والسجود في صلاته ، فقام المجرم الشقي لإنجاز أكبر جريمة في تاريخ الكون !! وأقبل مسرعاً يمشي حتى وقف بإزاء الإسطوانة التي كان الإمام يصلي عليها ، فأمهله حتى صلى الركعة الأولى وسجد السجدة الأولى ورفع رأسه منها فتقدم اللعين وأخذ السيف وهزه ثم ضربه على رأسه الشريف

(١) سورة العنكبوت ، الآية : ٤٥ .

فوقعت الضربة على مكان الضربة التي ضربه عمرو بن عبدود العامري .

فوقع الإمام علي وجهه قائلاً : بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ثم صاح الإمام : قتلني ابن ملجم ، قتلني ابن اليهودية ، أيها الناس لا يفوتكم ابن ملجم .

أخبر الإمام عن قاتله كيلاً يشبهه الناس بغيره فيقتلون البريء ، كما قتل في حادثة قتل عمر بن الخطاب جماعة من الأبرياء المساكين الذين هجم عليهم عيد الله بن عمر وقتلهم .

حتى في تلك اللحظة يحافظ الإمام على النظام وعلى حياة الناس ، نبع الدم العبيط من هامة الإمام وسال علي وجهه المنير ، وخضب لحيته الكريمة وصدق كلام الرسول ووقع ما أخبر به ، لم يفضد الإمام وعيه وما انهارت أعصابه بالرغم من وصول الضربة إلى جبهته وبين حاجبيه ، فجعل يشد الضربة بمثزره ويضع عليها التراب ، ولم يسهله الدم فقد سال علي صدره وأزياقه ، وعوضاً من التأوه والتألم والتوجع كان يقول صلوات الله عليه : فزت ورب الكعبة ! هذا ما وعد الله ورسوله ! وصدق الله ورسوله ! استولت الدهشة والذهول على الناس ، وخاصة على المصلين في المسجد ، وفي تلك اللحظة هتف جبرئيل بذلك الهتاف السماوي .

لم نسمع في تاريخ الأنبياء أن جبرئيل هتف يوم وفاة نبي من الأنبياء أو وصي من الأوصياء ، ولكنه هتف ذلك الهتاف لما وصل السيف إلى هامة الإمام وهو بعد حي ، هتف بشهادته كما هتف يوم أحد بفتوته وشهامته يوم قال : لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار .

فاصطفقت أبواب الجامع وضجت الملائكة في السماء بالدعاء وهبت ريح عاصف سوداء مظلمة ونادى جبرئيل بين السماء والأرض بصوت يسمعه كل مستيقظ : تهدمت والله أركان الهدى وانطمست والله نجوم السماء وأعلام النقي وانفصمت والله العروة الوثقى قتل ابن عم محمد

المصطفى عليه السلام قتل الوصي المجتبي قتل علي المرتضى ، قتل والله سيد الأوصياء ، قتله أشقى الأتقياء .

فلما سمعت أم كلثوم نعي جبرئيل لطمت على وجهها ، وخذها وشقت جيها وصاحت : وأبتاه واعلياه وامحمداه واسيداه .

وخرج الحسن والحسين فإذا الناس ينوحون وينادون : وإماماه وأمير المؤمنين ، قتل والله إمام عابد مجاهد لم يسجد لصنم قط وكان أشبه الناس برسول الله .

فلما سمع الحسن والحسين عليهما السلام صرخات الناس ناديا : وأبتاه واعلياه ليت الموت أعدمنا الحياة ، فلما وصلا إلى الجامع ودخلا وجدا أبا جعدة بن هبيرة ومعه جماعة من الناس وهم يجتهدون أن يقيموا الإمام في المحراب ليصلي بالناس .

فلم يطق على النهوض ، وتأخر عن الصف وتقدم الحسن عليه السلام فصلى بالناس ، وأمير المؤمنين عليه السلام صلى إيماءً من جلوس وهو مسح الدم عن وجهه وكريمته يميل تارة ويسكن أخرى والحسن عليه السلام ينادي : وإنتقطاع ظهره أ يعز - والله - علي أن أراك هكذا - ففتح الإمام عليه السلام عينه .

وقال : يا بني لا جزع على أبيك بعد اليوم ! هذا جدك محمد المصطفى وجدتك خديجة الكبرى وأمك فاطمة الزهراء والحدود العين محدقون فيتظفرون قدوم أبيك ، فطب نفساً وقر عيناً وكف عن اليكأ ، فإن الملائكة قد ارتفعت أصواتهم إلى السماء .

ثم إن الخبر شاع في جوانب الكوفة وانحشر الناس حتى المخدرات خرجن من خدرهن إلى الجامع ينظرون إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فدخل الناس الجامع فوجدوا الحسن عليه السلام ورأس أبيه في حجره وقد غسل الدم عنه ، وشد الضربة وهي بعدها تشخب دماً ووجهه قد زاد بياضاً بصفرة وهو يرمق السماء بظرفه ، ولسانه يسبح الله ويوحده ، وهو يقول أسألك يا

رب الرفيع الأعلى . فأخذ الحسن عليه السلام رأسه في حجره فوجده مغشياً عليه فعندها بكى بكاءً شديداً وجعل يقبل وجه أبيه وما بين عينيه وموضع سجوده فسقط من دموعه قطرات على وجه أمير المؤمنين عليه السلام ففتح عينيه فرآه باكياً .

فقال له الإمام عليه السلام : يا بني يا حسن ما هذا البكاء ؟ يا بني لا روع على أبيك بعد اليوم ! يا بني أتجزع على أبيك وغداً تقتل بعدي مسموماً مظلوماً ؟ ويقتل أخوك بالسيف هكذا ؟ وتلحقان بجدكما وأبيكما وأمكما ؟

فقال له الحسن عليه السلام : يا أبتاه ما نعرفنا من قتلك ؟ ومن فعل بك هذا ؟ قال عليه السلام : قتلتني ابن اليهودية : عبد الرحمن بن ملجم المرادي فقال : يا أبتاه من أي طريق مضى ؟ قال لا يمضي أحد في طلبه فإنه سيطلع عليكم من هذا الباب . وأشار بيده الشريفة إلى باب كندة .

ولم يزل السم يسري في رأسه وبدنه ثم أغمي عليه ساعة والناس ينتظرون قدوم الملعون من باب كندة ، فاشتغل الناس بالنظر إلى الباب ويرتقبون قدوم الملعون وقد غص المسجد بالعالم ما بين بالك ومحزون فما كان إلا ساعة وإذا بالصيحة قد ارتفعت ، من الناس وقد جاؤوا بعدوا الله ابن ملجم مكتوفاً هذا يلعنه وهذا يضره .

فوقع الناس بعضهم على بعض ينظرون إليه فأقبلوا باللعين مكتوفاً وهم ينهشون لحمه بأسنانهم ، ويقولون له : يا عدو الله ما فعلت ؟ أهلكت أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقتلت خير الناس . وأنه لصامت وبين يديه رجل يقال له حذيفة النخعي بيده سيف مشهور وهو يردد الناس عن قتله وهو يقول هذا قاتل الإمام علي عليه السلام حتى أدخلوه المسجد .

وكانت عيناه قد طارتا في أم رأسه كأنهما قطعتا علق وقد وقعت في وجهه ضربة قد هسمت وجهه وأنفه والدم يسيل على لحيته وعلى صدره ، وهو ينظر يميناً وشمالاً وعيناه قد طارتا في أم رأسه وهو أسمر اللون وكان على رأسه شعر أسود منشوراً على وجهه كأنه الشيطان الرجيم .

فلما جاؤوا به أوقفوه بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام فلما نظر إليه الحسن عليه السلام :

قال له : يا ويلك يا لعين ! يا عدو الله ! أنت قاتل أمير المؤمنين ومثكلنا بإمام المسلمين ؟ هذا جزاؤه منك حيث آواك وقربك وأدناك وآثرك على خيرك ؟ وهل كان بشس الإمام لك حتى جازيته هذا الجزاء يا شقي ؟؟ فلم يتكلم بل دعت عيناه .

فقال له الملعون : يا أبا محمد أفأنت تنفذ من في النار؟ فعند ذلك ضجَّ الناس بالبكاء والنحيب . فأمر الحسن عليه السلام بالسكوت ثم التفت الحسن عليه السلام إلى الذي جاء به حذيفة فقال له : كيف ظفرت بعدو الله وأين لقبته ؟ فقال : يا مولاي كنت نائماً في داري إذ سمعت زوجتي الزعقة ، وناعياً ينعي أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول : تهدمت والله أركان الهدى وانطمست والله أعلام التقى قتل ابن عم محمد المصطفى قتل علي المرتضى قتله أشقى الأشقياء . فأيقظتني وقالت لي : أنت نائم ؟ وقد قتل إمامك علي بن أبي طالب . فانتبهت من كلامها فزعاً مرعوباً وقلت لها : يا ويلك ما هذا الكلام ؟ رض الله فاك ! لعل الشيطان قد ألقى في سمعك هذا إن أمير المؤمنين ليس لأحد من خلق الله تعالى قبله تبعه ولا ظلامه ، فمن ذا الذي يقدر على قتل أمير المؤمنين ؟ وهو الأسد الضرغام والبطل الهمام والفارس القمصام فأكرمت علي وقالت : إني سمعت ما لم تسمع وعلمت ما لم تعلم ، فقلت لها : وما سمعت فأخبرتني بالصوت .

ثم قالت : ما أظن بيتاً في الكوفة إلا وقد دخله هذا الصوت .

قال : وبينما أنا وهي في مراجعة الكلام وإذا بصيحة عظيمة وجلبة وقائل يقول : قتل أمير المؤمنين عليه السلام فحسَّ قلبي بالشر فمددت يدي إلى سيفي وسللته من غمده ، وأخذته ونزلت مسرعاً ، وفتحت باب داري وخرجت ، فلما صبرت في وسط الجادة نظرت يميناً وشمالاً وإذا بعدو الله يجول فيها ، يطلب مهرباً فلم يجد ، وإذا قد انسدت الطرقات في وجهه ،

فلما نظرت إليه وهو كذلك رايتي أمره فناديته : من أنت وما تريد ؟ لا أم لك ! في وسط هذا الدرب ؟ فتسمى بغير إسمه ، وانتمى إلى غير كنيته فقلت له : من أين أقبلت ؟ قال : من منزلي قلت : وإلى أين تريد أن تمضي في هذا الوقت؟ قال : إلى الحيرة ، فقلت : ولم لا تقعد حتى تصلي مع أمير المؤمنين عليه السلام صلاة الغداة وتمضي في حاجتك ؟ فقال : أخشى أن أقعد للصلاة فتضوتني حاجتي . فقلت : يا ويلك إنني سمعت صيحة وقائلاً يقول : قتل أمير المؤمنين عليه السلام فهل عندك من ذلك خير ؟

قال : لا علم لي بذلك . فقلت له : ولم لا تمضي معي حتى تحقق الخبر وتمضي في حاجتك ؟ فقال : أنا ماض في حاجتي وهي أهم من ذلك . فلما قال لي مثل ذلك القول . قلت : يا لكع الرجال حاجتك أحب إليك من التجسس لأمر المؤمنين وإمام المسلمين ؟ وإذا والله يا لكع ما لك عند الله من خلاق . وحملت عليه بسيفي وهممت أن أعلو به ، فبراغ عني فينما أنا أحاطبه وهو يخاطبني إذ هبت ربيع فكشفت إزاره وإذا بسيفه يلمع تحت الإزار وكأنه مرآة مصقولة . فلما رأيت بريقه تحت ثيابه قلت : يا ويلك ما هذا السيف المشهور تحت ثيابك ؟ لعلك أنت قاتل أمير المؤمنين فأراد أن يقول : لا . فأنطق الله لسانه بالحق فقال : نعم ، فرفعت سيفي وضربته فرفع هو سيفه وهم أن يعلوني به فأنحرفت عنه فضربته على ساقه فأوقعه ووقع لجبينه ووقعت عليه وصرخت صرخة شديدة وأردت أخذ سيفه فمانمني عنه ، فخرج أهل الحيرة فأعانوني عليه حتى أوثقت وجئتك به ، فهو بين يديك جعلني الله فداك فاصنع به ما شئت .

فقال الحسن عليه السلام : ألحمد لله الذي نصر وليه وخذل عدوه ثم انكب الحسن عليه السلام على أبيه يقبله وقال : يا أباه هذا عدو الله وعدوك قد أمكن الله منه . ففتح عينيه عليه السلام وهو يقول : إرفقوا بي يا ملائكة ربي .

فقال له الحسن عليه السلام : هذا عدو الله وعدوك ابن ملجم قد أمكن الله منه وقد حضر بين يديك .

ففتح أمير المؤمنين عليه السلام عينيه ونظر إليه وهو مكتوف وسيفه معلق في عنقه . فقال له بضعف وانكسار صوت ورافة ورحمة : يا هذا لقد جئت عظيماً ، وارثكيت أمراً عظيماً ، وخطياً جسيماً ، أبش الإمام كنت لك حتى جازيتني بهذا الجزاء ؟ ألم أكن شقيقاً عليك وأثرتك على غيرك وأحسنت إليك وزدت في عطائك ؟ ألم أكن يقال لي فيك كذا وكذا ، فخليت لك السبيل ومنحتك عطائي ؟ وقد كنت أعلم أنك قاتلي لا صحالة ولكن رجوت بذلك الاستظهار من الله تعالى عليك يا لكع فعلبت عليك الشقاوة فقتلتني يا شقي الأشفياء ؟ قدمعت عينا ابن ملجم وقال يا أمير المؤمنين : أفأنت تنقذ من في النار . قال له : صدقت ثم التفت عليه السلام إلى ولده الحسن عليه السلام وقال له : إرفق يا ولدي بأسيرك . وارحمه وأحسن إليه واشفق عليه ، ألا ترى إلى عينيه قد طارتا في أم رأسه وقلبه يرجف خوفاً وفزعاً ؟؟ فقال له الحسن عليه السلام يا أباة قد قتلتك هذا اللعين الفاجر وأفجعنا فيك وأنت تأمرنا بالرفق به ؟ فقال : نعم يا بني نحن أهل بيت لا نزداد على الذنب إلينا إلا كرمًا وعضواً والرحمة والشفقة من شيمتنا ! بحقي عليك فاطمعه يا بني مما تأكله ! واسقه مما تشرب ! ولا تقيد له قدماً ولا تغل له يداً ! فإن أنا مت فاقصص منه بأن تقتله وتضربه ضربة واحدة ولا تحرقه بالنار ولا تمثل بالرجل فهلاني سمعت جدك رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور ، وإن أنا عشت فأنا أولى به بالعفو عنه وأنا أعلم بما أفعل به .

ولقد أحسن وأجاد المرحوم السيد جعفر الحلبي (ره) :

لبس الإسلام أبرد السواد	يوم أردى المرتضى سيف المرادي
ليلة ما أصبحت إلا وقد	غلب الغي على أمر الرشاد
والصلاح انخفضت أعلامه	وغدت ترفع أعلام الفساد
مارعى الغادر شهر الله في	حجة الله على كمل العباد
وبسيت السله قد جد له	ساجداً يتشج من خوف المعاد
يا ليال أنزل الله بها	سور الذكر على أكرم هادي
محييت فيك على رغم العلى	آية في فضلها الذكر ينادي

قتلوه وهو في محرابه  
سئل بعينه الدجى هل جفتا  
وسئل الأنجم هل أبصرنه  
وسئل الصبح أهل صادقته  
عافر الناقة مع شقوته  
فلقد عمم بالسيف فتى  
فبكته الأنس والجن معاً  
وبكاه الملا الأعلى دماً  
هدمت والله أركان الهدى

طاوي الأحشاء عن ماء وزاد  
عن بكاء أو ذاقنا طعم الرقاد؟  
ليلة مضطجعاً فوق الوساد؟  
مئل من نوح منيب للجناد؟  
ليس بالأشقى من الرجس المرادي  
عسم خلق الله طراً بالأيدى  
وطيور الجومع وحش البوادي  
وغدى جبريل بالويل ينادي  
حيث لا من منذر فينا وهادي

## عليّ (ع) طريح الفراش

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوان : في مثل صبيحة هذا اليوم وقعت الحادثة الكبرى التي ذكرنا عنها السير ليلة أمس ، لا يملك القلم واللسان بياناً لشرح الواقعة والدهشة التي امتولت على الناس إثر استماع الصبيحة السماوية وانتشار الخبر في الكوفة بأسرع ما يكون ، وأقبلت الجماهير تتراخض إلى المسجد (محل الحادثة) حتى المنخدرات خرجن من خدورهن ، وغص المسجد الجامع بالناس ، فلا ترى إلا صفق الأيدي على الرؤوس ولا تسمع إلا أصوات النياحة وصرخات الناس ، وقد ازدحم الناس حول الإمام ينظرون إلى ذلك البطل الذي كان يخوض غمار الموت ، وكانت الأسود تخاف من بأسه واسمه ، ينظرون إليه وقد ابيض وجهه من نزف الدم ، وصلى الإمام صلاة الصبح من جلوس ، ثم قال : إحملوني إلى منزلي . فحملوه والناس حوله يبكون ويتحبون ، وكان الحسن والحسين أشد الناس بكاءً وحزناً ، فكان الحسين عليه السلام يبكي ويقول : يا أبتاه من لنا بعدك ؟ لا يوم كيومك إلا يوم رسول الله ، من أجلك تعلمت البكاء ، يهز - والله - عليّ أن أراك هكذا .

فغزاه الإمام وسلاه ، ومسح دموع ولده ورضع يده على قلب ولده وقال : يا بني ربط الله على قلبك وأجزل لك وإخوتك عظيم الأجر .

أقبلت بنات رسول الله وسائر بنات الإمام وجلسن حول فراشه ينظرن  
إلى أسد الله وهو بتلك الحالة ، فصاحت زينب الكبرى وأختها : أبتاه من  
للصغير حتى يكبر؟ ومن للكبير بين الملا؟ يا أبتاه حزنتنا عليك طويل ،  
وعبرتنا لا ترقا !

فضج الناس من وراء الحجرة بالبكاء والتحبيب ، وشاركهم الإمام  
وفاضت عيناه بالدموع -

اجتمع الأطباء والجراحون فوصفوا للإمام اللبن ، لأن سيف ابن  
ملجم كان مسموماً ، فكان اللبن طعامه وشرابه ، ودعى الإمام بولديه وجعل  
يقبلهما ويحضنهما لأنه علم أنه سيفارقهما وكان يغمى عليه ساعة بعد  
ساعة ، فناوله الحسن قدحاً من اللبن فشرب منه قليلاً ، ثم نحا عن فمه  
وقال : إحملوه إلى أسيركم ! ثم قال للحسن : يا بني بحقي عليك إلا ما  
طيبتم مطعمه ومشربه وارققوا به إلى حين موتي ! وتطعمه مما تأكل ،  
وتسقيه مما تشرب حتى تكون أكرم منه !!

وكان اللعين ابن ملجم محبوساً في بيت ، فحملوا إليه اللبن وأخبروه  
بعطف الإمام وحنانه على قاتله ، فشرب اللعين اللبن .

قال محمد بن الحنفية : بتنا ليلة عشرين من شهر رمضان مع أبي وقد  
نزل السم إلى قدميه ، وكان يصلي تلك الليلة من جلوس ولم يزل يوصينا  
بوصاياهم ويعزينا عن نفسه ، ويخبرنا بأمره إلى طلوع الفجر ، فلما أصبح  
استأذن الناس عليه ، فأذن لهم بالدخول ، فدخلوا عليه وأقبلوا يسلمون عليه  
وهو يردد سبحانك ثم يقول : أيها الناس اسألوني قبل أن تفقدوني ، وخففوا  
سؤالكم لمصيبة إمامكم !!

فبكى الناس بكاءً شديداً ، وأشفقوا أن يسألوه تخفيفاً عنه فقام إليه  
حجر بن عدي الطائي وقال :

فيا أسفي على المولى الشقي أبي الأطهار حيدر السزكي

قتله كافر حنث زنيماً لعين فاسق نغل شقي  
إلى آخر أبياته ، فلما بصر به الإمام وسمع شعره قال له : كيف بك  
إذا دُعيت إلى البراءة مني ؟ فما عمالك أن تقول ؟  
فقال : والله يا أمير المؤمنين لو قطعت بالسيف إرباً إرباً ، وأضرم لي  
النار وألقيت فيها لآثرت ذلك على البراءة منك !!  
فقال **عليه السلام** : وفقت لكل خير يا حجر ، جزاك الله عن أهل بيت  
نبيك .

ثم قال : هل من شربة لبن ؟ فأتوه بلبن فشربه كله ، فذكر **عليه السلام** ابن  
ملجم وأنه لم يترك له من اللبن شيئاً فقال : وكان أمر الله قدرماً مقدوراً ،  
إعلموا أنني شربت الجميع ، ولم أبق لأسيركم شيئاً من هذا ! ألا : وإنه  
آخر رزقي من الدنيا ! فبالله عليك - يا بني - إلا ما سقيته مثل ما شربت ،  
فحمل إليه اللبن فشرب .

كان الناس متجمهرين على باب بيت الإمام ينتظرون تنفيذ حكم  
الإعدام في حق ابن ملجم ، فخرج إليهم الإمام الحسن وأمرهم عن قول  
أبيه بالانصراف ، فانصرف الناس ، وكان الأصبح بن نباتة جالساً فلم  
ينصرف ، فخرج الإمام الحسن مرة ثانية وقال : يا أصبح أما سمعت قولي  
عن أمير المؤمنين ؟ قال : بلى ، ولكنني رأيت حاله ، فأحببت أن أنظر إليه  
فاسمع منه حديثاً ، فاستأذن لي رحمك الله .

فدخل الحسن ولم يلبث أن خرج فقال له : أدخل . قال الأصبح  
فدخلت فإذا أمير المؤمنين معصب بعصا ، وقد علت صفرة وجهه على  
تلك العصا ، وإذا هو يرفع فخذاً ويضع أخرى من شدة الضربة وكثرة  
السم .

فقال لي : يا أصبح أما سمعت قول الحسن عن قولني ؟ قلت : بلى  
يا أمير المؤمنين ، ولكنني رأيتك في حالة فأحببت النظر إليك ، وأن أسمع

منك حديثاً . فقال لي : أقعد ، فما أراك تسمع مني حديثاً بعد يومك هذا !!

إعلم يا أصبغ : أتيت رسول الله ﷺ عائداً كما جئت الساعة فقال : يا أبا الحسن أخرج فناد في الناس : الصلاة جامعة ، واصعد المنبر وقم دون مقامي بمرقاة ، وقبل للناس : ألا : من عقى والديه فلعنة الله عليه ، ألا : من أبى من مواليه فلعنة الله عليه ، ألا : من ظلم آجيراً أجرته فلعنة الله عليه ا

يا أصبغ : ففعلت ما أمرني به حبي رسول الله ، فقام من أقصى المسجد رجل فقال : يا أبا الحسن تكلمت بثلاث كلمات أوجزتهن (اختصرتهن) فلم أرد جواباً حتى أتيت رسول الله ﷺ فقلت ما كان من الرجل .

قال الأصبغ : ثم أخذ بيدي وقال : يا أصبغ أبسط يدك ، فبسطت يدي ، فتناول إصبعاً من أصابع يدي وقال : يا أصبغ كذا تناول رسول الله إصبعاً من أصابع يدي كما تناولت إصبعاً من أصابع يدك ثم قال : يا أبا الحسن ألا : ولاني وأنت أبوا هذه الأمة ، فمن عققنا فلعنة الله عليه ، ألا ولاني وأنت سؤياً هذه الأمة فعلى من أبى عنا لعنة الله ، ألا : ولاني وأنت آجيراً هذه الأمة ، فمن ظلمنا آجراً فلعنة الله عليه ، ثم قال : آمين . فقلت : آمين .

قال الأصبغ : ثم أغمي عليه ثم أفلق فقال لي : أفاعد أنت يا أصبغ ؟ قلت : نعم يا مولاي قال : أزيدك حديثاً آخر ؟ قلت : نعم زادك الله من مزيادات الخير ، قال : يا أصبغ : لقيني رسول الله ﷺ في بعض طرقات المدينة وأنا مغموم ، قد تبين الغم في وجهي ، فقال لي : يا أبا الحسن أراك مغموماً ؟ ألا أحدثك بحديث لا تغتم بعده أبداً ؟ قلت : نعم . قال : إذا كان يوم القيامة نصب الله منيراً يعلو منابر النبيين والشهداء ثم يأمرني الله أن أصعد فوقه ثم يأمرك الله أن تصعد دوني بمرقاة ثم يأمر

الله ملكين فيجلسان دونك بمرقاة ، فإذا استقلنا على المنبر لا يبقى أحد من الأولين والآخرين إلا حضر ، فينادي الملك الذي دونك بمرقاة : معاشر الناس ألا : من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي : أنا أدفع مفاتيح الجنة إلى محمد ، وإن محمداً أمرني أن أدفعها إلى علي بن أبي طالب ، فاشهدوا لي عليه .

ثم يقوم ذلك الذي تحت ذلك الملك بمرقاة منادياً يسمع أهل الموقف : معاشر الناس من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي : أنا مالك (خازن) النيران ، ألا : إن الله - بمنه وكرمه وفضله وجلاله - قد أمرني أن أدفع مفاتيح النار إلى محمد وإن محمداً قد أمرني أن أدفعها إلى علي بن أبي طالب فاشهدوا لي عليه .

فأخذ مفاتيح الجنان والنيران ، يا علي فتأخذ بحجزتي<sup>(١)</sup> ، وأهل بيتك يأخذون بحجزتك ، وشيعتك يأخذون بحجزة أهل بيتك .

قال الإمام : فصفقت بكلتا يدي وقلت : وإلى الجنة يا رسول الله ؟ قال : إي ورب الكعبة . .

---

(١) الحجزة بضم الحاء : الإزار أو معقد الإزار .

## عليّ (ع) يفارق الحياة

بسم الله الرحمن الرحيم

عظّم الله أجوركم بمصيبة سيدنا وإمامنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ففي مثل هذه الليلة قضى نحبه وفارق الحياة ، وقد انطوت صفحات تلك الحياة المشرقة ، واستراح الإمام من أيدي الناس وأغواهم وانتهت أيام مسؤوليته .

فقد جمعوا له أطباء الكوفة ومن جعلتهم : أثير بن عمرو بن هاني السكوني فلما نظر إلى جرح رأس الإمام طلب رقة شاة حارة فاستخرج منها عرقاً ثم نفخه ثم استخرجه ، وإذا عليه بياض الدماغ كأنه قطن مندوف فقال : يا أمير المؤمنين إعهد عهدك وأوص وصيتك فإن عدو الله قد وصلت ضريرته إلى أم رأسك .

قال محمد بن الحنفية : لما كانت ليلة إحدى وعشرين جمع أبي أولاده وأهل بيته وودعهم ثم قال لهم : الله خليفتي عليكم ، وهو حسبي ونعم الوكيل ، وأوصاهم بلزوم الإيمان . . . وتزايد ولوج السم في جسده حتى نظرنا إلى قدميه وقد احمرتا جميعاً ، فكبر ذلك علينا وأيسنا منه . ثم عرضنا عليه المأكول والمشروب فأبى أن يشرب ، فنظرنا إلى شفثيه يختلجان بذكر الله ، ثم نادى أولاده كلهم بأسمائهم واحداً بعد واحد وجعل

يودّعهم وهم يبكون فقال الحسن : ما دعائك إلى هذا ؟ فقال : يا بني إني رأيت جدك رسول الله ﷺ في منامي قبل هذه الكائنة بليلة فشكوت إليه ما أنا فيه من التذلل والأذى من هذه الأمة فقال لي : ادع عليهم فقلت : اللهم ابدلهم بي شراً مني وأبدلني بهم خيراً منهم . فقال لي رسول الله : قد استجاب الله دعائك ، سينقلك إلينا بعد ثلاث .

وقد مضت الثلاث ، يا أبا محمد أوصيك ويا أبا عبد الله خيراً ، فانتما مني وأنا منكما ، ثم التفت إلى أولاده الذين من غير فاطمة بنتك وأوصاهم أن لا يخالفوا أولاد فاطمة يعني الحسن والحسين ، ثم قال : أحسن الله لكم العزاء ، ألا وإني منصرف عنكم وراحل في ليلتي هذه ولاحق بحبيبي محمد ﷺ كما وعدني ، فإذا أنا مت - يا أبا محمد - فغسلني وكفني وحنطني ببقية حنوط جدك رسول الله ، فإنه من كافور الجنة جاء به جبرئيل إليه ، ثم ضعني على سريري ، ولا يتقدم أحد منكم مقدم السرير ، واحملوا مؤخره ، واتبعوا مقدمه ، فأبى موضع وضع المقدم فضعوا المؤخر ، فحيث قام سريري فهو موضع قبري ، ثم تقدم - يا أبا محمد - وصل عليّ - يا بني يا حسن - وكبر عليّ سبعاً ، واعلم أنه لا يحل ذلك على أحد غيري إلا على رجل يخرج في آخر الزمان إسمه : القائم المهدي من ولد أخيك الحسين بقيم إعوجاج الحق .

فإذا أنت صليت عليّ - يا حسن - فتح السرير عن موضعه ثم اكشف التراب عنه ، فترى قبراً محفوراً ، ولحداً مثقوباً وساجة منقورة ، فأصبعني فيها ، فإذا أردت الخروج من قبري فتمقدي فإنك لا نجدني وإني لاحق بجدك رسول الله ﷺ واعلم يا بني : ما من نبي يموت وإن كان مدفوناً بالمشرق ويموت وصيه بالمغرب إلا ويجمع الله عز وجل بين روحيهما وجسديهما ، ثم يفترقان فيرجع كل واحد منهما إلى موضع قبره وإلى موضعه الذي حظ فيه .

ثم إشرح اللحد باللبن (جمع لبن) وأهل التراب عليّ . ثم غيب

قبري .

وللإمام أمير المؤمنين عليه السلام وصية أخرى وهي من جلائل وصاياه أوصى بها أولاده في مثل هذه الليلة ، روى الصدوق في الفقيه عن سليم بن قيس الهلالي قال : شهدت وصية علي بن أبي طالب عليه السلام حين أوصى إلى ابنه الحسن عليه السلام وأشهد علي وصية الحسين عليه السلام ومحمد وجميع ولده ورؤساء أهل بيته وشيعته ثم دفع إليه الكتب والسلاح ثم قال : يا بني أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أوصي إليك وأن أدفع إليك كتيبي وسلاحي ، كما أوصى إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفع إلي كتيبه وسلاحه وأمرني أن أمرك إذا حضرك الموت أن تدفعه إلى أخيك الحسين عليه السلام ثم أقبل علي ابنه الحسين فقال : وأمرك رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تدفعه إلى ابنك علي بن الحسين ثم أقبل إلى ابنه علي بن الحسين عليه السلام فقال له : وأمرك رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تدفع وصيتك إلى ابنك محمد بن علي فأقرأه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومني السلام . ثم أقبل علي ابنه الحسن فقال : يا بني أنت ولي الأمر بعدي ووليّ الدم فإن عفوت فلنك ، وإن قتلت فضربة مكان ضربة ولا تأثم ، ثم قال أكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب : أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، ثم إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين .

أوصيكما بتقوى الله وأن لا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ، ولا تأسفا على شيء منها زوي عنكما ، وقولا بالحق واعملا للأجر (للاخرة خ ل) وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً .

أوصيكما وجميع ولدي وأهل بيتي (وأهلي خ ل) ومن بلغهم كتابي هذا من المؤمنين بتقوى الله ربكم ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ،

واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم  
أعداءً فألف بين قلوبكم (يتقوى الله ونظم أمركم وصلاح ذات بينكم خ ل)  
فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : صلاح ذات البين أفضل من عامة  
الصلاة والصيام ، وإن البغضة حائلة الدين وفساد ذات البين (وإن الميرة  
الحالفة للدين فساد ذات البين خ ل) ولا قوة إلا بالله ، أنظروا ذوي  
أرحامكم فصلوهم يُهَوّن الله عليكم الحساب ، والله الله في الأيتام لا تغبوا  
أفواههم ولا يضيعوا بحضرتكم فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : من  
عال يتيماً حتى يستغني أوجب الله له الجنة كما أوجب لأكل مال اليتيم  
النار ، والله الله في القرآن فلا يسبقكم إلى العمل به غيركم ، والله الله في  
جيرانكم فإن الله ورسوله أوصيا بهم (فإنه وصية نبيكم) ما زال يوصي بهم  
حتى ظننا أنه سيورثهم ، والله الله في بيت ربكم فلا يخلون منكم ما بقيتم  
فإنه إن ترك لم تناظروا ، الله الله في الصلاة ! فإنها خير العمل وإنها عمود  
دينكم ، الله الله في الزكاة فإنها تطفىء غضب ربكم ، الله الله في صيام  
شهر رمضان فإن صيامه جنة من النار ، الله الله في الجهاد في سبيل الله  
بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم فإنما يجاهد في سبيل الله رجلاً : إمام هدى  
ومطيع له مقتد يهداه والله الله في ذرية نبيكم فلا يُظلمن بين أظهركم ، والله  
الله في أصحاب نبيكم الذين لم يُحدثوا حدثاً ولم يؤثروا محدثاً فإن رسول  
الله ﷺ أوصى بهم ، ولعن المحدث منهم ومن غيرهم ، والمؤوي  
للمحدث ، والله الله في الفقراء والمساكين فأشركوهم في معاشكم ، والله  
الله في النساء وما ملكت أيما نكح فإن آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ أن  
قال : أوصيكم بالضعيفين : نسائكم وما ملكت أيما نكح ، ثم قال :  
الصلاة ، الصلاة ، الصلاة ، ولا تخافن في الله لومة لائم ، يكفكم من  
أرادكم وبغى عليكم ، قولوا للناس حسناً كما أمركم الله عز وجل ، ولا  
تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيؤلى عليكم أشراكم ، ثم  
تدعون فلا يستجاب لكم . وعليكم بالتواصل والتبازل والتباز وإياكم  
والتقاطع والتدابير والتفرق ، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم

والمعدون واتقوا الله إن الله شديد العقاب ، حفظكم الله من أهل بيت  
وحفظ فيكم نبيكم ، وأستودعكم الله خير مشودع ، وأقرأ عليكم السلام  
ورحمة الله وبركاته .

يا بني عبد المطلب : لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين خووضاً ،  
تقولون : قتل أمير المؤمنين . ألا : لا تقتلن بي إلا قاتلي انظروا إذا أنا  
مت من ضربته هذه فاضربوه ضربةً بضربة ولا يُمثل بالرجل فإني سمعت  
رسول الله ﷺ يقول : إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور .

هكذا ينهى الإمام عليه السلام أولاده عن إقامة المجازر والمذابح لأجل  
المطلب بدمه كما كان الأمر في قضايا عثمان ، يقول : لا تقتلوا إلا قاتلي .  
ينهاهم عن التحقيق عن أصل الفتنة ورجال المؤامرة وأسباب الفساد  
ويأمرهم بالاكْتفاء بالقصاص عن المقاتل ، ثم ينهى عن قطع أعضائه .

ثم عرق جبين الإمام فجعل يمسح العرق بيده فقالت إبنته زينب : يا  
أبة أراك تمسح جبينك ؟ قال : يا بنية سمعت جدك رسول الله ﷺ يقول :  
إن المؤمن إذا نزل به الموت ودنت وفاته عرق جبينه وصار كاللؤلؤ الرطب ،  
وسكن أنينه . فقامت زينب وألقت بنفسها على صدر أبيها وقالت : يا أبة  
حدثني أم أيمن بحديث كربلاء وقد أحبيت أن أسمعه منك ، فقال : يا  
بنية ، الحديث كما حدثتك ، أم أيمن ، وكأني بك ونساء أهلك لسبأيا  
بهذا البلد ، خاشعين تخافون أن يتخطفكم الناس ، فصبراً صبراً . . .

ثم التفت الإمام إلى ولديه الحسن والحسين وقال : يا أبا محمد ويا  
أبا عبد الله كآني بكما وقد خرجت عليكما من بعدي الفتن من ههنا وههنا  
فاصبرا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين يا أبا عبد الله أنت شهيد هذه  
الأمّة ، فعليك بتقوى الله والصبر على بلائه .

ثم أغمي عليه وأفاق وقال : هذا رسول الله ، وعمي حمزة وأخي  
جعفر وأصحاب رسول الله ، وكلهم يقولون : عجل قدومك علينا فإننا إليك  
مشتافون . ثم أدار عينيه في أهل بيته كلهم وقال : أستودعكم الله جميعاً ،

سَدَّدَكُمْ اللهُ جَمِيعاً ، خَلِيفَتِي عَلَيْكُمْ اللهُ ، وَكُفَى بِاللهِ خَلِيفَةً ، ثُمَّ قَالَ : وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ يَا رَسُولَ رَبِّي ، ثُمَّ قَالَ : لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ، ﴿١﴾ إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١﴾ . وَمَا زَالَ يَذْكُرُ اللهُ ، وَيَتَشَهَّدُ الشَّهَادَتَيْنِ ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ ، وَغَمَضَ عَيْنَيْهِ وَمَدَّ رِجْلَيْهِ وَيَدَيْهِ وَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ثُمَّ قَضَى نَحْبَهُ !!

فَعِنْدَ ذَلِكَ صَرَخَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ عَلِيٍّ وَأُمُّ كَلثُومٌ وَجَمِيعُ نِسَائِهِ وَقَدْ شَقِقْنَ الْجُيُوبَ وَلَطَمْنَ الْخُدُودَ ، وَارْتَفَعَتِ الصَّيْحَةُ فِي الْقَصْرِ ، فَعَلِمَ أَهْلُ الْكُوفَةِ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ فَارَقَ الْحَيَاةَ ، فَأَقْبَلَ النِّسَاءَ وَالرِّجَالَ يَهْرَعُونَ أَفْوَاجاً ، وَصَاحُوا صَيْحَةً عَظِيمَةً فَارْتَجَّتِ الْكُوفَةُ بِأَهْلِهَا ، وَكَثُرَ الْبُكَاءُ وَالنَّحِيبُ وَالضَّجِيجُ بِالْكُوفَةِ وَقِبَائِلِهَا وَجَمِيعِ أَقْصَارِهَا ، فَكَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ كَالْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَتَغَيَّرَ أَفْقُ السَّمَاءِ ، وَسَمِعَ النَّاسُ أَصْوَاتاً وَتَسْبِيحاً فِي الْهَوَاءِ ، وَاسْتَعْلَوْا بِالنِّيَاحَةِ عَلَيَّ الْإِمَامَ .

ثُمَّ قَامَ أَوْلَادُهُ لِنَتْجَهِيزِهِ لَيْلاً ، وَلَمَّا جَرَدُوهُ عَنِ ثِيَابِهِ ، وَجَدُوا عَلَيَّ جِسْمَهُ الشَّرِيفَ أَثَارَ أَلْفِ جِرَاحَةٍ مِنْ قَرْنِهِ إِلَى قَدَمَيْهِ وَهِيَ الْجِرَاحَاتُ الَّتِي أَصَابَتْهُ فِي سَبِيلِ اللهِ فِي الْحُرُوبِ ، وَكَانَ الْحَسَنُ يَغْتَلُّهُ وَالْحُسَيْنُ يَصُبُّ عَلَيْهِ الْمَاءَ ، وَكَانَ مَلَكٌ لَا يَحْتَاجُ إِلَى مَنْ يَقْلِبُهُ ، بَلْ كَانَ يَتَقَلَّبُ كَمَا يَرِيدُ الْغَاسِلُ يَمِيناً وَشَمَالاً ، لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانَتْ تَقْلِبُهُ ، وَكَانَتْ رَائِحَتُهُ أَطْيَبَ مِنْ رَائِحَةِ الْمَسْكِ .

ثُمَّ نَادَى الْحَسَنُ بِأَخْتِهِ زَيْنَبَ وَأُمِّ كَلثُومٍ وَقَالَ : يَا أُخْتَاهُ هَلْمِي بِحَنُوطِ جَدِّي رَسُولِ اللهِ ، فَبَادَرَتْ زَيْنَبُ مَسْرَعَةً حَتَّى أَتَتْهُ بِهِ ، فَلَمَّا فَتَحَتْهُ فَاحَتْ الدَّارَ وَجَمِيعَ الْكُوفَةِ ، وَلَمَّا حَنَطُوهُ لَقُوهُ بِخَمْسَةِ أَثْوَابٍ ثُمَّ وَضَعُوهُ عَلَيَّ السَّرِيرِ وَتَقَدَّمَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ إِلَى السَّرِيرِ مِنْ مُؤَخَّرِهِ وَإِذَا مَقْدَمُهُ قَدْ ارْتَفَعَ ، وَلَا يُرَى حَامِلُهُ ، وَكَانَ حَامِلَاهُ جِبْرَائِيلُ وَمِيكَائِيلُ ، فَمَا مَرُّ بِشَيْءٍ عَلَيَّ وَجْهَ الْأَرْضِ إِلَّا انْحَنَى لَهُ .

(١) سُورَةُ النَّحْلِ ، آيَةُ : ١٢٨ .

وضجّت الكوفة بالبكاء والتجيب ، وخرجت النساء خلف الجنائز  
لاطمات فمتعهن الحسن ورذهن إلى أماكنهم ، والحسين يقول : لا حول  
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، يا أبتاه وإنقطاع  
ظهراه ، من أجلك تعلمت البكاء ، إلى الله المشتكى .

أمر الإمام الحسن الناس بالانصراف ، ولم يبق إلا أولاد أمير  
المؤمنين وعدد قليل من أخص أصحابه المعتمد عليهم ، فابتعدوا عن  
الكوفة في جوف الليل قاصدين النجف ، وإذا بمقدم السرير قد وُضع ،  
فوضع الحسن والحسين مؤخر السرير ، وقام الحسن وصلى مع جماعة على  
أبيه فكبر سبعاً كما أمره أبوه ، ثم زحزح السرير ، وكشف التراب وإذا بقبر  
مقبور ولحد مشقوق وساجة منقورة مكتوب عليها : هذا ما آخره نوح النبي  
للعبد الصالح الطاهر بن المطهر .

ولما أرادوا إنزاله إلى القبر سمعوا هاتفاً يقول : أنزلوه إلى التربة  
الطاهرة فقد اشتاق الحبيب إلى الحبيب ، فدهش الناس من سماع  
الهاتف ، وانتهى الدفن قبل الفجر ، وانحفوا قبره كما أوصى به ، لأنه **بئس**  
كان يعلم من عداوة الخوارج والأعداء له ، فقد روي في منتخب التواريخ  
أن الحجاج بن يوسف نيش في النجف آلاف القبور يفتش عن جثمان  
علي **بئس** ولكنه لم يعثر عليه ، ولم يزل القبر مخفياً عن الناس لا يعرف به  
إلا أولاد الإمام وأخصاء الشيعة إلى أيام هارون الرشيد .

قال عبد الله بن حازم : خرجنا يوماً مع الرشيد من الكوفة نتصيد  
فصرنا إلى ناحية الغري ، فرأينا ظبيات ، فأرسلنا إليها الصقور والكلاب ،  
فحاولتها ساعة ، ثم لجأت الظباء إلى الأكمة فسقطت عليها ، فسقطت  
الصقورة والكلاب ، فتعجب الرشيد من ذلك ثم إن الظباء هبطت من  
الأكمة فسقطت الصقورة والكلاب فرجعت الظباء إلى الأكمة ، فتراجعت  
عنها الكلاب والصقورة ففعلت ذلك ثلاثة ، فقال هارون : أركضوا فمن  
لقيتموه إبتوني به ؟ فأتيناه بشيخ من بني أسد ، فقال هارون ما هذه

الأكمة ؟ قال : إن جعلت لي الأمان أخبرتك ! قال : لك عهد الله وميثاقه أن لا أهيجك ولا أؤذيك . قال الشيخ حدثني أبي عن أبيه أنهم كانوا يقولون : هذه الأكمة قبر علي بن أبي طالب عليه السلام جعله الله حراماً لا يأوي إليه أحد إلا آمن .

فنزل هارون ودعى بماء فتوضأ وصلى عند الأكمة ، وتمرغ عليها وجعل يبكي ، وأمر ببناء القبة على القبر ، ومن ذلك اليوم لم يزل البناء في تطور وهو الآن صرح بديع متلألئ ، وبناء مشيد من قبة ذهبية ومنارتين ذهبيتين ، ومشهد عظيم وضريح فخيم في داخله صندوق لا يشمن ، والبقعة مزينة بهدايا الملوك والسلاطين على مرّ القرون ، وقد بني المشهد على أحسن هندسة وأبداع فن معماري وأجمل نقوش يتوصل إليها الفكر البشري .

والمعلقات الموجودة والذخائر المكنونة والهدايا الثمينة لا يمكن تقديرها وتشمينها ، ويقصد القبر الشريف ملايين من الناس من شرق الأرض وغربها ، وكذلك الوفود والسواح من المسلمين .

### تأبين علي

ولما فرغوا من دفن الإمام عليه السلام قام صعصعة بن صوحان يؤين الإمام بهذه الكلمات ، فوقف على القبر ووضع إحدى يديه على فؤاده والأخرى قد أخذ بها التراب وضرب به رأسه ثم قال : بأبي أنت وأمي يا أمير المؤمنين هنيئاً لك يا أبا الحسن ، فلقد طاب مولدك ، وقوي صبرك ، وعظم جهادك وظفرت برأبك ، وربحت تجارتك ، وقدمت على خالفك فتلقاك بشارته ، وحفنتك ملائكته ، واستقررت في جوار المصطفى فأكرمك الله بجواره ، ولحقت بدرجة أخيك المصطفى وشربت بكأسه الأوفى ، فاسأل الله أن يمن علينا باقتضائنا أمرك ، والعمل بسيرتك ، والموالاته لأوليائك ، والمعاداة لأعدائك ، وأن يحشرنا في زمرة أوليائك ، فقد نلت ما لم ينله أحد ، وأدركت ما لم يدركه أحد ، وجاهدت في سبيل ربك بين

يدي أخيك المصطفى حق جهاده ، وقمت بدين الله حق القيام حتى أقمت السنن ، وأبرت الفتن ، واستقام الإسلام وانتظم الإيمان ، فعليك مني أفضل الصلاة والسلام ، بك اعتدل ظهر المؤمنين واتضحت أعلام السبل ، وأقيمت السنن ، وما جُمع لأحد مناقبك وخصالك ، سبقت إلى إجابة النبي ﷺ مقدماً مؤثراً ، وسارعت إلى نصرته ، ووقيتته بنفسك ورميت سيفك ذا الفقار في مواطن الخوف والحذر ، قصم الله بك كل جبار عنيد ، وذل بك كل ذي بأس شديد ، وهدم بك حصون أهل الشرك والكفر والعدوان والردى ، وقتل بك أهل الضلال من العدى ، فهنيئاً لك يا أمير المؤمنين كنت أقرب الناس من رسول الله قربي وأولهم سلماً وأكثرهم علماً وفهماً .

فهنيئاً لك يا أبا الحسن ، لقد شرف الله مقامك ، وكنت أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ نسباً ، وأولهم إسلاماً ، وأوفاهم يقيناً ، وأشدهم قلباً ، وأبدلهم لنفسه مجاهداً ، وأعظمهم في الخير نصيباً ، فلا حرماً الله أجرك ، ولا ذلماً بعذك ، فوالله لقد كانت حياتك مفاتيح للخير ومخالفات للشر ، وإن يومك هذا مفتاح كل شر ومغلاق كل خير ، ولو أن الناس قبلوا منك لأكلوا من فوفهم ومن تحت أرجلهم ، ولكنهم آثروا الدنيا على الآخرة .

ذكر ابن أبي الحديد أن صمصمة بن صوحان العبدي رثا أمير المؤمنين علياً بهذه الأبيات :

ألا ، من لي بأنسك يا أخيا	ومن لي أن أبشك ما لديا؟
طسوتك خطوب دهر قد تولى	لذاك خطوبه نطشراً وطبياً
فلو نشرمت قواك لي المنايا	شكوت إليك ما صنعت إلها
بكيتك يا علي بدر عيني	فلم يخن البكاء عليك شيئا
كفى حزناً بدفنك ثم إنني	نفضت تراب قبرك من يديا
وكانت في حياتك لي عظة	وأنت اليسوم أو عظ منك حيا
فيا أسفي عليك وطول شوقي	ألا لو أن ذلك رد شيئا

ثم بكى بكاءً شديداً وابكى كل من كان معه ، وعدلوا إلى الحسن والحسين ومحمد وجعفر والعباس ويحيى وعون وعبد الله ، فعزّوهم في أبيهم وانصرف الناس ورجع أولاد أمير المؤمنين إلى الكوفة ولم يشعر بهم أحد :

قم ناشد الإسلام عن مصابه      أصيب بالنبي أم كتابه  
بلى قضى نفس النبي المصطفى      وأدرج الليلة في أثوابه  
فاصفر وجه الدين لاصفراره      وخضب الإيمان لاختضابه  
قتلت الصلاة في محرابها      يا قاتليه وهوفي محرابه  
ثم عمدوا إلى عبد الرحمن بن ملجم فقتلوه ، وهجم الناس على قطام وقطموما بالسيوف ونهبوا دارها وأحرقوا جثتها وجثة ابن ملجم .

في ناسخ التواريخ : لما توفي أمير المؤمنين عليه السلام وقُتل ابن ملجم ، خرج ابن عباس إلى الناس فقال : إن أمير المؤمنين توفي ، وقد ترك لكم خلفاً ، فإن أحببتم خرج إليكم ، وإن كرهتم فلا أحد على أحد . فبكى الناس وقالوا : بل يخرج إلينا . فخرج الإمام الحسن وعليه ثوب أسود ، واعتلى المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل ، ولم يدركه الآخرون بعمل ، لقد كان يجاهد مع رسول الله فيقيه بنفسه ، وكان رسول الله يوجهه برأيه ، فيكفيه جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن شماله ولا يرجع حتى يفتح الله على يديه . ولقد توفي في الليلة التي نزل فيها القرآن ، وعُرج فيها بعيسى بن مريم ، والتي قبض فيها يوشع بن نون وصي موسى ، وما خلف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم فضلت من عطيته أراد أن يتاع بها خادماً لأهله ثم خففته العبرة فبكى وبكى الناس . . .

## ختام واعتذار

أيها الإخوان لقد قضينا معكم هذه الليالي الثمينة بالتحدث عن شخصية الإمام أمير المؤمنين ، وقد كان حديثنا يدور حول ترجمة حياته المتألثة وذكرنا ما تيسر ، وأود أن أحيطكم علماً وأحلف لكم يمينا لا حنت فيها بأنني لم أذكر عشرأ من معشار فضائل الإمام ومناقبه ، فلقد فاتنا التكلم عن قضاء أمير المؤمنين ومعجزاته وكثير من خططه الحربية وسياسته الحكيمة وترجمة زوجاته وأولاده وبناته وكلماته القصار وأثاره الطيبة الخالدة ، ومن الله نسأل أن يحقق الآمال وتندارك ما قد فات .

وسلام الله على أمير المؤمنين يوم ولد في الكعبة ويوم مات شهيداً في سبيل الله ويوم بيعث حياً للشفاعة .

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم .

## الفهرس

٥	الإهداء
٧	المقدمة
١٤	علي وليد الكعبة
١٩	علي (ع) أول المسلمين
٣٠	أبو طالب حامي الرسول (ص)
٣٥	علي (ع) ليلة المبيت
٤٥	علي (ع) والهجرة
٥٠	اقتران النورين
٦١	علي (ع) والجهاد
٦٥	علي (ع) يوم بدر
٦٩	علي (ع) يوم أحد
٧٣	علي (ع) يوم بني النضير
٧٤	علي (ع) يوم الخندق
٨١	علي (ع) يوم خيبر
٨٦	علي (ع) يوم حنين
٨٨	علي (ع) والقرآن
٩٤	علي (ع) يوم المباهلة

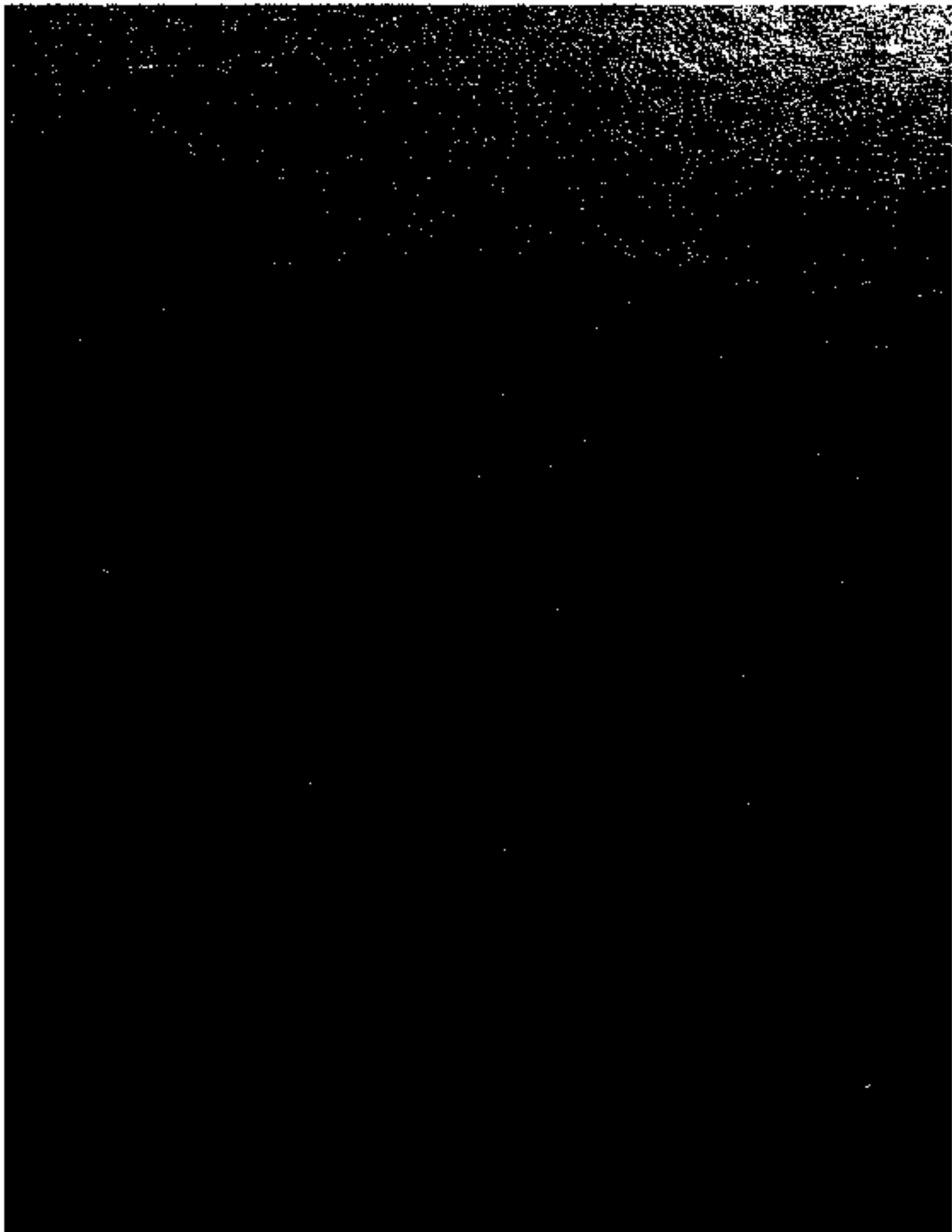
١٠٠	علي (ع) يتصدق بالمخاتم
١٠٤	علي (ع) في سورة هل أتى
١٠٩	مفاخرة علي والعباس
١١٠	آية النجوى
١١٣	علي (ع) والعلم
١٢٠	علي (ع) والخطابة
١٣٣	علي (ع) والفضائل النفسية
١٣٦	علي (ع) واليقين
١٣٦	علي (ع) والحفظ
١٣٧	علي (ع) والتعطف
١٣٨	علي (ع) والحق
١٣٨	علي (ع) والغنى
١٣٩	علي (ع) والعضو
١٣٩	علي (ع) والحكمة
١٤٠	علي (ع) والزهد
١٤٤	علي (ع) والعفة
١٤٥	علي (ع) والتواضع
١٤٧	علي (ع) والحلم
١٤٩	علي (ع) والمواساة
١٥٠	علي (ع) والكرم
١٥٣	علي (ع) والعدل
١٥٧	علي (ع) والعبادة
١٦١	علي (ع) والخصائص
١٦٩	خبر الطائر المشوي
١٧٢	حديث المنزلة
١٧٧	المؤاخاة بين النبي (ص) وعلي (ع)
١٨٢	سورة براءة
١٨٦	علي (ع) يكسر الأصنام
١٨٨	حديث سد الأبواب

١٩٣	علي (ع) يوم الغدير
٢١٦	علي (ع) عند وفاة الرسول (ص)
٢٢٨	علي (ع) في مصيبة الزهراء
٢٣٧	علي (ع) جليس البيت
٢٤٥	علي (ع) يوم الجمل
٢٧٩	علي (ع) في صفين
٢٩٠	علي (ع) والخوارج
٣١٢	علي (ع) بقلمه ولسانه
٣٢١	علي (ع) ينمي نفسه
٣٣٤	علي (ع) طريق الفراش
٣٣٩	علي (ع) يفارق الحياة
٣٤٦	تأبين علي (ع)
٣٤٩	ختام واعتذار
٣٥٠	الفهرس









To: [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)